زیبا مانم چه میپرسی ز عمر بیت چون کاکلش

سیه بختم پریشان روزگارم خانه بر دوشم

وقف وحبس وسبل الحاج علي البوري

لكل من يقرأ وقفا صحيحا شرعيا

لا يباع ولا يرهن ولا يوهب

فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين

يبدلونه إن الله سميع عليم سنة ١٢٤٤

بان تسعدنا بالهداية الى الدراية وتعضدنا بالاعانة على
الابانة وتعصمنا عن الغواية في الرواية وتصرفنا
عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الالسنة
ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف
موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ الى
معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا
هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا اليك يد المسئلة وبخعنا
بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم وفضلك
الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل ثم بالتوسل
بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت
به النبيين واعليت درجته في عليين ووصفته في
كتابك المبين فقلت وانت اصدق القائلين وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين اللهم فصل عليه وعلى آله
الهادين واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا لهديه
وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين
انك على كل شئ قدير وبالاجابة جدير وبعد فانه قد جرى
ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه
وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان
وعلامة همذان وعزا الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها
والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا يعرف

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان ۞ والهمت من التبيان
كما نحمدك على ما اسبغت من العطا ۞ واسبلت من الغطا ۞
ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر ۞ كما نعوذ بك
من معرة اللكن وفضوح الحصر ۞ ونستكفي بك الافتتان
باطرا المادح واغضا المسامح ۞ كما نستكفي بك الانتصاب
لازرا القادح وهتك الفاضح ۞ ونستغفرك من سوق
الشهوات الى سوق الشبهات ۞ كما نستغفرك من نقل
الخطوات الى خطط الخطيئات ۞ ونستوهب منك توفيقا
قائدا الى الرشد ۞ وقلبا متقلبا مع الحق ۞ ولسانا متحليا
بالصدق ۞ ونطقا مويدا بالحجة ۞ واصابة ذائدة عن الزيغ
وعزيمة قاهرة هوى النفس ۞ وبصيرة ندرك بها عرفان القدر

مما ضمنتهما المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو
عذره ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي بأن البديع
رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده
لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته
ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته
كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق
بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي و
نضح عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر
متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهي الشرع
ومن نقد الأشياء بعين المعقول وأنعم النظر في مباني
الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإفادات وسلكها
مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا
سمعه عن تلك الحكايات أو أثم رواتها في وقت من الأوقات
ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات
فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى

ويكون للأشرف فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم إلى
أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع
شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم
بيتا أو بيتين واستقلته من هذا المقام الذي فيه يحار
الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين قيمة
المرء ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل أو جالب
رجل وخيل وقلما سلم مكثار أو أقيل له عثار
فلما لم يسعف بالإقالة ولا أعفى من المقالة لبيت دعوته
تلبية المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع و
أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة وفطنة خامدة
وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين مقامة تحتوي على
جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان
ودرره وملح الأدب ونوادره إلى ما وشحتها به من الآيات
ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية
واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية
والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية
والأضاحيك الملهية مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد
السروجي وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري
وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير
سواد طالبيه ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا
بيتين فذين أسست عليهما بنية المقالة الحلوانية وآخرين

[illegible] لمصلحة [illegible] من الأسماع [illegible] بعظه [illegible]
أما علمت [illegible] [illegible] الأكام
الأمس [illegible] الأقصى [illegible]
[illegible] ومن [illegible]
فما [illegible] أيها الناس [illegible]
[illegible] النافع [illegible] الأمم
تستر [illegible] وتنشر [illegible] وتخلو [illegible]
في ذنوبك ولا [illegible]
ناصيتك [illegible] على ما أسر بك [illegible]
عن قربك [illegible] من مملوكك
وما [illegible] على [illegible]
أرعاك أو [illegible] أو [illegible]
[illegible] إذا رأيت [illegible]
[illegible]
ذاتك وقلت [illegible]
أعذلك أما الحمام فيبادرك فما أغفلك وبالمنايا [illegible]
فما أعذرك وفي الجهل [illegible]
[illegible]
أو عظ [illegible]
لك الحق [illegible] وأدركك الموت [illegible]
[illegible] على ذكر [illegible]

التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب
لتعليم أو هدى إلى صراط مستقيم
على أني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا عليّ ولا ليا
وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد إلى
ما يرشد فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به ولا التوفيق
إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب

المقامة الأولى

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب
الاغتراب وأنأتني المتربة عن الأتراب طوّحت بي طوائح
الزمن إلى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي
الإنفاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت
أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في حوماتها جولان الحائم
وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي
كريماً أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو أديباً تفرّج
رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة
المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى نادٍ رحيب محتوٍ
على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة الدمع
فرأيت في بهرة الحلقة شخصاً شخت الخلقة عليه أهبة
السياحة وله رنة النياحة وهو يطبع الأسجاع

سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا
أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد
يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق إلي حتى خفت أن يسطو علي
فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد

لبست الخميصة أبغي الخبيصه ... وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة ... أريغ القنيص بها والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ... ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصه
ولو أنصف الدهر في حكمه ... لما ملك الحكم أهل النقيصه

ثم قال ادن فكل وإن شئت فقم وقل فالتفت إلى تلميذه
وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى لتخبرني من ذا
فقال هذا أبو زيد السروجي سراج الغربا وتاج الأدبا فانصرفت
من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم
ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب
الطلب لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند
الأوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص

فمن أغفله عن مرتبته . ونرغب عن هاد يشهد بالجهالة

تشهد بتهمته . وتطلب حذوق تنبيهه على أبواب تنتزمه

بوافق الصلاة التي يقتدى بمن تواقيت الصلاة ومعالم

الشفاق وعمالقه عن الائمة الشكوك فانتبه ومعاني الانوار

انتهى الى غرض صحابة الاديان . وتمامه الا وانتهى الى

محل الفوائد بنا بالمعرفة نشهد بحاله . ونجى عن التكرار

والانحناء . ونجى عن الظلم نفساه . ونجى عن النار

فلا تحول عن نفسه . بين اطرافه

ثم الطالب يبتدي الى اهل الانعام
ما يستفتح عن امامه والاحسان
وفي ذرعاته تمامه يروم صيانته

ثم انه يبدأ بحاجته ويعرض بحاجته . واعتمد سكونه

فانتظر او قد . فلما رأيت الجماعة الى الحق . ورأيت تأهبه

الملوك وكرم . اذ كل منهم يدل في حاجته . فاقم له مجلس

من مجلسه . وقال اصرف هنا في نسكك . او وقفهم على وقتك

فقبله منهم منصوبا . فالتقى بهم مليا . وجعل لوذعيا من

لسيدنه . لنحو علمهم فهمه . ونسب من تبعه . لكي

يحمل امره . في الحارث بن همام فاتبعه مواليا

متصلا . فقفوت اثره من حيث لا يدري حتى انتهى الى

مغانيه . فاستأذن فيها على اهلها . واخلصه بينما خلع نعليه

وغسل رجليه . ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا للتلميذ على

واستتر عني عينا لا أعرفه له عرينا ولا أجد عنه مبينا فلما
أبت من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى
المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية
كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس
ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه
فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي
عبادة المشهود له بالإجادة فقال هل عثرت له فيما
لحته على بديع استملحته قال نعم قوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب ولضيعة
الأدب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم
أين أنت عن البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وأنشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه
وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد
وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه و
سئل لمن هذا البيت وهل حي قائله أم ميت فقال أيم الله للحق
أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع إنه يا قوم لنجيكم
منذ اليوم قال فكأن الجماعة ارتابت بعزوته وأبت تصديق
دعوته فتوجس ما هجس في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكا

باقتباسه أباحث كل من جل وقل · واستسقي الوبل والطل · وأتعلل
بعسى ولعل · فلما حللت حلوان · وقد بلوت الإخوان · وسبرت
الأوزان · وخبرت ما شان وزان · ألفيت بها أبا زيد السروجي
يتقلب في قوالب الانتساب · ويخبط في أساليب الاكتساب
فيدعي تارة أنه من آل ساسان · ويعتزي مرة إلى أقيال غسان
ويبرز طورًا في شعار الشعراء · ويلبس حينًا كبر الكبراء · بيد أنه
مع تلون حاله · وتبين محاله · يتحلى برواء ورواية · ومداراة
ودراية · وبلاغة رائعة · وبديهة مطاوعة · وآداب بارعة
وقدم لأعلام العلوم فارعة · فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته
ولسعة روايته يصبى إلى رؤيته · ولخلابة عارضته يرغب
عن معارضته · ولعذوبة إيراده يسعف بمراده · فتعلقت
بأهدابه لخصائص آدابه · ونافست في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به أجلو همومي وأجتلي · زمانًا طلق الوجه ملتمع السنا
أرى قربه قربى ومغناه غنية · ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ... كل يوم ...
[illegible]
[illegible]
بتطليق العراق · ولفظته معاوز الإرفاق إلى مفاوز الآفاق
ونظمه في سلك الرفاق خفوق راية الإخفاق · فشحذ للرحلة
غرار عزمته · وظعن يقتاد القلب بأزمته

فما راقني من لاقني بعد بعده · ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند ند لفضله · ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

فعاقني لِمَّتُه الذي دجا، وبناتُ نفسي مُورية، فابتدرت استلام يده، وقلت له: ما الذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك، وأيُّ شيءٍ شيّب لحيتك حتى أنكرت حليتك؟ فأنشأ يقول:

وقعُ الشوائب شيّبْ ... والدهرُ بالناس قُلّبْ

إن دان يوماً لشخصٍ ... ففي غدٍ يتغلّبْ

فلا تثقْ بوميضٍ ... من برقه فهو خُلّبْ

واصبر إذا هو أضرى ... بك الخطوبَ وألّبْ

فما على التبر عارٌ ... في النار حين يُقلّبْ

ثم نهض مفارقاً موضعه، ومستصحباً القلوب معه.

المقامة الثالثة

روى الحرث بن همام قال: نظمني وأخداناً لي نادٍ، لم يخب فيه منادٍ، ولا كبا قدح زنادٍ، ولا ذكت نار عنادٍ، فبينا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد، ونتوارد طُرَف الأسانيد، إذ وقف بنا شخصٌ عليه سَمَلٌ، وفي مشيته قَزَلٌ، فقال: يا أخاير الذخائر، وبشائر العشائر، عِموا صباحاً، وأنعموا اصطباحاً، وانظروا إلى من كان ذا نديٍّ ونَدى، وجِدةٍ وجَدا، وعقارٍ وقُرى، ومَقارٍ وقِرى، فما زال به قطوب الخطوب، وحروب الكروب، وشرر شر الحسود، وانتياب النُّوَب السود، حتى صفرت الراحة، وقرعت الساحة، وغار المنبع، ونبا المربع

وحاذر أن يفرط إليه ذم فقرأ إن بعض الظن إثم ثم قال

يا رواة القريض وأساة القول المريض إن خلاصة الجوهر

تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما

غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وها أنا ذا قد

عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر

أحد من حضر فقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت

قريحة بمثاله فإن آثرت اجتلاب القلوب فانظم على هذا الأسلوب

وأنشده فأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وإيداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم

بكلامه وانصبابهم إلى شعب إكرامه أطرق كطرفة العين

ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأنشد

وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته وأجملوا

عشرته وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما

رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت النظر في توسمه

وسرحت الطرف في ميسمه فإذا هو شيخنا السروجي

انقذه حتى صفت مسرته … وحق مولى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلت قدرته

ثم بسط يده بعدما انشد وقال انجز حر ما وعد وسح خال
ان رعد فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير ماسوف عليه
فوضعه في فيه وقال بارك الله فيه ثم شمر للانثناء بعد توفية
الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهلت على ائتناف
اغترام فجردت دينارا اخر وقلت له هل لك في ان تذمه
ثم تضمه فانشد مرتجلا وشدا عجلا

تباله من خادع مماذق … اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق … زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق … يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق … ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق … ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق … وشر ما فيه من الخلائق
ان ليس يغني عنك في المضائق … الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق … ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق … لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته
بالدينار الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فالقاه في فمه
وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي وجداه قال
الحارث بن همام فناجاني قلبي انه ابو زيد وان تعارجه لكيد

وأقوى المجمع وأقض المضجع واستحالت الحال وأعول العيال
وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت
ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر
المدقع إلى أن احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا
الجوى وطوينا الأحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد و
استوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الأقتاد
واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حر
آس أو سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد أمسيت
أخا عيلة لا أملك بيت ليلة قال الحارث بن همام
فأويت لمفاقره ولويت إلى استنباط فقره فأبرزت
[illegible] فانبرى
ينشد في الحال من غير انتحال

أكرم به أصفر راقت صفرته ... جواب آفاق ترامت سفرته

مأثورة سمعته وشهرته ... قد أودعت سر الغنى أسرته

وقارنت نجح المساعي خطرته ... وحببت إلى الأنام غرته

كأنما من القلوب نقرته ... به يصول من حوته صرته

وإن تفانت أو توانت عترته ... يا حبذا نضاره ونضرته

وحبذا مغناته ونصرته ... كم آمر به استتبت إمرته

ومترف لولاه دامت حسرته ... وجيش هم هزمته كرته

وبدر تم أنزلته بدرته ... ومستشيط تتلظى جمرته

أسر نجواه فلانت شرته ... وكم أسير أسلمته أسرته

وملنا إلى الكرى صادفنا أرضاً خضلة الربى معتلة الصبا
فتخيرناها مناخاً للعنس ومحطاً للتعريس فلما حلّها الخليط
وهدأ بها الأطيط والغطيط سمعت صيتاً من الرجال يقول
لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك
فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال لمن صال وأحتمل
الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم ولو جرّعني الحميم
وأفضّل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير وإن لم يكافي
بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل وأغمر الزميل بالجميل
وأنزل سميري منزلة أميري وأحل أنيسي محل رئيسي وأودع
معارفي عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي
وأديم تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء باللفا وأقنع من الجزا
بأقل الأجزا ولا أتظلم حين أظلم ولا أنتقم ولو لدغني الأرقم
فقال له صاحبه ويك يا بني إنما يضن بالضنين وينافس في
الثمين لكني أنا لا آتي غير المواتي ولا أسم المعاني بجر المعاني
ولا أصافي من يأبى إنصافي ولا أواخي من يلغي الأواخي ولا
أمالي من يخيب آمالي ولا أبالي بمن صرم حبالي ولا أداري
من جهل مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي ولا أبذل
ودادي لأضدادي ولا أدع إيعادي للمعادي ولا أغرس
الأيادي في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح
بمساءتي ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي ولا أخص
بحبائي إلا أحبائي ولا أستطب لدائي غير أودائي ولا أملك

فاستعبر وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك
فقال إن كنت ابن همام فحييت بإكرام وحييت بين كرام فقلت
أنا الحارث فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب في الحالين بؤس
ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت
القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذي كان تجلى
ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت اعذروا فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة

أخبر الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط
ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الإخاء أسحب مطارف
الثراء وأجتلي معارف السراء فرافقت صحابا قد شقوا عصا الشقاق
وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء
وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنا مع ذلك نسير النجاء
ولا نرحل إلا كل هوجاء وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا
اختلسنا اللبث ولم نطل المكث فعن لنا إعمال الركاب
في ليلة فتية الشباب غدافية الإهاب فأسرينا إلى أن نضا
الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما وعياه تقت الى ان اعرف
عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء غدوت قبل
استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت أستقري صوت
الصوت الليلي وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى ان لمحت
ابا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا
ليلتي وصاحبا روايتي فقصدتهما قصد كلف بناديهما
[illegible] وأعجبهما القول [illegible] والتحكك [illegible]
[illegible]
[illegible]
حتى غمرا بالحملان واغتذا من الخلان وكانا من قبل مله
بنابان القرى وتنوير ابن القرى فلما رأى ابو زيد انسلال
كيسه وانحلال بؤسه قال لابنه بدني قد اتسخ ودرني قد
ترشح فأذن لي في قصد قرية لاستحم واقضي هذا المهم
فقلت له ان شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجد
طلعتي عليك اسرع من ارتداد طرفك اليك ثم استن استنان
الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل انه غر وطلب
المفر فلبثنا نرقبه رقبة اهلة الاعياد ونستطلعه بالطلاع
والرواد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما
طال امد الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار قلت لاصحابي قد
تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان اضعنا الزمان
وبان ان الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء
الدمن فنهضت لاحدج راحلتي واحمل رحلي فوجدت

حظي من لا يستحليني ولا أصغي بنيتي لمن تمنى مقتي ولا أخلص
دعائي إلا لمن يعم وعائي ولا أوقع ثنائي على من يفرغ إنائي
ومن حكم بأن البذل وتجرد والنزاهة وحشمة لا يذوب وجه
وإذكاء وجحد لا أوثر أن يوجد في القال وينبذ المقال
ويحاذي في الفعال بصدق القال حتى يأمن التغابن ولكن
ليضاعفني ولا أقدم علاقة ويعليني وأقلك ويستعطيني
وأحتج إليك ويحوجني وأسرح إليك ويسرحني ولكن
مثلك أنصاف بصنيعهم ولي شرف يحسن مع عليم ذمي
أصح ويعسف وأي حرد صحيح عطه تعسف
ولله أبوك إذ تقول

حرصت من إعلق في وده برأ من يبني على أسه
وكنت لخل كالآل لي على وفاء الكل أو نحسه
ولم أخش وشر الودى من يوم أخشى من أمسه
وكل من يطلب عندي جنى فماله إلا جنى غرسه
لا أبتغي الغش ولا أمتري بمضمر المعقول في حسه
ولست بالموجع من لا يرى جانحي على نفسه
ورب ملق الهوى مائل إلى أصدق الود على لبسه
وما درى من جهله أنني أقسى عن يحيا الذي من جنسه
فاهجر استغنال بحر القلي وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن أنسه
ولا تبغ الود ممن يرى أنك محتاج إلى فلسه

فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما امرا
وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما اطلنا بعذوبة نظمه وعلمنا
ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب
وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي
احياني بذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي ان لا تتخذوني
كلا ولا تجشموا لاجلي اكلا فرب اكلة هاضت الآكل
وحرمته مآكل وشر الاضياف من سام التكليف واذى
المضيف وخصوصا اذى يعلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام
وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء سوافره الا
ليعجل التعشي ويجتنب اكل الليل الذي يعشي اللهم الا ان
تقد نار الجوع وتحول دون الهجوع قال فكأنه اطلع على
ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم انا آنسناه بالتزام
الشرط واثنينا على خلقه السبط ولما احضر الغلام ما راج
واذكى بيننا السراج تأملته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي
ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم البارد فان يكن افل قمر
الشعرى فقد طلع قمر الشعر او استسر بدر النثر فقد تبلج
بدر النظم فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن
مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر
الفكاهة بعدما طووها وابو زيد مكب على اعمال يديه حتى اذا
استرفع ما لديه قلنا له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك او عجيبة



أبا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعداً وساعداً دون البشر
لا تحسبنّي نأيتُ عن ملالٍ أو أشر
لكنّني مذ لم أزل ممّن إذا طعم نشر

قال فأقرأتُ الجماعةَ القتبَ ليعذره من كان عتب فأعجبوا بجرائه وتعوّذوا من إغرائه ثمّ إنّا ظعنّا ولم ندرِ من اعتاض عنّا

المقامة الخامسة

قال الحرث بن همّام سمرتُ بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غُذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلّا من يُحفظ عنه ولا يُتحفّظ منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلمّا روّق الليل البهيم ولم يبقَ إلّا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثمّ تلتها صكّة مستفتح فقلنا من الملمّ في الليل المدلهمّ فقال

يا أهل ذا المغنى وُقيتم شرّا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرّا
قد دفع الليل الذي اكفهرّا ... إلى ذراكم شعثاً مغبرّا
أخا سفارٍ طال واسبطرّا ... حتّى انثنى محقوقفاً مصفرّا
مثل هلال الأفق حين افترّا ... وقد عرا فناءكم معترّا
وأمّكم دون الأنام طرّا ... يبغي قرىً منكم ومستقرّا

قد وردت الى هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس
فقلت له زدني ايضاحا عنت ونعشت فقال اخبرتني
امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان
رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال
وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف
أحي هو فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال
ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي وصدفني عن
التعرف اليه صفر يدي فتصدعت عنه بكبد مرضوضة ودموع
مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب
فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجائب
الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها في
الآفاق فاحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية على
ما سردها ثم استخلصنا عن مرتاده في استضمام فتاه فقال
اذا اثقل ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب
من المال ألفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني
نصاب وهل يحتقر قدر النصاب قال الراوي
فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك
الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى اننا استطلنا
[illegible] القول [illegible]
[illegible]
[illegible]

من عجائب أسفارك. فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون، ولا رواه الراوون، وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم، ومصيري إلى بابكم. فاستخبرناه عن طرفة مرآه، في مسرح مسراه. فقال إن مرامي الغربة، لفظتني إلى هذه التربة، وأنا ذو مجاعة وبؤسى، وجراب كفؤاد أم موسى. فنهضت حين سجا الدجى، على ما بي من الوجى، لأرتاد مضيفا، أو أقتاد رغيفا. فساقني حادي السغب، والقضاء المكنى أبا العجب، إلى أن وقفت على باب دار فقلت

حييتم يا أهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل ... وقد دجا جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

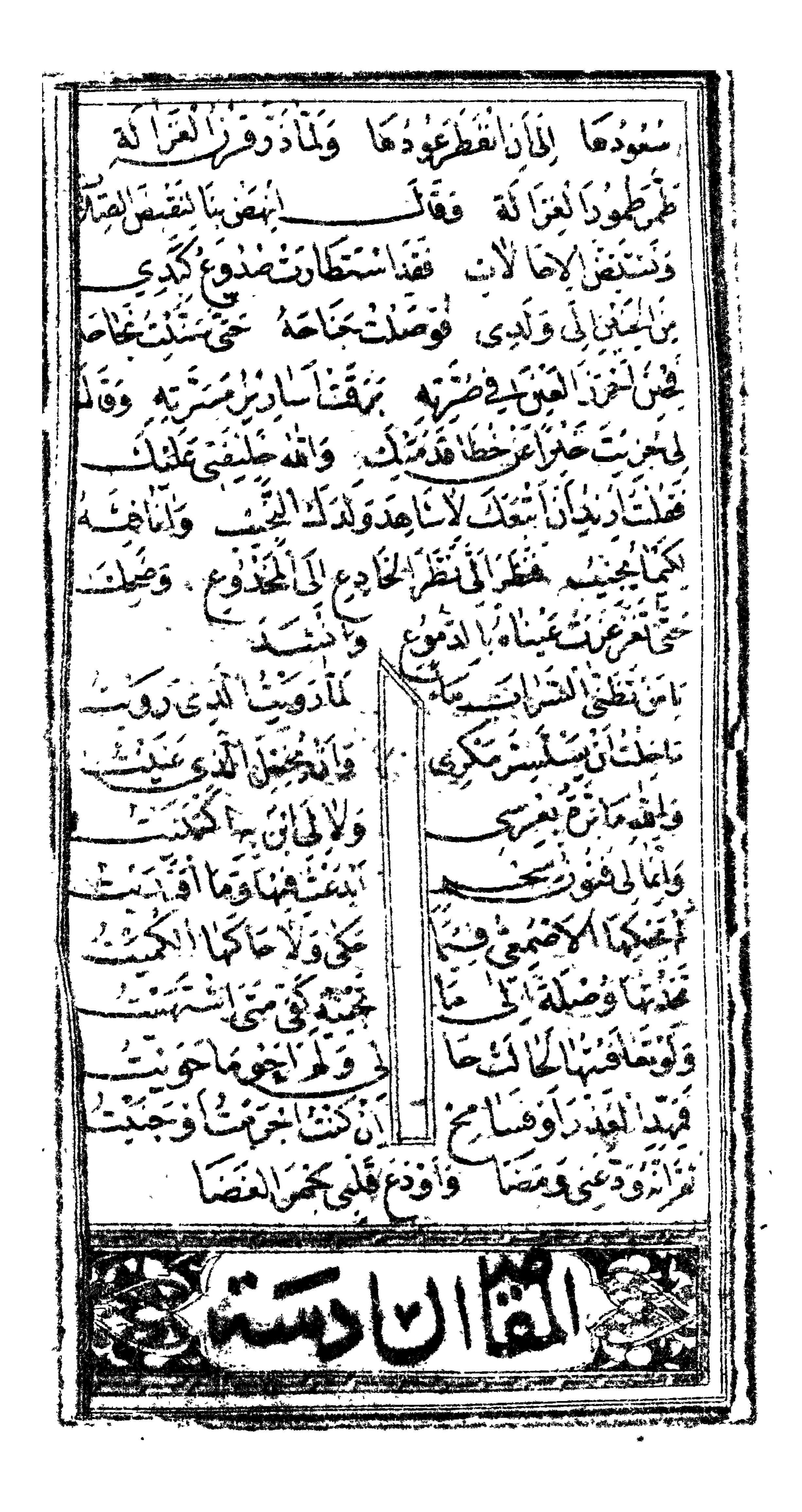
قال فبرز إلي جوذر، عليه شوذر، وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرا ... سوى الحديث والمناخ في الذرا
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى أعظمه لما انبرى

فما ترى فيما ذكرت ما ترى

فقلت ما أصنع بمنزل قفر، ومنزل حلف فقر، ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك. فقال اسمي زيد ومنشئي

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة
وقد جرى به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة
وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشا ويتصرف
فيه كيف شا ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء
أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب هذا الأوان
المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو ملك
فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل يجالس في الحاشية
وعند مواقف الحاشية فكان كلما انشط القوم في شوطهم و
نثروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ
أنفه أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري
النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت الكنائن وفاءت
السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع أقبل على
الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدا وجرتم عن القصد
جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتم في الميل إلى من فات
وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات
أنسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف
القرائح وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة
والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والأساجيع
المستملحة وهل للقدما إذا أنعم النظر من حضر غير المعاني
المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم
المواليد لا لتقدم الصادر على الوارد وإني لأعرف الآن


سعودها إلى أن انقطع عمودها ولما ذرّ قرن الغزالة
طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلة
ونستنض الإحالة فقد استطارت صدوع كبدي
من الحنين إلى ولدي فوصلت جناحه حتى سنّيت نجاحه
فحين أحرز العين في صرته بان تباشير مسرته وقال
لي اعزب عني خطا قدميك والله خليفتي عليك
فقلت أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب وأناجيه
كما يناجى الحبيب فنظر إليّ نظر الخادع إلى المخدوع وضحك
حتى تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد

يا من تظنّى السراب ماء ... لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسرّ مكري ... وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برّة تلدني ... ولا لي ابن به كنيت
وإنما لي فنون سحر ... أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما ... حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما ... تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت حا ... لي ولم أحو ما حويت
فمهّد العذر أو فسامح ... إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودّعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة

وكم أخطرني بالٌ ولا أخطرُ في بالِ

فقد أثقلها أحمال وأطفالي أطفالي

فلولا أن أشبالًا أغلالي وأعيالي

لما شمت آمالي لآمالي ولا والي

ولا أخشى تقلبي على ساعد لا لي

فحنّوا يا أحبائي وأيتامي إلى أشبالي

فهل حرّ يرى تخفيف أثقالي بمثقالِ

ويطفي حرّ بلبالي بسربالٍ وسربالِ

قال الحارث بن همام فلما استوضحت حلية الأبيات تقت إلى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بأن الوصلة إليه العجوز وأفتاني بأن تطلق العقدة بحلوان فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفًّا صفًّا وتستوكف الأكف كفًّا كفًّا وما إن نجح لها عناء ولا رشح على يدها إناء فلما أكدى استعطافها وكدّها تطوافها عاذت بالاسترجاع وانثنت إلى ارتجاع الرقاع وأنساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج إلى بقعتي وآبت إلى الشيخ باكية للزمان شاكية تحامل الزمان فقال إنا لله وأفوض أمري إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

لم يبق صافٍ ولا مصافٍ ولا معينٌ ولا معينُ

وفي المساوي بدا التساوي فلا أمينٌ ولا أمينُ

ثم قال لغلامه انقش وعدها واجمع الرقاع وعدها

ثُمَّ إِذَا أَنْشَأَ وَشَّى وَإِذَا عَبَّرَ حَبَّرَ وَإِنْ أَسْهَبَ أَذْهَبَ وَإِنْ
أَوْجَزَ أَعْجَزَ وَإِنْ بَدَهَ شَدَهَ وَمَتَى اخْتَرَعَ خَرَعَ فَقَالَ لَهُ
نَاطُورُ الدِّيوَانِ وَعَيْنُ أُولَئِكَ الْأَعْيَانِ مَنْ قَارِعُ هَذِهِ
الصَّفَاةِ وَمَنْبَعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَقَالَ أَنَا قِرْنُ مَجَالِكَ
وَقَرِينُ جِدَالِكَ وَإِذَا شِئْتَ فَرُضْ نَجِيبًا وَادْعُ مُجِيبًا لِتَرَى
عَجَبًا فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا لَا يَسْتَنْسِرُ
وَالتَّمْيِيزُ عِنْدَنَا بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ مُتَيَسِّرٌ وَقَلَّ مَنِ
اسْتَهْدَفَ لِلنِّضَالِ فَخَلَصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ أَوِ اسْتَثَارَ نَقْعَ
الِامْتِحَانِ فَلَمْ يُقْذَ بِالِامْتِهَانِ فَلَا تُعَرِّضْ عِرْضَكَ لِلْفَاضِحِ
وَلَا تُعْرِضْ عَنْ نَصَاحَةِ النَّاصِحِ فَقَالَ كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ بِوَسْمِ
قِدْحِهِ وَسَيَعْرَى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ فَتَنَاجَتِ الْجَمَاعَةُ فِيمَا يُسْبَرُ
بِهِ قَلِيبُهُ وَيُعْرَفُ بِهِ تَقْلِيبُهُ فَقَالَ أَحَدُهُمْ ذَرُوهُ فِي
حُجْرَتِي لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِي فَإِنَّهَا عُضْلَةُ الْعُقَدِ وَمِحَكُّ
الْمُنْتَقِدِ فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزَّعَامَةَ تَقْلِيدَ الْخَوَارِجِ أَبَا
نَعَامَةَ فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَهْلِ وَقَالَ اعْلَمْ أَنِّي وَالِي هُنَا أُوَالِي
وَأَرْفَعُ حَالِي بِالْبَيَانِ الْحَالِي وَكُنْتُ أَسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوَدِي
فِي بَلَدِي بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِي مَعَ قِلَّةِ عَدَدِي فَلَمَّا ثَقُلَ حَاذِي
وَنَفِدَ رَذَاذِي أَمَمْتُهُ مِنْ أَرْجَائِي بِرَجَائِي وَدَعَوْتُهُ لِإِعَادَةِ
دَوَائِي فَأَوَى لِي وَهَشَّ لِلْوِفَادَةِ وَارْتَاحَ وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَ
رَاحَ فَلَمَّا اسْتَأْذَنْتُهُ فِي الْمَرَاحِ إِلَى الْمُرَاحِ عَلَى كَاهِلِ الْمِرَاحِ قَالَ
قَدْ أَزْمَعْتُ أَلَّا أُزَوِّدَكَ بَتَاتًا وَلَا أَجْمَعَ لَكَ شَتَاتًا أَوْ تُنْشِيَ

دعاني وانطلق وبيدي زمامه وظلي أمامه والعجوز تاليته

لا تأتلي والرقيب الذي لا يخفى عليه خاف ولما استخلص وكني

واحضرته عجالة مكنتي قال يا جارتي امعناك تغلت

بئس الا البحوز فقال ما دونها ستر محجوز ثم فتح كريمته

وذرا بنو متّه فاذا سراجا وجهه يتقدان كأنهما الفرقدان

فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم تملكني

قالة لا طاقة عن اصطبار حتى سألته ما دعاك الى

[illegible]

في مسراك فتظاهر بالكمه وتشاغل بالنهمة حتى إذا قضى

وطره اتادى بنظره وانشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى
عن الرشد في أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل إني أخو عمى
ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لها امض الى المخدع فأت بغسولة تروق الطرف

وتنقي الكف وتنعم البشر وتعطر النكهة وتشد اللثة

وتقوي المعدة وليكن نظيف الظرف أريج العرف فتي

الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق

كافورا واقرن به خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل

أنيقة الشكل مدعاة الى الأكل لها نحافة الصب وصقال

العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب قال

فقالت لقد عددتها لما استعددتها فوجدت يد الضياع قد
غالتها عدى الرباع فقال لهما ابو الكلاع تحرّم
ويحك انقصر ويحك ابالله والنبي والذا لك انها الصفع على
ابا له فانصاعت تمعض مشيجها وتشدد نشيجها
فلما التهى عرضت بالرقعة ذو خبر وفطنة وقلت لهما ان
رغبتما في المشوف المعلم واشرتما الى الدرهم فبوحا بالسر
المبهم وان ابيتما ان تشرحا فخذا العطية واسرحا
فمالت الى استخلاص الدرهم والاعراض عن المبهم وقالت
دع جدالك وسل عما بالك فاستطلعتها طلع الشيخ و
بلده والشعر وناسج برده فقالت ان الشيخ من اهل
سروج وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفا الدرهم
خطف الباشق ومرقا مروق السهم الراشق فخالج
قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه وتأجج كربي لمصابه بناظريه
ولم يتهيأ ان افاجئه واناجيه لاعجم عوده واستجليه
ومكنت لاصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه
في الشرع ونشأت يتأذى بي قوم او يسري الي لوم
فرصدت مكاني وجعلت شخصه قيد عياني الى ان
انقضت الخطبة وحقت لو ثبة خففت اليه وتوسمته
على التمام حسنه فاذا المعنى المثبت بلا عماس وفراستي
فراسة اياس فعرفته حينئذ بشخصي وآثرته باحد قمصي
واعتبته الى قرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى دعوتي

وأمت وملكت وان هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته
إياها بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها الا وسعها
فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه ثم أعادها وقد
أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها فقال الحدث
أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الإفضاء فعن خطا
وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي متناسب الطرفين
منتسبا إلى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله
سواد العين يفشي الإحسان وينشي الاستحسان و
يغذي الإنسان ويتحامى اللسان إن سود جاد أو وسم أجاد
وإن زود وهب الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى
وقلما ينكح إلا مثنى يسمو بهجوده ويسمح مع موجوده
وينقاد مع قرينته وإن لم تكن من طينته ويستمتع بزينته
وإن لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي إما أن تبينا
وإلا فبينا فبدر الغلام وقال

أعارني إبرة لأرفو أطمارا ... عفاها البلى وسودها
فانخرمت في يدي على خطإ ... مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني ... بأرشها إذ رأى تأودها
وقال هات إبرة تماثلها ... أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق ميلي رهنا لديه ... وناهيك بها نسبة تزودها
فالعين قرحى لرهنه ويدي ... تقصر عن أن تفك مرودها
فاستعبد الشيخ عود مكحلتي ... وارث لمن لم يكن تعودها

فمضيتُ كما أمر لأدرأ عنه الغمى ولم أهمّ إلى أنه قصد أن يخدع
بإدخالي المخدع ولا تظنّيتُ أنه تمحّل للتحوّل في استدعاء
الجلاء والغسول فلما عدتُ بالملتمس في أقرب من
رجع النفس وجدتُ الجوّ قد خلا والشيخ والشيخة قد جلا
فاستشطتُ من مكره غضبا وأوغلتُ في إثره طلبا
فكان كمن قمص في الماء أو عُرج به إلى السماء .

المقامة الثامنة

أخبر الحارث بن همام قال رأيتُ من أعاجيب الزمان أنْ
تقدّم خصمان إلى قاضي معرّة النعمان أحدهما قد ذهب
منه الأطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال
الشيخ أيّد الله القاضي كما أيّد به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة
رشيقة القدّ أسيلة الخدّ صبور على الكدّ تخبّ أحيانا
كالنهد وترقد أطوارا في المهد وتجد في تموز مسّ البرد
ذات عقل وعنان وحدّ وسنان وكفّ ببنان وفم بلا
أسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض
وتُجلى في سواد وبياض وتُسقى ولكن من غير حياض ناصحة
خدعة خبّاة طلعة مطبوعة على المنفعة ومطواعة في
الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك
انفصلت وطالما خدمتك فجمّلتك وربّما جنت عليك

من عشيته اقبل على عاشيته وقال قد اشرب حسي

[illegible] انهما [illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible]

رمرم وسران جمرته [illegible] لم استخلج خبهما الا انهما

فقضاهما عوناً بن جبهما الله فلما تيلا من بينه قال لهما

اصدقاني سني تكركما ولكما الامان من تبعة نكركما فاتجهم

الحدث واستقال واقدم الشيخ وقال

انا السروجي وهذا ولدي ... والشبل في المخبر مثل الاسد

وما تعدت يده ولا يدي ... في اثم ثوبيما ولا في سرود

وانما الدهر المسي المعتدي ... مال بنا حتى غدونا نجتدي

كل ندي الراحة عذب المورد ... وكل جعد الكف مغلول اليد

بكل فن وبكل مقصد ... بالجد ان اجدى والا بالدد

تطلب ارزاقاً الى الحظ الصدى ... ونشهد العمر بعيش انكد

والموت من بعد لنا بالمرصد ... ان لم نفاجي النوم فاجافي عنه

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك فواها

لك لولا اخداع فيك واني لك من المنذرين وعليك من

الحاذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين فما كل مسيطر يقيل

ولا كل آوان يسمع القيل فعاهد الشيخ على اتباع مشورته

والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته والخجل

يتمع من جبهته قال الحارث بن همام

فلم ار اعجب منها في تصاريف الاسفار ولا قرات مثلها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال له بعد تمويه فقال

أقسم بالمشعر الحرام ومن ضمّه من ناسك حفّ منا
لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلاً من بيعه عالما ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني بصائبات من ها هنا وهنا
وضعفها لي بحيث يلبسه ضرّا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقا وهو أنا
لا هو يستطيع فكّ مرودِه لما غدا في يديّ مرتهنا
ولا مجالي للضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنا
فهذه قصتي وقصته فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصتهما وتبيّن خصاصتهما وخصاصهما أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام وافصلا فتلقّفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرّتي وسهمك لي عن إرث أبرتي ولست عن الحق أميل فقم وخذ الميل فعرى الحدث لما حدث اكتئاب وحزن له القاضي وهيّج أسفه على الدينار الماضي ثم تلافى الأمر وتداركه بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرآ المخاصمات ولا تحضرا لي في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بزغ فجره ولا يتصل بكنه مذ نجم حلمه حتى إذا أفاق

واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر غير ذي حرفة
فقيض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادي
أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه وادعى أنه طالما
نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي بزخرف محاله
وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي
ورحلني عن أناسي ونقلني إلى كسره وحصلني تحت أسره
وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته
برياش وزي وأثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم
وينفق ثمنه في الخضم والقضم إلى أن مزق ما لي بأسره و
أنفق مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي
أنقى من الراحة قلت له يا هذا إنه لا مخبأ بعد بوس ولا
عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجن
ثمرة براعتك فزعم أن صناعته قد رميت بالكساد لما
ظهر في الأرض من الفساد ولي منه سلالة كأنها خلالة
وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى دمعة
وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم
بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد
وعيت قصص عرسك فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن
لبسك وأمرت بحبسك فأطرق إطراق الأفعوان
ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب

المقامة التاسعة

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى
الاكتساب الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار
لاجني الثمار واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار
وكنت لقفت من افواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء
انه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه
ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن
في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما
وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت
عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت
بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند حاكم
الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات
ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة
مضبية فقالت ايد الله القاضي وادام به التراضي
اني امرأة من اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة
وعمومة ميسمي الصون وشيمي الهون وخلقي نعم العون
وبيني وبين جاراتي بون وكان ابي اذا خطبني بناة المجد
وارباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم

وما تجاوزت إذ مثلت به ... حد التراضي فتحدث المغضب

فإن يكن غاظها توهمها ... أن ثيابي بالنظم تكتسب

أو أنني نمقت خطبتها ... نسقت قولي لنسج لا أرب

فو الذي سارت الرفاق إلى ... كعبته تستحثها النجب

ما المكر بالمحصنات من خلقي ... ولا شعاري التمويه والكذب

ولا يدي مذ نشأت نيط بها ... إلا مواضي اليراع والكتب

بل فكرتي تنظم القلائد لا ... كفي وشعري المنظوم لا السخب

وهذه الحرفة المشار إلى ... ما كنت أحوي بها وأجتلب

فأذن لبسخي كما أذنت لها ... ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف القاضي إلى الفتاة بعد أن شغف بالأبيات وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام وميل الأيام إلى اللئام وإني لأخالك يا هذه صدوقا في الكلام بريئة من الملام وها هو قد اعترف بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم والإعنات للمعذر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي من غربك وسلمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما من الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على

أنا امرؤ ليس في خصائصه — عيب ولا في فخاره ريب

مروج داري التي ولدت بها — والأصل غسان معدن النسب

وشغلي الدرس والتجرد في — العلم طلابي وحبذا الطلب

ودرسها في بحر الكلام لدي — منه بضاع القريض والخطب

أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وانتخب

ولي بدائع الجنى من الفنون وغيري للعود محتطب

وعند انتقاضه فإذا — ما صغته قيل إنه ذهب

وكنت من قبل أمتري نشبا — بالأدب المقتنى وأكتسب

ويمتطي حمصي حرمته — مراتبا ليس فوقها رتب

وطالما زفت الصلات إلى — ربعي فلم أرض كل من يهب

فاليوم من يعلق الرجاء به — أكسد شيء في سوقه الأدب

لا عرض أبنائه يصان ولا — يرقب فيهم إل ولا سبب

كأنهم في عراصهم جيف — يبعد من نتنها ويجتنب

فحادثني لما تنبت به — من الليالي وصرفها عجب

وصافقتني لصوق تلك — وساودتني الهموم والكرب

وقادني دهري للئيم إلى — سلوك ما ليس يشبه الحسب

بعت حتى لم يبق لي نشب — ولا أثاث لديه أنقلب

وأدنت حتى تقلت ساقي — تحمل ديني من دونه العطب

ثم طوينا الحشى على سغب — خمسا فلم أمضي التعب

لولا الأحباب [illegible] — لكنت في [illegible] واضطرب

[illegible] والنفس كارهة — والعين عبرى والقلب مكتئب

ثم قال لنديمه الحق الأحمق على أثره فانطلق يجد في طلبه
ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي أما إنه لو
حضر لكفي المحذور ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته
أن الآخرة شر له من الأولى قال الحارث بن
همام فلما رأيت صغو القاضي إليه وفوت ثمرة التنبيه
عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار أو
الكسعي لما استبان النهار.

المقامة العاشرة

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق
إلى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا
عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي
وبرزت من الحمام بعد سبت راسي رأيت غلاما أوتي بسطة في
الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال وقد أعلق
شيخ بردنه يدعي أنه فتك بابنه والغلام ينكر عرفانه
ويكبر بهتانه والخصام بينهما مستطير الشرار والزحام
عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار إلى أن تراضيا بعد
اشتطاط اللدد بالتنافر إلى والي البلد وكان ممن يزن
بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته
كالسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه

كيد الزمان وكنده. فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده.
فنهضا والشيخ فرحة المطلق من الإسار. وهزة الموسر بعد
الإعسار. قال الراوي وكنت عرفت أنه أبو زيد
ساعة بزغت شمسه. ونزغت عرسه. وكدت أفصح عن افتنانه.
وإثمار أفنانه. ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه. وتزويق
لسانه. فلا يرى عند عرفانه. أن يرشحه لإحسانه. فأحجمت
عن القول إحجام المرتاب. وطويت ذكره كطي السجل للكتاب.
إلا أني قلت بعد ما فصل. ووصل إليه ما وصل. لو أن
لنا من ينطلق في أثره. لأتانا بفص خبره. وما ينشر من
حبره. فأتبعه القاضي أحد أمنائه. وأمره بالتجسس على
أنبائه. فما لبث أن رجع متدهدها. وقهقر متقهقها.
فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم. فقال
لقد عاينت عجبا. وسمعت ما أنشأ لي طربا. فقال له
ماذا رأيت وما الذي وعيت. قال لم يزل الشيخ
مذ خرج يصفق بيديه. ويخالف بين رجليه. ويغرد
بملء شدقيه. ويقول

كدت أصلى بلية	من وقاح شمرية
وأزور السجن لولا	حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته. وذوت سكينته. قال
فلما فاء إلى الوقار. وعقب الاستغراب بالاستغفار. قال
اللهم بحرمة عبادك المقربين. حرم حبسي على المتأدبين.

في ضمن تأتيه تخلّب الوالي بتلوّنه وتلطّفه في أذيّته

إلى أن رأى أن هواه علق قلبه وأتبله وتسوّل له الوَ

الذي تمنّاه والطمع الذي توهّمه أن يخلّص الغلام و

يستخلصه وأن ينقذه من حبالة الشيخ ويقنصه

فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالأقوى وأقرب

للتقوى فقال إلامَ تشير لأقفوه ولا أقف فيه

فقال أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر على مائة

مثقال لأتحمّل منها بعضا وأجبي لك الباقي عرضا فقال

الشيخ ما مني خلاف فلا يكن لوعدك إخلاف فنقد

الوالي عشرين ووزّع على من حضر تكملة الخمسين ورقّ

ثوب الأصيل وانقطع لأجله ثوب التحصيل فقال له خذ

ما تاح ودع اللجاج وعليّ في غد أن أتوصّل إلى أن يتيسّر

لك الباقي وتحصّل فقال الشيخ أفعل ذلك على أن

ألازمه ليلتي وأرعاه بإنسان مقلتي حتى إذا أعطى بعد

انسفار الصبح ما بقي من مال الصلح تخلّصت قلابته من

قوبي وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له

الوالي ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا قال

الحارث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ لحجج السروجية علمت أنه

علم السروجية فلبثت إلى أن شرّقت عمود الإظلام و

غرّبت نجوم الظلام ثم قصدت فناء الوالي فإذا الشيخ للفتى

كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحلّ الصّمد

واستخذى هذه واله فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته
وطرز عذاره بنفسج طرته فقال إنها إفكة أفاك على
غر سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال
الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين وإلا فاستوف
منه اليمين فقال الشيخ إنه جدله خاليا وأفاح دمه
متخاليا فأنى لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني
تلقينه اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت
المالك لذلك مع وجدك الملتهب على الفتى المستلب
[illegible]
[illegible]
والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج
والجفون بالسقم والآناف بالشمم والخدود باللهب
والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف
إنني ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي
غمدا وإلا فرمى الله جفني بالعمش وخدي بالنمش
وطرتي بالجلح وطلعتي بالكلح ووردي بالبهار و
مسكي بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق
وشعاعي بالإظلام ودهمتي بالأقلام فقال الغلام
الاصطلاء بالبلية ولا الايتلاء بهذه الألية والانقياد
للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد وأبى الشيخ إلا
تجريعه اليمين التي اخترعها وإمقاره جرعها ولم يزل
التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعر والغلام

لا ولا كل طالب يلج الفج ولو كان محذقًا بالكمين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير حتى حين
فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي ثم افترقنا بعد ذلك بمدة ولم أبل عذل لم عذره

المقامة الحادية عشر

حدث الحارث بن همام قال أنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت جمعًا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت إليهم متفكرًا في المآل ومتذكرًا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرًا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون للنزول

فقلت من هذا الغلام الذي عقت له الأعلام فقال
هو السروجي وفتاه الكرخي فقلت هلا كففت
عما شين فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال
لو لم تبرز جبهته الشين لما اقتنصت الحسنين ثم قال
بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى وندل الهوى من النوى
فقد أجمعت على أن أنسل بسحر وأصلي قلب الوالي نار
حسر قال فقضيت الليلة معه في سمر
أنق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى إذا لألأ الأفق
ذنب السرحان وآن انبلاج الفرحان ركب متن
الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق وسلم إلى ساعي
العراق رقعة محكمة الإلصاق وقال ادفعها إلى الوالي
إذا سلب القرار وحق منا الفرار فقصصتها
فعل المتلمس من فتح صحيفة المتلمس فإذا فيها
مكتوب

قل لوال غادرته بعد بيني سادماً نادماً يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين
خفض الوجد يا معنى فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت منه فهما وحزما والأديب المستحيي من
أن يغص من بعدها المطامع واعلم أن صيد الظباء ليس بهين

فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو   وتختال من الزهو   وتنصب إلى اللهو

كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك   وإبطا تلافيك   طباعا جمعت فيك

عيوبا شملها انضم

إذا أسخطت مولاك   فما تقلق من ذاك   وإن أخفق مسعاك

تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش   من الأصفر تهتش   وإن مر بك النعش

تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر   وتعتاص وتزور   وتنقاد لمن غر

ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس   وتحتال على الفلس   وتنسى ظلمة الرمس

ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ   لما طاح بك اللحظ   ولا كنت إذا الوعظ

جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع   إذا عاينت لا جمع   يقي في عرصة الجمع

ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط   إلى اللحد وتنغط   وقد أسلمك الرهط

إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود   ليستأكله الدود   إلى أن ينخر العود

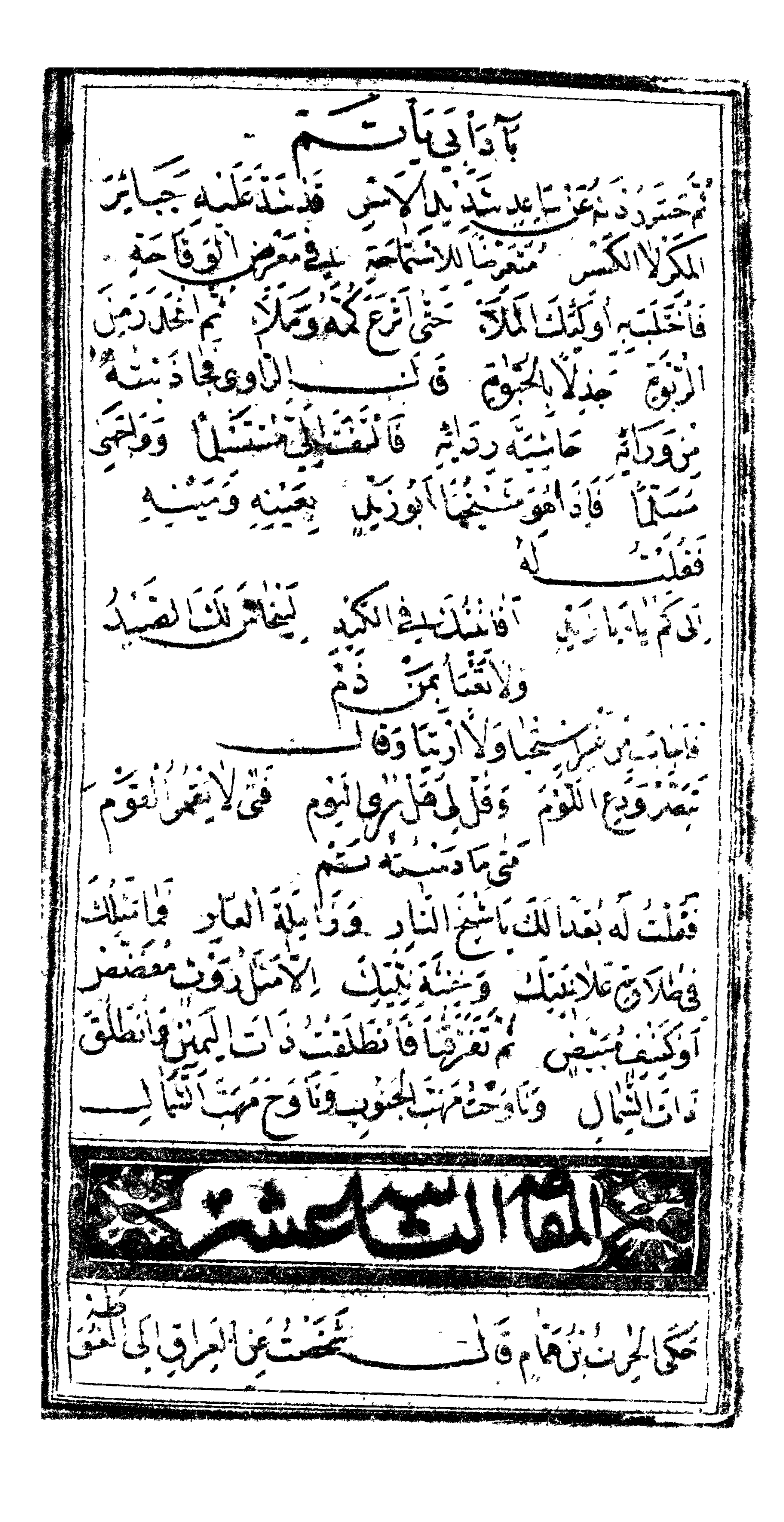
ويمسي العظم قد رم

اللذات ولا تنتهون لعيش نعم ولا تصبرون
عن نعيم ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون
لمناحة تعقد ييتم أحدكم بفقد ملك وقلبه ملقا
البين ويشهد مواراة نسيبه ويفكر في احراز
نصيبه ويخلي من وده ودوده ثم يخلو بمآربه
وسوده طالما استمر على أليام الحبة وتناسيتم
اصرام الأحبة وسكنتم لأعراض الغش و
انتصبتم لأغراض الإثم وضحكتم عند الدفن ولا
ضحكتم [illegible]
[illegible] يوم نقض الحواس وأعرضتم عن تعداد [illegible]
الى عداد الأدب وغرق التوكل الى التأنق في
المآكل لا تبالون من هو بال ولا تخطرون ذكر الموت
ببال حتى كأنكم قد علمتم من الحمام بذمام أو حصلتم من
الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة اللذات أو خفيتم
سآمة هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا
سوف تعلمون ثم أنشد

يا من يدعي الفهم إلى كم يا أخا الوهم تعبي الذنب والذم
وتخطي الخطأ الجم

أما بان لك العيب أما أنذرك الشيب وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صم

ينادي بك الموت أما أسمعك الصوت أما تخشى من الفوت



بأداني بأتم

ثم حضر ذو نعرٍ ناعد شديد الأسر قد شدّ عليه جبائر المكر لا الكسر متعرضاً للاستماحة في معرض الوقاحة فاحتلبه أولئك الملأ حتى أترع كمّه وملا ثم انحدر من الربوة جذلاً بالحبوة قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت إليّ مستسلماً وواجهني مسلّماً فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه فقلت له

إلى كم يا أبا زيد أفانين من الكيد لتجتاز بك الصيد
ولا تعبأ بمن ذمّ

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصّر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى لا يقمر القوم
متى ما دسته تمّ

فقلت له بعداً لك يا شيخ النار ووابلة العار فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبث نيتك إلا مثل روث مفضّض أو كنيف مبيّض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال ونافحت مهبّ الجنوب ونافح مهبّ الشمال

المقامة العاشرة

حكى الحارث بن همام قال شخصت عن العراق إلى الغوطة

ومن يبعد فلا بد من العرض اذا اعتد صراط جسره مد
على النار لمن ام
فكم من مرشد ضل وكم ذي عزة ذل وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم
فبادر ايها الغمر لما يحلو به المر فقد كاد يهي العمر
وما اقلعت عن ذم
ولا تركن الى الدهر وان لان وان سر فتلفى كمن اغتر
بافعى تنفث السم
وخفض من تراقيك فان الموت لاقيك وسار في تراقيك
وما ينكل ان هم
وجانب صعر الخد اذا ساعدك الجد وزم اللفظ ان ند
فما اسعد من زم
ونفس عن اخي البث وصدقه اذا نث ورم العمل الرث
فقد افلح من رم
ورش من ريشه انحص بما عم وما خص ولا تأس على النقص
ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل وعود كفك البذل ولا تستمع العذل
ونزهها عن الضم
وزود نفسك الخير ودع ما يعقب الضير وهيء مركب السير
وخف من لجة اليم
بذا اوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى راح

المنام لنعوذ بها من كيد الأنام فقال بعضنا يومض إلى بعض
ويقلب طرفه بين لحظ وغض ونتلوه أنا استضعفنا الجلد
واستنبتنا الحول فقال لهما ما لكما تخدمان جذى غمنا وتعلمان
تربى حسنا ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار وولجت
مقاحم الأخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب
خفير ثم إني سأقي ما آتاكم واستدل الجند الذي ما بكم
بأن أوافقكم في التداوق وأرافقكم في التساوق وأن
صدقتكم وعدي فاحمدوا سعيي واسعدوا جدي
وإن كذبتكم فمزقوا أديمي ولا تسودي فقال
الحرث بن همام فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق مداره
فثنينا عن مجادلته واشتملنا على معادلته وقصصنا
بقوله عرى الرثائث والغينا اتقاء العائث والعابث
ولما عكمت الرحال وأزف الترحال استقرأنا كلماته
الرقية لنحفظها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل
منكم أم القرآن كلما أظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع
وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات
ويا واقي المخافات ويا كريم المكافاة ويا موئل العفاة
ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم أنبيائك
ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته
وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين
وإعنات الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين

وانا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع
ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء
العنس الفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع الهوى
وطفقت افض بها ختوم الشهوات واجتني قطوف اللذات
الى ان شرع سفر في الاعراق وقد استفقت من الاغراق
فعادني عيد من تذكار الوطن والحنين الى العطن فقوضت
خيام الغيبة واسرجت جواد الاوبة ولما تأهب
الرفاق واستتب الاتفاق تلاحينا في المسير دون
استصحاب الخفير فذنا من كل قبيلة واعملنا في تحصيله
الحيلة فاعوز وجدانه في الاحيا حتى خلنا انه ليس من
الاحيا فحارت لعوزه عزوم السيارة وابدوا بابه
تحيرون للاستشارة فما زالوا بين عقد وحل وشد وحل
الى ان نفد التناجي وقنط الراجي وكان بحذائهم شخص
متسم بميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده
سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان وقد
لحظ الجمع وارهف اذنه لاستراق السمع فلما آنس انكفاءهم
وفهم تحاورهم قال [illegible]
ولما [illegible]
طفئ غمكم [illegible] قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الحماية
واسنينا له الجعالة على السفارة فزعم انها كلمات تلقاها

من الشريق قال الراوي فلقفناها حتى لقناها
وتدارسناها كي لا ننساها ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات
لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا
يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز منا العدات
حتى إذا عاينا أطلال عانة قال لنا الإعانة الإعانة
فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المعكوم والمختوم
وقلنا له اقبض ما استفاض فما نجد فينا عنك إعراض فما
استخفه سوى الخف ولا حلي بعينه غير العين فاحتمل
كلا منا وقره وبما يستدقه ثم خالسنا مخالسة
الطرار وانصلت منا انصلات الفرار فأوحشنا
فراقه وأدهشنا إمراقه ولم نزل ننشد عنه بكل ناد
ونستخبر عنه كل غاد وهاد إلى أن قيل إنه مذ دخل
عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول بسبكه
والانسلاك فيما ليس من سلكه فادلجت إلى الدسكرة
في هيئة منكرة فإذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان
ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس
وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان
وطورا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان
وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت
يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أأنسيت يوم
جيرون فضحك مستغربا ثم أنشد مطربا

وعدوان المعادين وغلبة الغالبين وسلب السالبين وحيل
المحتالين وغيلة المغتالين وأجرني اللهم من جور الجائرين
ومجاورة الجائرين وكفّ عني أكفّ الشانئين وأخرجني
من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اللهم احفظني في نومي ويقظتي وغيبتي وأوبتي ونهضتي
وفترتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومتقلبي واحفظني
في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعقدي وعهدي
ونسكي ومسكني وحولي وحالي ومآلي ومالي ولا تلقني
في تغيّر ولا تسلّط عليّ متغيّرا واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واحفظني
بأمنك ومنّك وتولّني باختيارك وخيرتك ولا تكلني
إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير واهية وارزقني رفاهة
غير واهية واكفني مخاشي اللأواء واكفني بغواشي الآلاء
ولا تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق
لا يتحرك ولا يحير لفظا حتى ظننا قد ألبسته خشية
أو أغشته غشية ثم أقنع رأسه وصعّد أنفاسه
وقال أقسم بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج
والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والطود
والعجاج إنها لمن أمر العود وأعقبكم من لا يبقي
مورد بها عند ابتسام الفلق لم ينفق من خطب
الى الشرق ومن ... بها طليعة الغسق أمر الله

بِرٍّ قَدْ قَدَحْ

وَدَاوِ الكُلُومْ — وَسَلِّ الهُمُومْ — بِبِنْتِ الكُرُومْ

الَّتِي تُغْتَدَحْ

وَخُصَّ الغَبُوقْ — بِسَاقٍ يَشُوقْ — بَلَاءَ المَشُوقْ

إِذَا مَا طَفَحْ

وَشَادٍ يُشِيدْ — بِصَوْتٍ تَمِيدْ — جِبَالُ الحَدِيدْ

لَهُ إِنْ صَدَحْ

وَعَاصِ النَّصِيحْ — الَّذِي لَا يُبِيحْ — وِصَالَ المَلِيحْ

إِذَا مَا سَمَحْ

وَجُلْ فِي المُحَالْ — وَلَوْ بِالمُحَالْ — وَدَعْ مَا يُقَالْ

وَخُذْ مَا صَلَحْ

وَفَارِقْ أَبَاكْ — إِذَا مَا أَبَاكْ — وَمُدَّ الشِّبَاكْ

وَصِدْ مَنْ سَنَحْ

وَصَافِ الخَلِيلْ — وَنَافِ البَخِيلْ — وَوَافِ الجَمِيلْ

وَوَالِ المِنَحْ

وَلُذْ بِالمَتَابْ — أَمَامَ الذَّهَابْ — فَمَنْ دَقَّ بَابْ

كَرِيمٍ فَتَحْ

قلت له [illegible] انت

هات من اي الاعياص عيصك فقد اعضلني عويصك

فقال ما احب ان افصح عني ولكن ساكني

انا اطروفة الزمان واعجوبة الامم

زمنا السفار وجبنا القفار وعفنا العقار
لاجتني الفرح

وخضت السلوك ورضنا الحلوك لحين دنوك
الصبى والمرح

ومطت الوقار وبعت العقار لحتفي العقار
ورشف القدح

ولولا الطماح الى شرب راح لما كان باح
فبي بالملح

ولا كان ساق دهاني النفاق لارض العراق
يجلي الشرح

فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن
فعذري وضح

ولا تعجبن لشيخ ابن بمعنى اغن
ودن طفح

فان المدام تقوي العظام وتشفي السقام
وتنفي الترح

واصفى السرور اذا ما الوقور اماط ستور
الحيا واطرح

واحلى الغرام اذا المستهام ازال كتام
الهوى وافتضح

فبح بهواك وبرد حشاك فرند اساك

نهم بما يدفع معاندنا فاقتصدنا وحدثت بخفض الارصاد
الى ان تصفنا الهدير فلما غاض درّ الافكار وضعفت
النفوس لما الانكار ولما نحن نقتبل من البعد ونحشر
ابصار الجهد وقد استقلت صفية الجمع المتعاود و
اضعف من الحوايل فما كتبنا ذراتنا ان عزمنا حتى
اذا ما حصرتنا فلست شاء الله المعارف وان لم
يكن معارف اعلوا بالمال الابل وبملك الازامل اذ من
سروات القبائل وسرايا العقائل لم يزل اهل ويعلي
يجلون الصدر ويبرون القلب ويطوون الظهر ويولون
اليد فلما اردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح وانقلب
ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين
وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وبانت
المرافق ولم تبق لنا ثنية ولا ناب فلما اغبر العيش الا
وازورّ المحبوب الاصفر اسودّ يومي الابيض وابيض
فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا
الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه فرارة وترجمانه
اصفراره قصوى بغيته احدم بردة وقصاوى منيته
بردة وكنت آليت ان لا ابذل الحر الا للحر ولو انني مت من
الضر وقد ناجتني القرونة بانك تجد عندكم المعونة
وآذنتني فراسة الحوبا بانكم ينابيع الحبا فنضّر الله امرأ
ابرّ قسمي وصدّق توسمي ونظر الى بعين يقذيها الجمود

وأنا الحُوَلُ الذي احتالَ في العُربِ والعَجَمْ
غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ هاضَهُ الدهرُ واخترَمْ
وأبو صِبيةٍ بدَوا مثلَ لحمٍ على وَضَمْ
ولأخو العَيلةِ المُعيلُ إذا احتالَ لم يُلَمْ

قال الراوي فعرفتُ حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرِّيَبِ والعَيبِ ومُسوِّدُ وجهِ الشَّيبِ وساءني عِظَمُ تمرُّدِه وقُبحُ تورُّدِه فقلتُ له بلسانِ الأنَفَةِ وإدلالِ المعرفةِ ألم يأنِ لك يا شيخنا أن تُقلعَ عن الخَنا فتضجّرَ وتنمّرَ وتنكّرَ وفكّرَ ثمّ قال إنّها ليلةُ مِراحٍ لا ابتلاحٍ ونَهزةُ شُربِ راحٍ لا اكتلاحٍ فدعْ عتابَنا إلى أن نلتقيَ غداً ففارقتُه فرَقاً من عَربدتِه لا تعلُّقاً بعِدَتِه وبتُّ ليلتي لابساً حِدادَ النّدَمِ على نقلي خُطا القدمِ إلى ابنةِ الكرمِ لا الكرمِ وعاهدتُ اللهَ سبحانه أن لا أحضرَ بعدها حانةَ نبّاذٍ ولو أُعطيتُ مُلكَ بغداذ وأن لا أشهدَ مَعصَرَ الشرابِ ولو رُدَّ عليَّ عصرُ الشبابِ ثمّ إنّا رحّلنا العِيسَ وقتَ التغليسِ وخلّفنا بين الشيخين أبي زيدٍ وإبليسَ

المقامة الثالثة عشر

روى الحارثُ بنُ همّامٍ قال ندوتُ بضواحي الزَّوراءِ مع مشيخةٍ من الشعراءِ لا يَعلَقُ لهم مُبارٍ بغُبارٍ ولا يجري

هو الذي تعنو النواصي له ... يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاه لم تبد لي صفحة ... ولا انتصدت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت أبياتها أعشار
القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه
الأشباح وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح فلما أفعم
جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت تتلوها الأصاغر
وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها إلى سبرها
لتبلو أقاصي سرها فتكفلت لهم باستنباط السر المورود
ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصة
بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وانملست
من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال إلى مسجد
خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب [illegible]
[illegible]
[illegible] فلما
انسرت هنبة الخفر ورأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت
بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجراه فاستلقى
استلقاء المتمرد ثم رفع عقيرة المغرد واندفع
ينشد

يا ليت شعري أدهري أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف عليهم وبنكر

ونقدُها الجود قال الحارث بن همام فهمنا البراعة
عباراتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك
فكيف إلمامك فقالت تفجر الصخر ولا فخر فقلنا إن جعلنا
من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولاً شعاري
ثم لأروينكم أشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت
برزة عجوز درديس وأنشأت تقول

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ... ريب الزمان المعتدي البغيض
يا قوم إني من أناسٍ غنوا ... دهراً وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ... ووصفهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ... في السنة الشهباء روضاً أريض
تشب للسارين نيرانهم ... ويطعمون الضيف لحماً غريض
ما بات جار لهم ساغباً ولا ... لروعٍ قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى ... بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى ... أسد التحامي وأساة المريض
فمحطي بعد المطايا المطا ... وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤساً له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله ... مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقي رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو ... بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ... ويغنم الشكر الطويل العريض

وتجاوز مجاوزة قريب لا غريب فأعجبنا بما أمر من نمطه
وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف
لحت وما استدعيت فقال أما أنا فعاف وطالب
إسعاف وشخص هصر عن هاف وناظر إلى سمع كاف
وأما الانبساط الذي ألقيت به الأزمة فما هو بحجاب
إذ ما على الكرم من حجاب فسألناه يا أهدى إلينا
وبما استدل علينا فقال إن للكرم نشرا تنم
نفحاته وتريد إلى روضه نفحاته فاستدلت شارح
عرفكم على نجع عرفكم وبشرني صوغ بشركم بنجح
المطلب من عندكم فاستخبرنا مستدعي لبانته
لنكمل إعانته فقال إن لي مآربا ولبناتي مطالبا
فقلنا كلا والله ما ابن سقفي وكلا كاسر صحفي
ولكن لكثرة النكس فقال إي ومن دحا السبع الطباق
ثم وثب للقتال كالنشيط من العقال وأنشد

إني امرؤ والله في ... بعد الوجى والتعب
وشفني شاسعة ... تقصر عنها خطبي
وما معي خردلة ... مطبوعة من ذهب
فليلتي منسدة ... وصرت في العتب
إن رحلت راحلا ... حثت دواعي العطب
وإن أقمت عن أذى ... فقصاري عدمي
فقرحتي في صعد ... وعبرتي في صبب

أصطاد قوماً بوعظٍ وآخرين بشعرِ
وأستفزُّ بخلٍّ عقلاً وعقلاً بخمرِ
وتارةً أنا صخرٌ وتارةً أختُ صخرِ
ولو سلكتُ سبيلاً مألوفةً طولَ عمري
لخاب قدحي وقلّ نجحي ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرتُ على طِيّة أمره وبدعة أمره وما زخرفه في شعره من عذره علمتُ أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيتُ إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على تحريم العجائز

المقامة الرابعة عشرة

حكى الحارث بن همام قال نهضتُ من مدينة السلام لحجة الإسلام فلما قضيتُ بعون الله التفث واستبحتُ الطيب والرفث صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرتُ للضرورة بما يقي حرّ الظهيرة فبينما أنا تحت طِراف مع رفقةٍ ظِراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى الوهج عين الحرباء إذ هجم علينا شيخٌ متسعسع يتلوه فتىً مترعرع فسلّم الشيخ تسليم أديب

أُرِيدُ مِنكُم شِوَاءً — وَجَرْدَقًا وَعَصِيدَه

فإن خلا فرقاقٌ — ثم تُوارِي الثَّرِيدَه

أَوَلم يكن ذا ولا ذا — فقَبْضَةٌ من ثَرِيدِ

وإن تعذر تطوا — فحق مر ونهيده

فأحضروا ما تشتهي — ولو شطا من قديدِ

وروحوا قلبي لما — يسوح من بلد

وللزاد لا بد منه — لرحلة لي بعيده

وأنتم خير رهط — يدعون عند الشديد

[illegible]

[illegible]

ويبغي في مطاوي — ما تزودون زهيده

وفي أجرو عقبى — تنفيس كربي حميده

ولي تسابيح فكر — تعض كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشكل يشبه الأسد . أرمضنا الوالد وودنا الولد فصنا بلا الصنع تشكرنا الوديه وأدنا به دنيه ولما عزما على الانطلاق وعقد الرحلة حلك نطاق قلت للشيخ هل حاجة تقضى لنا عن قريب أو تقضى حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل منزوفكم و حلي فقلت له فديناك كذلك وأفدنا كما أفدناك بالنعيم . فقد ملكنا فيك الحريم . فقص شعر

وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب

لما لكم منهلة ... ولا انهلال السحب
وسادكم في حرم ... ووفدكم في رحب
ما لاذ لاجئ بكم ... فخاف ناب النوب
ولا استدر راجي ... حياكم فما حبي
فانظروا في قصتي ... واحسنوا منقلبي
فلو تلوتم نسبتي ... في مطعمي ومشربي
لنا لكم صبري لذي ... اشكى للكرب
ولو حفظتم حسبي ... ونسبي ومذهبي
وما حويت من فنون ... من العلوم النخب
لما رأيتم شبهه ... في أدبي وأدبي
قلت أني لم أكن ... أرضعت ثدي الأدب
فقد داني شوقه ... وعقني فيه أبي

فقلنا له أما أنت فقد صرحت بأنك بفاقتك وعظم فاقتك واستعطفت بما توصلت إلى أدبك فأما ولدك فقال لهم يا بني كما قام أبوك وقف بما في نفسك لا فض فوك فنهض الفتى نهوض البطل البراز وأطلق لسانا كالعضب الجراز وأنشأ يقول

يا سادة في المعالي ... لهم جناب مشيد
ومن إذا ناب خطب ... قاموا بدفع المكيدة
ومن يجودون عفوا ... بذل الكنوز العتيدة

النديّ في ليلة فلمّا دلّ سماعها على شمسه ونمّ
عنوانها بسطرته علمت أنّ مسامرته غنم ومسامرته
نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام
فدخل شخص قد محى الدهر صفحته وفلّ الفطر حديدته
فحيّا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته
واعتذر من الطروق في غير وقته فتلقيته بالمصباح المتقد
وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا السروجي بلا ريب
ولا غيب فأحللته محلّ من ظفر بقصوى الطلب وفلي
من وقد الكرب بالمدفع الطلب ثم لبثنا نتشكى الأين
ولطائف في كم وأين هذا الليل دقق فقد أنضى
طريقي فقلنا مستنبطا برح الشعب ثم كاسد لبدا
الكتب وأحضرتهما حضر الضيفا المفاجي في الليل
الداجي فلم تقصر انقباض الحشم وأعرض إعراض البشم
فسوقت طيبا باستماعه واستطلعني حصول انقطاعه حتى كدت
أغلظ له في الكلام وأشنعه بهجة اللام فبينا من
لحات ناظري ساما من خاطري فقال يا صحبنا لنعمة
بأمن القمر تعد عما لنظرت بالك مصنوع شبح الي لا انا الذ
فقلت هات يا أبا الركبات فقال اعلم أني
أبان مختلف الأس وتحي وسواس فأقضى الي
غيبه وعود الشيخ شيبه نشد وسوق لإشراق
الى الأشواق منصتا لتنهد شيخ أوحى نسم

من ذكر أوطانه وتنشّد والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن … كيف السبيل إليها

وقد أناخ الأعادي بها وأخنوا عليها

فوالتي سرت أبغي … حطّ الذنوب لديها

ما راق طرفي شيء … مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع فكره أن يستوكفها ولم يملك أن يكفكفها فقطع إنشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولّى

المقامة الخامسة عشرة

حكى الحارث بن همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا أرق صبّ طريد عن الباب ومني بصدّ الأحباب فلم تزل الأفكار تحش همّي ويجيش في الوسواس وهمي حتى تمنيت لمضض ما عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلي الليلاء فما انقضت منيتي ولا انغمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل الحظ قد أقمر فنهضت إليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنّه الليل وغشيه السيل ويبغي الإيواء لا غير وإذا أسحر قدم

بل لانقراض العلم ودروسه، وأفول أقماره وشموسه

فقلت: وأي حادثة نجمت، وقضية استعجمت، حتى فاجأت

لك الأسف، على فقد من سلف؟ فأبرز رقعة من كمه

وأقسم بأبيه وأمه، لقد عرضها بأعلام المدارس، فما افتروا

عن الأعلام الدوارس، ولا استنطقها أحبار المحابر، فنسوا

ولا أخرس سكان المقابر، فقلت: أرنيها، فلعلي أعي فيها،

فقال: لما انعقدت في المنام، ورب رمية من غير رام، ثم

ناولنيها فإذا المكتوب فيها:

أيها العالم الفقيه الذي فا	ق ذكاء فما له من شبيه
أفتنا في قضية حار عنها	كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر	تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر	أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها	ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا	فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها، وخبرت سرها، قلت له: على الخبير بها

سقطت، وعند ابن بجدتها حططت، إلا أني مضطرم

الأحشاء، مضطر إلى العشاء، فأكرم مثواي، ثم استمع

فتواي. فقال: لقد أنصفت في الاشتراط، و

تجافيت عن الاشتطاط، فصر معي إلى غرفتي، لتطعم مما

نشتهي، وتفعل كما نبتغي، فذاك، فصاحبته إلى ذراه

كما حكم الله، فلم يلبث أن أخرج من التابوت، وأوفى

فقطفت بها ثمرا قد حسن تصفيفه ولحسن انقيه مصففه
فجمع على التحقيق صفاء الرحيق وفتور العقيق وقابله
بما قد تمدد كالابريز الاصفر واعطاه في اللون المزعفر
فهو يثني على طاهيه بلسان مشافهه ويصوب رأى
منشئه ولو تقدحه القلب فيه فأمرتني أن أشهوه
بقطانها واسلمتني العنبة الى سلطانها فقمت حاضرا من
صنت وادنيت من صبت لاوخذ ليعم على الحبل
للراجد ولكن الازدراد ولا قدم نشاو عنى على الذهاب
مع خرقة الالتهاب لكنهدا ان القوم وسودته والتعب
وثورته على ان انتجع كل ارض واقسم من الورد بعرض
فلم ازل محاذرة ذلك النهار انك ادعو الى الانتهار
فهي لا تحج سلة ولا تخلي تقع غلة الى ان ضعفت
الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت
بكبد حرى وتعبت طلاقدم نطلا وافحر اخرى فبينما
انا امشي واقعد واهب واركد اذ قابلني شيخ بادي
الهم الكلال وعيناه تهملان فاستفلني ما انا فيه
من كرب الذئب والجوى المذيب عن التطفي عد احطته
والطمع في مخاتلته فقلت له يا هذا ان لك لشانا
وقد تحرق لسرا فاطلعني على حالك واتحفني من
مقالك فانك ستجد مني طلبا اسيا اوعونا مواسيا
فقال والله ما انا في هي لعيشوفات ولا لرده مرافقا

حتى إذا علمت أن لو عني وعادة ذهبها أن بعد عني لو دب

حملني في ظلال اثبات وفكر في جواب الأبيات

فما لبث أن قام واحضر الدواة والأقلام وقال

قد ملأت الجراب فاملِ الجواب والا فهبها إن نكلت

لا غرام ما أكلت فقلت له ما عندي الا التحقيق فاكتب

الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني … كاشف سرها الذي تخفيه

إن ذاك الميت الذي قدم الشر … ع أخا عرسه على ابن أبيه

رجل زوج ابنه عن رضاه … بحماة له ولا غرو فيه

ثم مات ابنه وقد علقت … منه فجاءت بابن يسر ذويه

فهو ابن ابنه بغير مراء … وأخو عرسه بلا تمويه

وابن الابن الصريح أدنى إلى … الجد وأولى بارثه من أخيه

فلذا حين مات أوجب للعر … س ثمن التراث تستوفيه

وحوى ابن ابنه الذي هو في … الأصل أخوها من أمها باقيه

وخلا الأخ الشقيق عن الار … ث وقلنا تعسا له لا تبكيه

هاك عني الفتيا التي يحتذيها … كل قاض يقضي وكل فقيه

فلما أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي

أهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت إني

بدار غربة وفي إبعادي فصل قربة لا سيما وقد غدف

جنح الظلام وشح الرعد في الغمام فقال اعزب

عافاك الله إلى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت

بينا العنكبوت الا انه جحر ضيق زبيه بوسعه
دريهم فحجبني في القرى ومطاياه تتلوى فقلت
اربنا ازود راكب على اشهى مركوب وانتم صاحب من اضر
مضروب فافكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخلة
من لبان نخلة فقلت ايّاها عنيت ولا غيرها بغيت
فنهض نشيطا ثم ربض مستنشطا وقال اعلم
اصلحك الله ان الصدق منجاة والكذب عاهة فلا اجمعن
للجوع الذي هو شعار الانبيا وحلية الاوليا على ان
الجوع من مان وتخلق بالخلق الذي يجانب الايمان فقد
منع الحق ولا تاكل بثديها وتابى الدنية ولو اضطرت
اليها ثم لبست الشرنون ولا اعضي على صفقة مغبون
وما انا فدائن ربك فمن ان يهتك الستر وتعقدينا
الوتر فلا نلتقي بالانذار وعاد من المكهدة بنار
فقلت له والذي حرم اكل الربا واحل اكل اللبا ما فهت
بزور ولا دليتك بغرور فتعرف صحة الامر
وتجهد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة الصدوق
وانطلق مغذا الى السوق فما كان باسرع من ان قبل بهما
ووجهه يتلالا فوضعهما لدي ووضع الثمن
فاضربت بالخشن بالخشن فخط بيده العش
شابها النهم وحملت حملة الفيل المغتلم
وبوقه من النيل او اختبو

المقامة السادسة عشرة

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلاة المغرب
في بعض مساجد المغرب فلما أديتها بفضلها وشفعتها
بنفلها أخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا
صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون
زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد
وأدب يستزاد فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم
وقلت لهم أتقبلون نزيلا يطلب جنى الأسمار لا جنى الثمار
ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الحوار فحلوا لي الحبى وقالوا
مرحبا مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق خاطف أو نغبة
طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب
فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال
يا أولي الألباب والفضل اللباب أما تعلمون أن أنفس
القربات تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة
ذوي الحاجات وإني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي
استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص
فهل في الجماعة من يفثأ عنا حميا المجاعة فقالوا له يا
هذا إنك حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا فضالات العشاء
فإن كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال إن أخا

فقلت ولم تأباه مع خلو ذراك قال لأني أنعمت النظر
في تقلبات ما حضر حتى أشوى ولم ينتن وأبلى الفطر
في مصلحتك ولا أراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما
نعت وسلك كما بطنت لم يتخلص من كظة مدنفة
أو مضة متلفة فدعنا بالله كفافا وأخرج عني ما دمت
معافا فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما
سمعت ليته ولوت بيته خرجت من بيته بالرغم
وترود الغم خوف في السماء وتخبط في الظلماء
وتنحي الكلاب وتقاذف بي الأبواب حتى ساقني
إليك لطف القضاء فشكرا لبين السنا فقلت له
نحبا لهاتك الناح إلى قلبي المرتاح ثم أخذ يفتن في
حكاياته وينمط مضحكاته بمنكاياته إلى أن عطس أنف
الصباح وهتف داعي الفلاح فأجاب لإجابة الداعي
ثم عطف إلى معاني فقعقعه عن الانبعاث وقلت الضيافة
ثلاث وما حضر إلى الثلاث وإن رحلت رحلة خرقاء
نقصت اللقاء وسؤت الأصدقاء فأنشد وخرج
ثم أم المخرج وأنشد أدعج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون إليه

قال الحارث بن همام فودعته بقلب دامي القرح
ووددت لو أن أنملتي بطانة الصبح

تذري فلما عثر على افتضاحها ونضوب ضحضاحها قال يا قوم إن هذا لعناء العظيم استبلاد الفهيم والاستغباء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم ثم أقبل عليّ وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فإن شئت أن تنثر ولا تعثّر فقل مخاطبا لمن ذمّ البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمّل إذا لمّ وملك بذلك وإن أحببت أن تنظم فقل للذي تعظم

اسْ أرملا إذا عرا وارع إذا المرء أسا
أسند أخا نباهة أبن إخاء دنسا
أسل جناب غاشم مشاغب إن جلسا
أسر إذا هبّ مرا وارم به إذا رسا
اسكن تقوّ فعسى يسعف وقت نكسا

قال فلما سمعنا آياته وخبرنا بعد غاياته مدحناه حتى استعفى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمّر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد أصحابه

لله درّ عصابة صدقوا المقال فعالا
فاقوا الأنام فضائلا نوافلا وفواضلا
عاقرتهم فوجدت نجحا لديهم وافلا
وجلت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا
أقسمت لو كان الكرام حيا لكانوا وابلا

ثم خطا يتهدد محتبي ونأى مستعديا من الحين وقال

استأنس [illegible]

فأ [illegible]

وتنكر نطقه وطيش برق ما يحمل لبه ونبا عن الى

استيعاب ملح الأدب وعيونه واستنباط معينه من غوره

الى أن طلبنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب

كاس فقد اعيينا الى أن نستنتج له الأفكار ونقترح فيه

الأبكار على أن ينظم البادي ثلاث جمانات في عقده

ثم تتدرج الزيادات من بعده فيربح ذو ميمنة في نظمه

ويرجع صاحب منسرته على رغمه قال الراوي

وكنا قد اصطففنا عدة أصابع الكف وبالقعدة العدد أصحاب

الكهف فابتدر لقطع بحثي صاحب ميمنتي وقال

لم أخا ملّ وقال تاليه كبّر رجاء أجر ربك

وقال الذي يليه من يرب إذا برّ ينم وقال

الآخر سكت كل من نم لك تكس وأفضت النوبة الي وقد

نعش نظم السمط السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر

ويثري ويعسر وهو مع ذلك يستطعم فلا أجد من

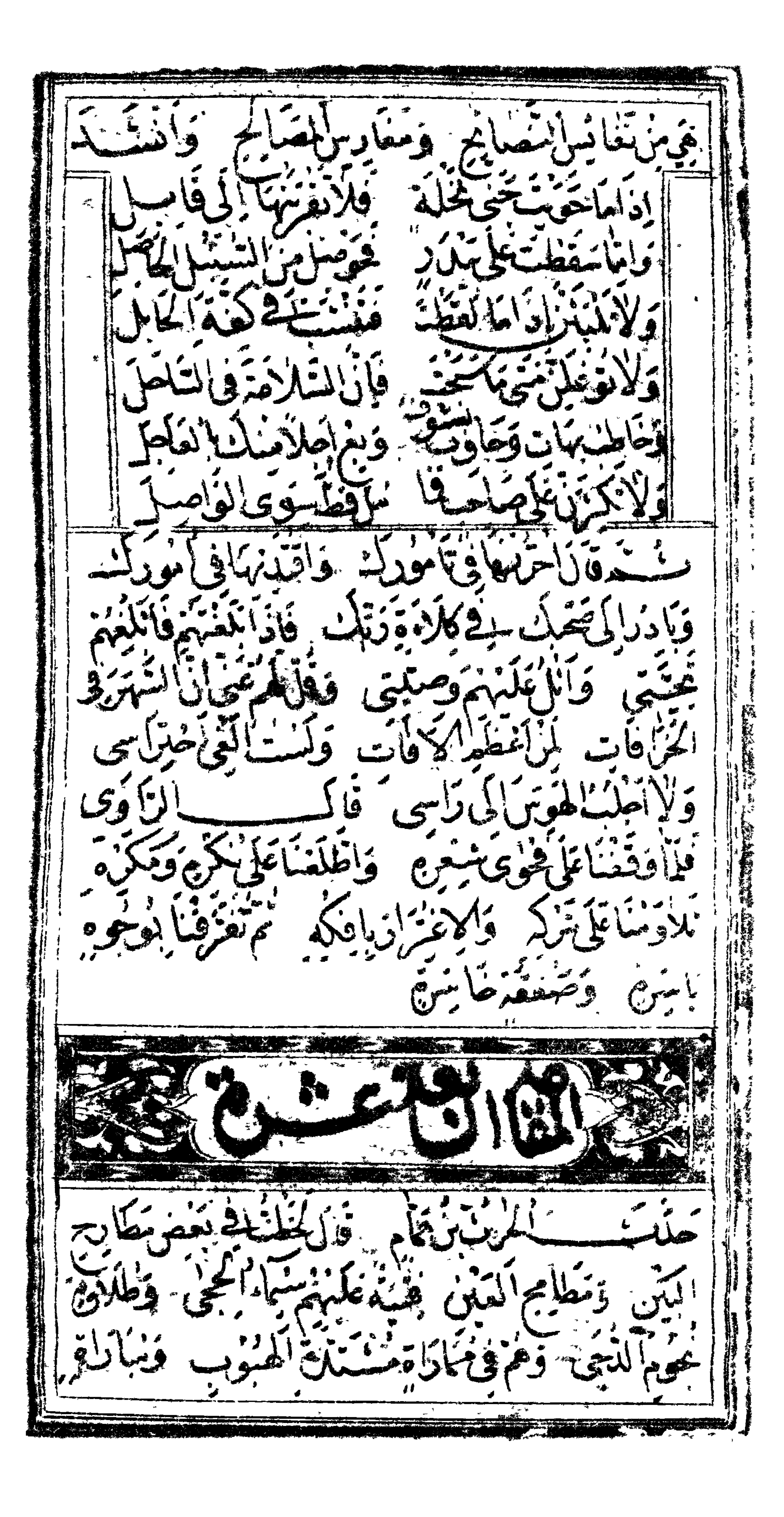
نظم الى أن نكد التشميم وخصخص التسليم فقلت

لأصحابي لو حضر الشيخ هذا المقام لشفى الداء العقام

فقالوا لو نزلت هذه بإياس لأمسك على ياس وجعلنا

نفيض في استصعابها واستغلاق بابها وذلك الزود

المقتري يلحظنا لحظ المزدري ويولينا الدرر وهو لا



هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى قابل
وإما سقطت على بيدر فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن فيما تخف فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب فما يرفض سوى الواصل

ثم قال أحرزها في تامورك واقتد بها في أمورك وبادر إلى صحبك في كلاءة ربك فإذا لقيتهم فبلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني إن السهر والخرافات لمن أعظم الآفات ولست آلو احتراسي ولا أطلب الهوى إلى راسي قال الراوي فلما وقفنا على فحوى شعره واطلعنا على نكره ومكره تلاومنا على تركه والاغترار بإفكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة الرابعة عشرة

حدث الحارث بن همام قال خالطت في بعض مطارح البين ومطامح العين فئة عليهم سيماء الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مماراة مستنة الهبوب ومباراة

يا عز من عدم الآل وكثر من سلب المال إن الغاسق وقب
ووجه الحجة قد انتقب وبيني وبين كني ليل دامس
وطريق طامس فهل من مصباح يوضح لي الغار ويبين
لي الآثار قال فلما انجلى بالقبس وجلى الوجوه
ضوء القبس رأيت صاحب عيرنا هو أبو زيدنا فقلت
لأصحابي هذا الذي أشرت إليه إذا نطق أصاب وإن
استمطر صاب فانثلموا نحوه الأعناق واحدقوا به الأحداق
وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن يجنبوا غيلته
فقال حيا لما حييتم ورحبا كما رحبتم غير أني
قد تركت أطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي
بوشك الرجوع وإذا بت أوي خامرهم الطيش ولم
يصف لي العيش فدعوني لأذهب فأسد خمصتهم
وأسيغ غصتهم ثم أنقلب إليكم على الأثر متأهبا
للسمر إلى السحر فقلنا لأحد الغلمة اتبعه إلى فئته لتكون
أسرع لفيئته فانطلق معه مصطحبا جرابه ومحتضنا
لبابه وانطلقا طويلا ثم عاد الغلام وحده
فقلنا ما عندك من النبأ عن الخبيث فقال
إنه أخذني في طرق متشعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا
إلى دويرة خربة فقال ها هنا مناخي ووكر أفراخي
ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه وقال لعمري
لقد ضعفت علي واستوجبت الحسنى مني فهاك نصيحة

الفضل. فإن سمحت خواطركم بمحصَّل وإن صلدت زندتنا
قدحنا. فقالوا له والله ما لنا في بُعد هذا البحر مسبح
ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد وهَنِّ
العطية بالنقد ولقد نالنا إخواننا يحيّونا أو يؤنبون
وينبئون متى استثنيت. فأطرق ساعة ثم قال
سمعًا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني
الإنسان صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب
وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة
وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب
المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق الحديث
حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك
الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الأخلاق
وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزامة زمام السلامة
وتطلب العثرات شر المعايب وتتبع العورات يحصر
المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة
النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف
وثقل المعونة ينسي المؤنة وفضل الصدر سعة الصدر
وزينة الدهاة مقت الشماتة وعزة المدائح تنجح المناجح
ومهاد الوسائل تشفع المسائل ومحض العواقب
استغراق العاقبة وتجاوز الحد أكل الحد وتعدي [illegible]
يحط الرتب وتناسي الحقوق ينسي العقوق [illegible]

ستثلة الأنبوب وتبيّنت بقصدهم هوى المحاضرة واستحلا
ئي المناظرة فلما التحفت بمرطهم وانتظمت في سمطهم
قالوا أنت ممن يُدلي في الهيجاء ويُدلي دلوه في الدلاء فقلت
بل أنا من نظّارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب
فأضربوا عن محاجّتي وأفاضوا في التناجي وكان في حلقة
حلقتهم والآخذ في رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوّحته
السموم حتى عاد أنحل من قلم وأقحل من جَلَم إلا أنه
كان يبدي العجاب إذا أجاب وينسي سحبان كلما أبان
فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك العصابة
وما زال يفضح كل مُعمّى ويصمي في كل مرمى إلى أن نضب
الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انقباض القوم
واضطرارهم إلى الصوم عرّض بالمطارحة واستأذن في
المفاتحة فقالوا له حبذا ومن لنا بذا فقال أتعرفون
رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوال
وخطّت في لونين وصلت إلى حسنين وبرزت في شخصين
بل تحتجب شرقيها فامتلكت رونقها وانطلقت
[illegible]
بالصمات أو خفيت عليهم كيفية الإنصات فأخرسهم
لسان ولا أفاه لهم لسان فحين رآهم يحاكون الأنعام
ويحكون الأصنام قال لهم قد أمهلتكم أجل العدّة
وأدخلتكم خفوف المدة ثم عاهدنا مجمع الشمل ومن
وقف

برسالته القهقرية وأملوحته المتشدقة علمنا كيف يتفاضل
الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم أعتلق
كل منا بذيله وقلد له فلذة من نيله فأبى قبول فلذة
وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له كن أبا زيد على تحوب
تحنيك وتضوع مسكة وحنك فقال أنا هو على عوزي
وعولي وقشف تحولي فأخذت في تزنيته على تشريفه
وتبريزه فحوقل واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سل الزمان علي عضبه ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كراه مراغمًا فسال غربه
وأجالني في الآفاق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرى بشحطه متغرب ونواه غربه

ثم ولى يخوض غطمطه ويختطي سبسبه ونحن نتلفت
إليه ونتهافت عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحبا وتفرقنا
أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من
الشام نحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة
أولي خير ومير ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان

[illegible] برفع الرتب وارتفاع الأخطار باقتحام
الأخطار وتسنم الأقدار بمواتاة الأقدار وبروغ
الآمال بعد في تصفية الأعمال وإطالة الفكرة تنقيح
الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاج
تلقى الحاجة وعند الأوجال تفاضل الرجال
وبتفاضل الهمم تفاوت القيم وبترك التشمير يمر
التدبير وتحلل الأحوال تمتين الأهوال وبموجب
القصر نمو النقص واستحقاق الإحماد بحسب
الاجتهاد ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة وصفاء
الموالي بتعهد الموالي وعلى المروءات بحفظ الأمانات
واعتماد الإخوان تحصين الأعوان ودفع الأعداء
كذا الأوداء وامتحان العقلاء بمعارضة الجهلاء وبصر
تصوب بوس المعاطب وانتقا السمعة بنشر الشمعة
وعمر الجفا تنافي الوفا وخوض الأخدار عند الأشرار
تم فصل من هذا الكلام يحتوي على أدب وعظة فمن
تأمل هذا السياق فلا غرو ولا اتفاق ومن رام عكس
ما فيها وأثرها على عصرها فليقل الإنشاد عند
الإعداد وجوه الوفا تنافي الجفا وفتح السمعة
[illegible] في هذا المنهج فليسحبها ولا يضرها
[illegible] وأحسن دررها وزين الإحسان
[illegible] الراوي فلما صدع

عقرب ولعقله تهذيب وخلق سمح شفيق فملكت
بمجاورته المحاورة واغريت بمكاثرته في معاشرته
واستهوتني خضرة منبته لما انسته واغرتني صدق سمته
بما سمته فابتعته وعندي انه جاف مكاسر فبان انه
عقاب كاسر وأسسته على أن نحت مؤانس فوضح انه
حباب مؤالس ومليحة ولا أعلم انه عند نقده ممن
يفرح بعقله وعاقرته ولم ادر انه بعد قره من يطو
لمغرم وكانت عندي جارية لا يوجد لها في الجمال
مجارية ان سفرت خجلت النيرين وصلبت القلوب
بالنيرين وان بسمت ازرت بالجمان وبيع المرجان
بالمجان وان رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل
وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل
وان قرأت شفت المفؤود وانعشت الملحود وحكت ما اوتي
من مزامير آل داود وان غنت ظل معبد لها عبدا وقيل
بحقها لاسحاق فبعدا وان زمرت اضحى زنام عندها زنيما
بعد ان كان لجيله زعيما وبالاطراب زعيما وان رقصت
امالت العمائم عن الرؤوس وانستك رقص الحبب في الكؤوس
فكنت ازدري معها حمر النعم واحل محلها حبة العمر
واحجبها عن الشمس والقمر واذود عنها كل ما عن
مشايخ السمر وانا مع ذلك اشح من ان تسرح بها مارح
او يكهن بها سطيح او ينم عليها برق ملمح فاتفق لوشك

وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان

في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها أحد التجار

فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلا حتى

سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة

فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من أطعمة اليد و

اليدين ما احلولى في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاما كأنما

جمد من الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء

أو قشر من الدرة البيضاء وقد أودع لفائف النعيم

وضمخ بالطيب العميم وسيق إليه شرب من تسنيم وسفر

عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اضطرمت بمحضره الشهو

وعزمت على مجتنى اللهوات وسارقا أنس على سربه

الغارات ونادى عند نهبه يا للثارات نفر أبو زيد

كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه

على أن يعود وأن لا يكون كقدار في ثمود فقال

والذي ينشر الأموات من الرجام لا عدت أو يرفع الجام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الجام فقال إن الزجاج نمام وإني آليت مذ أعوام

أن لا يضمني وإياه مقام فقلنا وما سبب ذلك الضرى

في ثيابك الحرى فقال كان لي جار يتقرب ويتملق

الحين إلى أن قصته سواء والحين يضيق العين ولم يحط
الواشي بغير الإثم والشين فما هدانا الله تعالى بعد ذلك العهد
إلا إلى أن صرنا ما بين بعد والرجاء مخصوص بأهل الطلبا
الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة فقد جرى عليه سنن
يميني ولذلكم الشيء لم يمتد إليه يميني

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته
على أن حرمتم لي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وإنني
سأزلق فتقي من تليدي وطارفي
على إنما رودتكم من فكاهة
الذم الحلوى لدى كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا أعذاره وقلنا
عذره وقلنا له قدما وقدنا النميمة خبرا لبشر نحلها البشر
عن حمالة الحطب المنتشر ثم سألناه عما أعده لجانة القتات
ودخلته المقتات بعد أن دانى له سبل السعاية وحقدم حبل
الرعاية فقال أحدو في الاستجداء والاستكانة والاستسقاء
إلى ذوي المكانة وكنت حرجت على نفسي أن يسترجعه أمسي
أو يرجع إلى أمسي فلم يكن له مني سوى الرد والإصرار على الصد
وهو لا يكتسب من الحجر ولا يستتر وقاحة الوجه بل يلط
بالوسائل ويلح في المسائل فما انفك من مرامه ولا انفك
عليه سبل مرامه إلا أبيات نفثها الصدر الموتور والحاضر

أليف المجون وبلد الطالع المنحوس أن لفظتني يد وضعها
حمّا المدام عند إبدار التمام ثم ثاب لهم بعد أن
صرد السهم فأحكمت الحبائل والوبائل وصنعت ما أودع
ذلك الغزل بيد أني عاهدته على كتم ما لفظته وأن يحفظ
السر ولو أحفظته وزعم أنه يجل الأسرار كما يجل اللئيم
الدينار وأنه لا يهتك الأستار ولو عرض لأن يلج النار
فما أن مرّ على ذلك الزمان إلا يوم أو يومان حتى بدا
لأميرنا المدرة وواليها ذي المقدرة أن يقصد باب
قلّه مجددا عرض حيله ومستمطر العارض نيله وارتاد
أن يتحفه تحفة تلائم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل
يبذل الجعائل لرواده ويستنبئ المراغم لمن يظفر بمراده
فاستنفذ ذلك العار الختار إلى تذوّله وعصى في إذراع العار
عذل عذوله فأقبل إلى ما يزاد منه وأبثه ما كنت أسررته
إليه فاداعي الاستيثاق صاغيته إلي وأننا الحظوة
على سمو إيثاره بالدرة اليتيمة على أن أحكم عليه في
القيمة فغشيني من الهم ما غشي فرعون وجنوده من اليم
ولم أزل أدافع عنها ولا ينفع الدفاع وأستشفع إليه ولا تجدي
الاستشفاع وكلما رأى مني زيادة الاعتياص وارتياد
المناص حمّم وتضرّم وحرق علي الأرم ونهى مع ذلك
لا أنسم بمفارقة بلدي ولا بأن أنزع قلبي من صدري حتى
أوعد إيقاعا والتزم وقاعا فقادني الإشفاق من

عفوا ... من الغرب فنها حلوا القدوة الارض ...
[illegible]
البري لدى خاطبه وهذه الابنيه تنزل منزلة الابرار
فصونها لا تشرك بها ذوي الابعاد ولا تلحق مورودا بعاد
ثم امر خادمه بنقلها الى المثوى ليكرم عنها بما يهواه فلما
علمنا ابو زيد قال اقروا سورة الفتح وابشروا بذكر ما
انفتح فقد جبر الله كلمكم وشفى كلمكم وجمع في طي
حلوانكم وعسى ان تكرموا اسيانا وهو ضيف لكم ونلمح
بالانصراف مال الى استهداء الصلاف فقال للاديب
من لا زال الظرف سماحة المبدي بالظرف فقال كلاهما والعلا
فاصدقا الكلام وانهض بسلام فرسخ في الجواب وشكره
شكر الروض للسحاب ثم اهادنا ابو زيد الحجارة وحكمنا في
حلوانه وجعل يقلب الاواني بيده ويفض عقد دمائها على عدده
ثم قال لاستاذه اتشكر ذلك انعام ام كفر ام اتناسى
فعلته ام اذكر فانه وان كان اسلف جريمة ونمم النميمة
فمن عمه ان لشهدة الديمة ويشفه لنا رحلة هذه الغنيمة
وقد خطر ببالي ان ارجع الى اشبالي واقنع بما تسنى لي
فاني لا استعمي ولا اتجالى وانا اودعكم وداع محافظ و
استودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته زاجلا في
حافرته ولاويا الى ذا فرته فبادرنا بعد ان وجهت عنه
ودلنا انه كست غاب صدره اوليل اقل بدره

نور اذا كانت مدخر لسلطانه وسجية له في اوطانه
وعند استشارها استطلاع الحمود ودعا بالويل والثبور وابتر
بتر وصلى المعهود كما يبتر الكفار من اصحاب القبور
فاستدناه ان يجددنا اياها ويستغفرنا اياها فقال الم
خلق الانسان من عجل ثم انشد لا تزر وتخجل والانبه وجل

ولم احصنه صدق ودي اذ توسمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال حين الفيته صديدا اجيما
علمه قبل ان يجرب لما اذ سام عابه خلفا ذميما
وتجربته كلما فاضني منه قلبي بما نجاه كليما
وتصديه مصارحا فثنيته لعسا رحيما
وتداركته بخلق عتيق كنت منه الكريما لئيما
ونوبت ان بهت نسيا فاني اذ نبهت لا اسموما
بت لمعه الذي تحرى ان افقهما وبات سليما
ومنا امر علاه اوفقنا مستنيما والجسم سقيما
لم يكن بعلمه حسنا ولكن كان بالشر لعالي خصيما
وقت الاوبة لبثه كان سديما ولكن تلك بنا
بشر الصبح ثم الى قلبي لان الصباح تلوموما
وذاني الهوى الليل اذ كان سواد الدجى فيا كف
ولكن نسي فلوفاه بالصدق اتاما فهما اتاه ولوما
فلما سمع الحرث قريضه وتبجحه واستمل تقريظه
بسمه تواه ما ذكر امنه وصدره على تكرمته ثم تخصص

حلّ ذري تنل بهم نجوهم كأنهم ارتضعوا المجد ربيبا
أتانوا العروب وعطّلوا الجيوب وصكّوا الخدود و
يودّون لو ساهمه المنون وغالت تمائمهم واتقوا

قال الراوي وكنت فيمن لفّ أصحابه وأعدّ إلى بابه فلما انتهينا إلى فنائه وتصدّينا لاستنشاء أنبائه برز إلينا فتاه مقترّة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة إلى أن شفّه الترنّق واستشفّه التلف ثم منّ الله تعالى بتقويم دمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا ارتعاجكم فكأن قد غدا وراح وساقى الراح فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذنا بنا ثم خرج آذنا لنا فلقينا منه لقى ولسانا طلقا فجلسنا نحدقين بسريره محدقين إلى أساريره فقلّب طرفه في الجماعة ثم قال اجتلوها بنت الساعة وأنشد

عافاني الله وشكرا له | من علة كادت تعفّيني
ومنّ بالبرء على أنه | لا بدّ من حتف سيلويني
ما دنا ساني ولكنه | إلى تقضّي الأكل ينسئني
إن حمّ لم يغن حميم | ولا حمى كلّب منه يحميني
وما أبالي إذ دنا يومه | أم أخّر الحين إلى حين
فأيّ فخر في حياة أرى | فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل

المقامة التاسعة عشرة

روى الحارث بن همام قال أمحل العراق لعام العوم
لاختلاف أنواء الغيم وتحدث الركبان بخصب نصيبين و
بلهنية أهلها المخصبين فاعتقدت واعتقلت ثم تهيأت
وسريت تلفظني أرض إلى أرض ويجذبني رفع من خفض
حتى بلغتها نقضا على نقض فلما ألقت بمقلها الخصيب
وضربت في مرعاها بنصيب نويت أن ألقي بها جراني وأتخذ
أهلها جيراني إلى أن تنجلي سنة الجماد وتتعهد أرض قومي
العهاد فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت
ليلتي عن يومها أو ألفيت بها أبا زيد السروجي يجول في أرجاء
نصيبين يخطب بها خطب الصائبين لا المصيبين وهو
ينثر من فيه الدرر ويحتلب بكفه الدرر فوجدت بعهاد
قد عاد مغنما وفتحا لشذ قد صار توأما ولم أزل أتبع
ظله أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث إلى أن عرا مرض
استدّ مداه وعرّقه مداه حتى كاد يسلمه لوث الحما
ويسلمه إلى أبي يحيى فوجدت لفوت لقياه وانقطاع سقياه
ما يجد المعدم من مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجفت بأن
رهنه قد غلق وحبل الحمام به قد علق فقلق صحبه لإرجاف
المرجفين وانثالوا إلى عقوته موجفين

بأم القرى المذكّرة بكسرى، ولا تنس أمّ جابر فكم لها من ذاكر، ونادِ أمّ الفرج ثم اقلب بها ولا حرج، فاختم بأبي دزين فهو مسلاة كلّ حزين، وإن تقرّبت إلى أبي العلاء ثم أمّه من الجلاء، وإيّاك واستفتاء المرجفين قبل استقلال حمول البين. وإذا نزع القوم عن المراس وصافحوا أبا إياس فاطف عليهم أبا النشو فإنه عنوان النشو. قال ففقه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات والطيب إلى أن أذنت الشمس بالمغيب. فلمّا أجمعنا على التوديع قلنا له ألم تر إلى هذا اليوم البديع كيف بدا صبحه مقطريرا ومسيه مستنيرا فسجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال

لا تايسا عند النوب ... من فرجة تجلو الكرب

فلكم سموم هبّ ثم جرى نسيما انقلب

وسحاب مكروه تنشّا فاضمحلّ وما سكب

ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى وعلى بقيته غرب

فاصبر إذا ما ناب روع فالزمان أبو العجب

وارج من روح الإله لطائفا لا تحتسب

قال الراوي فاستملينا أبياته الغرّ، وأتينا لله تعالى الشكر، وودّعناه مسرورين ببرّه متموّلين بتبره.

ثم ندب داعينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا بل تبو
بيتون عندي لتبلغوا الفكاهة وحدي فان
مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس انسي فحمدنا مرضاته
وتحامينا مناصاته واقبلنا على الحديث نمحص زبده
ونلغي زبده الى ان حان وقت المقيل وكلت الالسن من
القال والقيل وكان يوما حامي الوديقة يانع الحديقة
فقال ان النعاس قد امال الاعناق وداود الاحداق
وهو خصم الد وخطب لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة
واقتدوا فيه بالآثار المنقولة قال الراوي
فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان
واوقع السنة في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود
وصرفنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا الا والحر
قد باخ والنوم قد نساخ فتكرعنا لصلاة الظهر
وادينا ما حل من الدين ثم تحفزنا للارتحال الى ملقى
الرحال فالتفت ابو زيد الى شبله وكان على شاكلته
وشكله وقال اني لاخال الارق قد اضرم في
احشائهم الحرق فاستدع ابا جامع فانه يشهي كل جائع
واردفه بابي نعيم الصابر على كل ضيم ثم عزز بابي حبيب
المحبب الى كل لبيب المقلب بين احراق وتعذيب واهتف بابي
عتيق فنعم هو من رفيق واهتف بابي عون فما مثله من
عون ولو استحضرت ابا جميل لجلا بتجمل وجه

وقوله حهل اي عجل يقال جهلا لفلان بتسكين اللام
وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول
ابن مسعود في عمر رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحهلا بعمر
وفي حهل لغات تأخر تفسيرنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع
استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ اللغوية واما
تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية
فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع وكني ايضا
ابا مالك وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحواري
وابو حبيب الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون الملح
وابو جميل البقل وام القرى السكباج وام جابر الهريسة
وام الفرج الجوذابة وابو رزين الخبيص وابو العلاء
الفالوذج وابو اياس الغسول والمرجان الطست
والابريق وابو النشر البخور

المقامة العشرون

حدث الحارث بن همام قال سمرت بميافارقين مع رفقة
موافقين لا يمارون في المباحاة ولا يدرون ما طعم
المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن
الفه وجاره فلما انخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا عن
الاكوار الى الاوكار تواصينا بادكار الغربة وتناهينا

تفسير ما تضمنت هذه المقامة

من ألفاظ لغوية
وكنى طفيلية
وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والشمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما أنها سميت بذلك لصلابتها وهو من قولهم اشمهر الشيء إذا اشتد وقيل أنها منسوبة إلى شمهر وهو زوج ردينة وكانا جميعاً يقومان الرماح فنسبت إليهما وقوله ضرب الله على الآذان أي أنامنا ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم أي أنمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله تكرعنا لصلاة العجماوين أي غسلنا الأكارع وهو كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاستسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار عجماء وقوله هلم أي قل له هلم وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل والأفصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللمؤنثة الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وللجمع هلممن

دسته واتقنا نوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة
الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا انبأتكم الا عن
عيان ولو كان في عصاي سير ولعيني مطر لانشأت
بما دعوتكم اليه وما وقفت موقف نشدان عليه ولكن كيف
الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال
الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما
يأتون فوهم انهم على صرفه مجمعون او مطالبته بمزيد
ففرط منه ان قال يا ائمة القاع وتراجم البقاع
ما هذا الارتياء الذي ثناه الحياء حتى كأنكم كلكم
ثبتة لا ثقة او ستوهم يا ذوي الآلاء وغررتم
[illegible]
ولا ... خصاصة فلما بصرت الجماعة بدلالته وسرّه
مدافنه رفاه كل منهم بنيله واحتمل ظله حوى سيله
قال الحرث بن همام وكان هذا السائل قد فاضحني
ومحتجبا بتصوري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم
وحق على الثناء بهم تخطى بي من حضري قلت له
بتصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا مرية ولا امتراء فايقنت
انها اكذوبة يكتبها واحبولة نصبها لا لآلي طويته
على عوج وضنت سعاد عن ... حصنته بالمأثم فقلت
ارصده بنفعة المأثم فقال واها لك فما اضر سبيلك
واكرم فعلك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول عريكته

عن التقاطع والآخرة ولقد ناديا نعمى طرفي النهار
ونهادي فيه طرف الاخبار فبينا نحن به في بعض الايام
وقد انتظمنا في سلك الانتيام اذ وقف علينا ذو مقول
جرئ وجرس جهوري فحيا تحية نهار بي في العقد
قام للاسد والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجب فيه اعتبار للبيب الارب
رأيت في ريعان عمري غلاما له صفات الحسام العضب
يقدم في المعرك اقدام من يوقن بالفتك ولا يرتهب
فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحب
ما بارز الاقران الا انثنى من موقف الطعن بزج خضب
ولا انتحى مستصعبا مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب القشيب
[illegible] لعدو [illegible] وهو لدى كل [illegible]
[illegible]
حتى اصابته الليالي التي تعافه من كان منه قريب
قد اعجزته التي تحلل ما به من الداء واعيا الطبيب
وصار ذم البض وصار همه من بعد ما كان رجاء الحبيب
واضحى كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن يرغب في تكفين ميت غريب

ثم اعلن بالنحيب وبكى بكا المحب على الحبيب ولما رقأت

فلم ينكأ ذلك في لاستماع المواعظ واختيار الواعظ أن
أقاسي اللاعظ واحتمل الضاغط فأصحبت أصحاب الطواعم
وانخرطت في سلك الجماعة حتى أفضينا الى ناد جمع الامير
والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفي وسط هالته
ووسط اهلته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلس و
تطلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور
فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول
ابن ادم ما اغراك بما يغرك واضراك بما يضرك والهجك
بما يطغيك وابهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك
وتهمل ما يعنيك وتنزع في قوس تعديك وتزدي الحرص
الذي يهديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع
ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دابك ان تنقلب
مع الاهواء وتخبط خبط العشواء وهمك ان تراب لي في
الاصدارات وتجمع التراث للوراث تجهل ابتكار بما لديك
ولا تذكر ما بين يديك وتنسى ايمانك ولا تتأتى
الذام عليك انتظر ان تترك سدا وان لا تحاسب غدا
ام تحسب ان الموت يقبل ارشا او يميز بين الاسد والرشا
كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع اهل
القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى و
حقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز
من ارعوى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف

فلما شرهت إلى عرفان منبته وامتحان دعوى محبته تبعت ظنوبي وأممت الهوى بي حتى أدركته على غلوة ولحظته في خلوة فأخذت بمجامع أردانه وعقته عن سنن ميدانه فقلت والله ما أستحيي ملحا ولا أسمحا أو تريني منك المستحى فكشف عن سراويله وأشار إلى غرموله فقلت له قاتلك الله فما أعبثك بالنهى وأحيلك على النهى ثم عدت إلى أصحابي بعود الرائد الذي لا يكذب أهله ولا أبر قيله فأعلمتهم بالذي رأيت وما وريت ولا أريت فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عنيت مذ أحكمت تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بأن أصغي إلى العظات وألغي الكلم المحفظات لأتحلى بمحاسن الأخلاق وأتخلى مما يسم بالإخلاق وما زلت آخذ نفسي بهذا الأدب وأحميها عن الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف له شيمة مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي رأيت بها ذات بكرة زمرة إثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة
يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول
فلما خشعت الأصوات والتأم الإنصات وانسكبت
العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر
وجعل يجأر إلى الله من عامله الجائر والامترصاع إلى
خصمه لا عن كشف ظلمه فلما أيس من دفعه
استنهض الواعظ لنفعه فنهض نهضة المستمر وأنشد
معرضا بالأمير

عجبا لوالٍ أن يتاك ولاية
حتى إذا ما نال بغيته بغا
يسدي ويلحم في المظالم والعدا
في ورده طورا وطورا مولغا
ما إن يبالي حين يتبع الهوى
فيما أصلح دينه أم أوتغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه
ما حاله إلا تحول كما طغا
أو لو تيقن ما ندامة من صغا
سمعا إلى إفك الوشاة لما صغا
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه
وتعاضلا لعي الوشاية أو لغا
وانزع المرء إذا دعا لك لرعية

ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى
اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا
بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه
بمخلبه الاشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره
فكم خامل اخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه
اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه
لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه
بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى منزل الحي حفرة
سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله
وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

والعدل من وطئك وإن أسعد الرعاة من سعدت به
رعيته وأشقاهم في الدارين من شقيت برعايته فلا تك
ممن بذر الإحن ولقحها وحث العاطلة وبقحها و
ظلم الرعية وأوذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد
فيها فوالله ما يغفل الديان ولا تهمل بإنسان ولا
تغني الأيمان ولا الأخدان بل ستوضع لك الميزان وكما
تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع
لونه وانتقع وجعل يتأفف من الإمرة ويتردى ثوب الزفرة
بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو فأشجاه
وألطف الواعظ وحباه وعزم عليه أن يغشاه فانقلب
عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ
يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته
أخطو استقصار وأرمقه لمحا باصرا فلما استشف شخصي
وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير دليليك من أرشد
ثم اقترب مني وأنشد

أنا الذي تعرفه يا حارث
[illegible]
أطرب ما لا تطرب المثالث
طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث
ولا التحى عودي خطب كارث

وَرِدِ الأُجاجَ إذا حَماكَ السَّيِّغا
وَاحْمِلْ أذاهُ وَلَوْ أمَضَّكَ مَسُّهُ
وَاسْأَلْ غُرُوبَ الدَّمْعِ مِنْكَ وَأوْزِعا
فَلَيُضْحِكَنَّ الدَّهْرُ مِنْهُ إذا نَبا
عَنْهُ وَشَبَّ لِكَيْدِهِ نارَ الوَغى
وَلَيُبْكِيَنَّ الشّامِتاتِ إذا بَدا
مُتَخَلِّيًا مِنْ شُغْلِهِ مُتَفَرِّغا
وَلَيَأْوِيَنَّ لَهُ إذا ما خالَهُ
أضْحى عَلى تُرْبِ الهَوانِ مُمَرَّغا
هذا لَهُ وَلَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا
فِيهِ يُرى رَبُّ الفَصاحَةِ ألْثَغا
وَلَيُحْشَرَنَّ أذَلَّ مِنْ فَقْعِ الفَلا
وَيُحاسَبَنَّ عَلى النَّقِيصَةِ وَالسَّغا
وَيُؤاخَذَنَّ بِما جَنى وَمَنِ اجْتَنى
وَيُطالَبَنَّ بِما احْتَسى وَبِما ارْتَغا
وَيُناقَشَنَّ عَلى الدَّقا تَوَسُّلَ ما
قَدْ كانَ يَفْعَلُ بِالوَرى قَبْلَ البَغا
حَتّى يَعَضَّ عَلى الوِلايَةِ كَفَّهُ
وَيَوَدُّ لَوْ لَمْ يَنْعَ مِنْها ما نَعا

ثُمَّ قالَ أيُّها المُتَوَّجُ بِالإمارَةِ المُتَبَجِّحُ لِلرِّعايَةِ دَعِ الإدْلالَ بِدَوْلَتِكَ وَلا تَغْتَرَّ بِصَوْلَتِكَ فَإنَّ الدَّوْلَةَ رِيحٌ قُلَّبٌ

بنفعهم وكاثرتهم لأدبهم لا لمالهم فجالست منهم أضراب
القعقاع بن شور ووصلت بهم إلى الكور بعد الحور حتى
أنهم أشركوني في المربع والمرتع وأحلوني محل الأنملة من
الإصبع واتخذوني ابن أنسهم عند الولاية والعزل و
خازن سرهم في الجد والهزل فاتفق أن ندبوا في بعض
الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات فاختاروا من
الجواري المنشآت جارية سالكة الشيات تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب وتنساب في العباب كالحباب ثم
دعوني إلى الموافقة واستدعوني للمرافقة فلما توركنا
على المطية أدهما وتبطنا الولية الناشئة على الماء
ألفيناها شيخا عليه سحق سربال وسب بال فعافت
الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهموا بإنزاله من
السفينة لولا ما آنسوه من السكينة فلما لج بنا التسفار
طله واستسر ادطله تعرض للمنافثة فصمت وهمد
بعدما عطس فاشمت فأخذ يطرف فيما حالهم إليه و
ينتظر يصوغ النفع عليه وجلنا نحن في شجون من جد و
مجون إلى أن عرض ذكر الكاتبين وفضلهما وتبيان
أفضلهما فقال قائل إن كتبة الإنشاء أنبل الكتاب
ومال مائل إلى تفضيل الحساب واحتد الحجاج وامتد
اللجاج واشتد العجاج حتى إذا لم يبق للجدال مطرح ولا
للمراء مسرح قال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم اللغط

ولا فرى نابي حد فارث

بل يجتلي بكل صيد صائث

وكل شيخ فيه ذئب عائث

حتى كأني للأنام وارث

سامهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت تالله إنك لأبو زيد ولقد قمت لله ولا عمرو بن عبيد فتهلل تهلل الكريم إذا أم وقال اسمع يا ابن أم

عليك بالصدق ولو أنه

أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضا الله فأغبى الورى

من أسخط المولى وأرضى العبيد

ثم إنه ودع أخدانه وانطلق يتبع أدراجه فطلبناه من بعد التحري واستنشيناه من مدارج الطي فما شمناه فرأيناه ولا أدري أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال أويت في بعض الفترات إلى سقي الفرات فلقيت بها كتابا أبرع من بني الفرات وأعذب أخلاقا من الماء الفرات فأطفت بهم لمهذبيهم لا

الإنصاف والانتصاف، والنهود المقانع في الإخلاف

ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان، وقطب الديوان

وقسطاس الأعمال، والمهيمن على العمال، وإليه المآب في

السلم والهرج، وعليه المدار في الدخل والخرج، وبه مناط

الضر والنفع، وفي يده رباط الإعطاء والمنع، ولولا قلم

الحساب لأودت ثمرة الاكتساب، ولاتصل التغابن إلى

يوم الحساب، ولكان نظام المعاملات محلولا، وجرح الظلامات

مطلولا، وجيد التناصف مغلولا، وسيف التظالم مسلولا

على أن يراع الإنشاء متقوّل، ويراع الحساب متأوّل، والمحاسب

مناقش، والمنشي أبو براقش، ولكليهما حُمَة حين يرقى

إلى أن يلقى ويرقى، وإعنات فيما ينشي حتى ينشى ويرشى

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم. قال

الحرث بن همام: فلما أسمع الأسماع بما راق وراع، استنسبناه

فاستراب، وأبى الانتساب، ولو وجد منتسبا لانتاب

فجلت من لبسه على غمة، حتى ذكرت بعد أمة، فقلت: و

الذي سخر الفلك الدوار، والفلك السيار، إني لأجد ريح

أبي زيد، وإن كنت عدمت ذا رواء وأيد، فتبسم ضاحكا من

قولي، وقال: أنا هو على استحالة حالي وحولي، فقلت لأصحابي

هذا الذي لا يفرى فريه، ولا يبارى عبقريه، فحظوا به الود

وبذلوا له الوجد، فرغب عن الألفة، ولم يرغب في التحفة

وقال أما بعد أن تحققتم حقي لأجل تحقق، وكشفتم بالي

وأين ثمّ الصواب والغلط وإن جلية الحكم عندي فارتضوا
بنقدي ولا تستفتوا أحدا بعدي اعلموا أن صناعة
الإنشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة
خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغات
تنسخ لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس و
المنشئ جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار ونجيّ العظماء
وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة
ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو البشير والنذير
والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك النواصي
ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي وصاحبه بريء من
التبعات آمن كيد السعاة مقرّب بين الجماعات غير
مقرّع بنظم الجماعات فلما انتهى في الفصل إلى هذا الفصل
لحظ من لمحات القوم أنه ازدرع حبا وبغضا وأنه أرضى بعضا
وأحفظ بعضا فعقّب كلامه بأن قال إلا أن صناعة الحساب
موضوعة على التحقيق وصناعة الإنشاء مبنية على التلفيق
وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين إتاوة
توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه
قياس ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة تملأ الأكياس
والتلاوة تفرغ الراس وخراج الأوارج يغني الناظر واستخراج
المدارج يعني الناظر ثم إن الحسبة حفظة الأموال وحملة
الأثقال والنقلة الأثبات والسفرة الثقات وأعلام

لدروس بزته وبذة فرشه
وكم أخي طمرين هيب لفضله
ومفوف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عاراً لم تكن
أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضر العضب كون قرابه
خلقاً ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصاً لرثاثة بردة ولا نزدري سيفاً مخبوّاً في غمده

المقامة العشرون

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن المخضل لخطب خشي وخوف غشي فأرقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت في سيري وعوراً لم تدمثها الخطى ولا اهتدت لها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسروت أخماس الروع واستشعاره وتسربلت لباس الأمن وشعاره وقصرت همي على كرع أحتسيها وملحة أجتليها فزرت

لإملاق مترب لي فما أراكم إلا بالعين السخينة وما لكم مني
إلا صحبة السفينة ثم أنشد

إسمع أخي وصية من ناصح
ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة
في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي
وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه
للشائمين ووبله من طشه
فهناك إن تر ما يشين فواره
كرما وإن تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه
ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى
خاف إلى أن يستثار ببحثه
وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا
لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه

اخباره من جملتها فانشد

يا خاطب الدنيا الدنية انها
شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها
ابكت غدا بعدا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع
منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي واسيرها
لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزدهي بغرورها حتى بدا
متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت
فيه المدى وثرت لاخذ الثار
فاربا بعمرك ان يمر مضيعا
فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها
تلق الهدى ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها
حرب العدا وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو
طال المدى وونت سرى الاقدار

يوما الى الحريم لأروّض طرفي، وأجيل في طرف طرفي
فاذا فرسان متتالون، ورجال متتالون، وشيخ طويل
اللسان، قصير الطيلسان، قد لبّب فتى جديد الشباب
خلق الجلباب، وركضا اثر التطارد، حتى وافيا باب
الامارة، وهناك صاحب المعونة متربعا في دسته
ومروّعا بسمته، فقال له الشيخ اعزّ الله الوالي
وجعل كعبه العالي، اني كفلت هذا الغلام فطيما وربّيته
يتيما، ثم لم آله تعليما، فلما مهر وبهر، جرّد سيف
العدوان وشهر، ولم اخله يلتوي عليّ ويلتفح، حين
يرتوي مني ويلتقح، فقال الغلام علام عزّرت مني
حتى نشر هذا الخزي عني، فوالله ما سترت وجه برّك
ولا هتكت حجاب سترك، ولا شققت عصا [illegible]
[illegible] سرقتك [illegible] حرجي
من ديباجتك، وهل عيب افحش من عيبك وقد ادّعيت سحري
واستلحقته، وانتحلت شعري واسترقته، واسترقاق
الشعر عند الشعراء، افظع من سرقة البيضاء والصفراء
وغيرتهم على بنات الافكار، كغيرتهم على البنات الابكار
فقال الوالي للشيخ وهل صين سرقلك أم مسخ أم نسخ
فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب، وترجمان
الأدب، ما احدث سوى انه ترجم شرحه، وأغار على
ثلث شرحه، فقال انشدنا ابياتك بزمتها ليظهر ما

الحافر على الحافر قال فكأن الوالي جحد صدق عزمه فقدم على بادرة ذمه وظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميز به الفائق من المائق فلم ير إلا أن يدعهما بالمناضلة ولزهما في قرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل واتضاح الحق من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بأمرك قال إني مولع من أنواع الملاحة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بتجنيس وترصعانها بحليه وضمناها شرح حالي مع الرشإ الصفة ألمى الشفة مليح التثني كثير التجني مغرى بتناسي العهد وإطالة الصد وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتسق

وأحوى حوى رقي برقة لفظه

وغادرني إلف السهاد بغدره

تصدى لقتلي بالصدود وإنني

لفي أسره مذ حار قلبي بأسره

أصدق منه الزور خوف ازوراره

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال أقدم للوم في الحراء على أبياتي السداسية الأجزاء فحذف منها جزءين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الرجز فيها رجزين فقال بين ما أخذ ومن أين فلذ قال أرعني سمعك واحلل للتفهم عن ذرعك حتى تتبين كيف أضلت علي وتقدر قدر اجترامه إلي ثم أنشد وأنفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردا
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدا
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدا
كم مزدها بغرورها حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدا
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدا
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدا
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدا
واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدا

فالتفت الوالي إلى الغلام وقال له تبا لك من خريج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانيه إن كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن أقتطعها وإنما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع

فاعترضه الفتى وقال يا هذا إن اللجاج شؤم والحنق لؤم وتحقيق الظنة إثم وإعنات البريء ظلم وهبني اقترفت جريمة أو اجترحت كبيرة أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك في إبان أنسك

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه إن عاصى وهن ... إن عز وادن إذا شحط
واقن الوفاء ولو أخل ... بما اشترطت وما شرط
واعلم بأنك إن طلبت ... مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط
أو ما ترى المحبوب و ... المكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو ... ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويل ... يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان ... وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب ما دعوتك للاصطلاح إلا لتوقي الافتضاح فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأداري شؤونه وقد كان الدهر يسح فلم أكن أشح فأما الآن فالوقت عبوس وحشو العيش بوس حتى أن بني

وأرضى انسماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما
أمد عذابي جد لي حب سره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة
واحفظ قلبي وهو حافظ سره
وأعجب ما فيه التباهي وعجبه
ولكن عن الأفواه يكسره
له ميسم المدح الذي طاب نشره
ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان يعدو لا ما يجني وقد جنى
على عمري حتى تشعب فكره
ولولا التقى قلنا عسى
بدا إلى من أجلى نور بدره
وأني على تصريف أمري وأمره
أرى المرء حلوا في انقيادي لأمره

فلما أنشدها الوالي من آسلين بهت لذكائهما المتعادلين وقال أشهد بالله إنكما فرقدا سما وكزندين في وعا وأن هذا الحدث يسفه بما آتاه الله ويستعفي عن سؤاله فتناهى الشيخ عن إيهامه وثاب إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي أو تعلوه نقتي وقد تمكن له الضنين ومنيت منه بالعقوق الشنيع

أو [illegible] طيسه وسرى [illegible]

[illegible]

أو [illegible] طلا مجلسه واحلى بعلسه

أما زيد وفضله تيم الدهر له ثم قال

سبحانك الله النسبا الذي أعام الدست فقلت

والذي أجلسك في هذا الدست ما أنا بصاحب ذلك

الدست بل أنت الذي تم عليه الدست فازورت

مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله ما

أعجبني قط فضح مريب ولا كشف معيب ولكن ما

سمعت بأن مخصا دلس بعد ما تلبس فهذا أم له

أن لبس أقدر على أن يسكم ذلك الحكم قلت يشفى

منك لعدي صون فطفق يعتذر من فوره وقال

لا قرب الله نوى ولا كلاه أن نوى فما أولت سند

من نكر ولا ذقت من مكر ولولا حرمة أدب

لأوغلت في طلبه إلى أن يقع فأوقع به وإني لأكره

أن يشيع فعلته بمدينة السلام فأفتضح بين الأنام

وتحبط مكانتي عند الإمام وأصير ضحكة الخاص و

العام فعاهدني على أن لا تفوه بما أعتمد ما

دمت حلالا بهذا البلد قال الحارث بن همام

فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما

وفى السموأل

مِنْ غَانٍ وَبَيْتِي لَا تَطُورُ بِهِ فَارَةٌ . قَالَ فَرَقَّ لِمَقَالِهِمَا قَلْبُ
الْوَالِي وَأَوَى لَهُمَا مِنْ عَثَرِ اللَّيَالِي وَصَبَا إِلَى تَخْصِيصِهِمَا
بِالْإِسْعَافِ وَأَمَرَ النَّظَّارَةَ بِالْاِنْصِرَافِ قَالَ الرَّاوِي
وَكُنْتُ مُتَشَوِّقًا إِلَى مَرْأَى الشَّيْخِ لَعَلِّي أَعْلَمُ عِلْمَهُ إِذَا غَابَتْ
نُجُومُهُ وَلَمْ يَكُنِ الزِّحَامُ يَنْفَرِجُ عَنْهُ وَلَا يُفْرِجُ لِي فَأَدْنُو مِنْهُ
فَلَمَّا تَقَوَّضَتِ الصُّفُوفُ وَأَجْفَلَ الْوُقُوفُ تَوَسَّمْتُهُ فَإِذَا
هُوَ أَبُو زَيْدٍ وَالْفَتَى فَتَاهُ فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَغْزَاهُ فِيمَا أَتَاهُ
وَكِدْتُ أَنْقَضُّ عَلَيْهِ لِأَسْتَعْرِفَ إِلَيْهِ فَزَجَرَنِي بِإِيمَاضِ طَرْفِهِ
وَاسْتَوْقَفَنِي بِإِيمَاءِ كَفِّهِ فَلَزِمْتُ مَوْقِفِي وَأَخَّرْتُ مُنْصَرَفِي
فَقَالَ الْوَالِي مَا أَمْرُكَ وَلِإِثْبَاتِ مُقَامِكَ فَاسْتَأْذَنَ
الشَّيْخُ وَقَالَ إِنَّهُ ابْنِي وَصَاحِبُ مَثْوَايَ فَتَسَجَّعَ عِنْدَهَا
لِشَوْكِ تَأْنِيبِي وَرَخَّصَ فِي طُوبَى ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِمَا
خِلْعَتَيْنِ وَوَصَلَهُمَا بِنِصَابٍ مِنَ الْعَيْنِ فَاسْتَعْهَدَهُمَا أَنْ
يَتَعَاشَرَا بِالْمَعْرُوفِ إِلَى الطَّلَاقِ يَوْمَ الْحُوفِ فَنَهَضَا
مِنْ نَادِيهِ وَتَبِعْتُهُمَا لِأَعْرِفَ مَثْوَاهُمَا وَأَتَزَوَّدَ مِنْ نَجْوَاهُمَا
فَلَمَّا جَاوَزَا حِمَى الْوَالِي وَأَفْضَيْنَا إِلَى الْفَضَاءِ الْخَالِي
أَدْرَكَهُمَا أَحَدُ أَعْوَانِهِ مُهِيبًا إِلَى حَضْرَتِهِ فَقُلْتُ لِأَبِي زَيْدٍ
مَا أَظُنُّهُ اسْتَحْضَرَنِي إِلَّا لِيَسْتَخْبِرَنِي فَمَاذَا أَقُولُ وَفُؤَادِي
وَادْمَعَهُ الْهَوْلُ فَقَالَ بَيِّنْ لَهُ حَمَاقَةَ قَلْبِهِ وَتَهَافُتَ
لُبِّهِ لِيَعْلَمَ أَنَّ نَفْحَةً لَا تُثْبِتُ إِغْضَابًا وَصِدْقُ لَهُ صَادِقٌ
نِيَاتًا فَقُلْتُ أَخَافُ أَنْ يَتَّقِدَ غَضَبُهُ فَيَلْفَحَنِي لَهَبُهُ

ألا أم سعاد لا تصلين حبالي
ولا أنا ودي لي ثما الإباق
صبرت عليك حتى عيل صبري
وكادت تبلغ الروح التراقي
وها أنا قد عزمت على انصراف
أساقي فيه خلي ما تساقي
فإن وصلا ألذ به فوصل
وإن صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العائب المعنى الذي أصاب النصب
الأول ورفع الثاني فأقسم بتربة أبيه لقد نطق بما اختاره
سيبويه فتسفت حينئذ زناد الجمع وتشعب النصب
والرفع فما منهم إلا من رفع ما هو الصواب وقليل منهم
لا يجد فيهما إلا الإعجاب واستبهم على نفر الجواب
واستعر بينهم الاصطخاب وذلك لوعل يهدى بسنام
ذي معرفة ولا ثمة منتسفة حتى إذا سكت الزاجر
وصمت المهوّن الزاجر قال يا قوم أنا أنبئكم بتأويله
وأميز صحيح القول من عليله إنه يجوز رفع الوصلين ونصبهما
والمغايرة في الإعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الإضمار
والتقدير المحذوف في هذا المضمار فأفرط من الجماعة
إفراط في ملامته وأخرجوا إلى استبانته فقال لما أن دعوتم
ترافل وتلبثتم للنضال فالكلمة هي أن تنبئكم حرف مخوف

الرابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبان الربيع فتية وجوههم أبهج من أنواره وأخلاقهم أبهى من أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر وكنا تعاقدنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وأن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ فأجمعنا في يوم سماء دجنه وتمام حسنه وحكم بالاصطباح مزنه على أن نستلهي بالخروج إلى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر ونصقل الخواطر بنسيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة مودة إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت وتنوعت أزاهرها وتلونت ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه ويدع كل سمع ما يشتهيه فلما اطمأن بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس وطلع علينا ذو طمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد الشيب وودنا صفو يومنا قد شيب إلا أنه سلم تسليم أولي الفهم وجلس يفض لطائم النثر والنظم ونحن نزدري من أساطه ونتمنى طي بساطه إلى أن تنحى ساقينا المغرب ومعردنا المطرب

وتجنب مطالعة عن بصائر الطعام لا ألتكم مراما ولا
نسفكم مراما او نحول كل بين ويختص كل منكم بيد
فلم يبق في الجماعة الا من اذعن لحكمه وبذل اليه حباء
كمه فلما حصله تحت وكائه اضرم شعلة ذكائه فكشف
حينئذ من اسرار المغارم وبدايع المحارم ما جلا به صدا
الاذهان وعلى مطلعه سود البرهان قال الراوي
فهنا صنيعهما وعجنا ادبهما وبلغنا على ما ادبهما
واصدنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس ونعرض عليه ارتضاع
الكاس فقال مارب لا احاوله ومشرب لم يبق له عندي
مذاق فاطلنا مراودته ووالينا معاودته ثم سمح بأنفه
صلفا وباعيه انفا وانشد

نهاني الشيب عما فيه افراحي
فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة
وقد انار مشيب الراس اصباحي
اليت لا خامرتني الخمر ما علقت
روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يد
ولا اختلت قداحي بين اقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعة
همي ولا رحت مرتاحا الى راح

اسم لما فيه حرف مطلوب وأي اسم يتردد بين فرد حازم
وجمع ملازم وأية هاء إذا التحقت أماطت الثقل و
أطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل العامل من غير
أن تجامل وما منصوب أبداً على الظرف لا يخفضه سوى
حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة و
اختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذي يتصل
آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأي عامل نائبه
أرحب منه وكراً وأعظم مكراً وأكثر لله تعالى ذكراً وفي
أي موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات
الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على
المضروب والضارب وما اسم لا يفهم إلا باستضافة
كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الأول
التزام وفي الثاني إلزام وما وصف إذا أردف بالنون
نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من
الزبون وتعرض للهون فهذه ثمانية عشر مسألة وفق عددكم
وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وإن عدتم عدنا قال المخبر
بهذه الحكاية فورد علينا من لججه اللاتي هالت لما انهالت
ما عاقت له الأفكار وحالت فلما أعجزنا العوم في بحره
واستغلقت ثمانية سحره عدلنا من استطالة الرؤوس له
إلى استنزال الرواية عنه ومن بغي التبرم به إلى ابتغاء التعلم
منه فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام

كائنة وجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو اجودها
ان تنصب خيرا الاول وترفع الثاني وتنصب شرا الاول
وترفع الثاني ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه
خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فنصب الاول على
انه خبر كان وترفع الثاني على انه خبر مبتدا محذوف
وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها بعد ان لان حرف الشرط
الذي هو ان على تقديرهما وحذف ايضا المبتدا بعد الفاء لان الفاء
التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه
الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا
فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب
الاول على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به
والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في
عمله خير فجزاؤه خير فترفع الخير الاول على انه اسم كان وترفع
الثاني على ما بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان ترفع
الخير الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هي التامة
التي تاتي بمعنى حدث ووقع ولا تحتاج الى خبر كقوله تعالى
وان كان ذو عسرة ويكون تقدير الكلام ان كان خير فجزاؤه خير
اي ان وقع وحدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو
اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث
وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير
ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير

ولا نظمت على مشمولة ابدا
شملي ولا احتوت ندمانا سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على
راسي فابغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان الى
ملهى فسحقا له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شايب لخبا
بين المصابيح من غشاني مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم
والشيب ضيف له التوقير يا صاحي

ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج سروج وبدر الادب الذي يجاب البروج وكان افتراقنا التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما اودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلا الذ به فوصل فانه نظير قولهم الى مجرى بحمله انصب بحذر وان يفتر وهذه المسئلة اودعها سيبو

كما كتبي في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم وأما السين التي تعزل العامل من غيرها بحامل وهي التي اذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب فتقع حينئذ الفعل وتنقل ان عن كونها الناصبة للفعل الى ان تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله سبحانه علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون وأما المبني على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف وهو عند ولا يجر عن من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن وأما الصلة التي احل من غيرها الاضافة فيه فرق واختلف حكمها بين ما هو عند وهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ثم نونتها اتصالها بلدن لنشبهها منصوبة لانها من نوع الظروف التي لا ينصرف وقد نعرض النحويون ان لدن بمعنى عند والصحيح انهما افترقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها على ما هو ملك لك وبعيد عنك وما دنا منك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك وأما العامل الذي يتصل اخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسه اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادي سيان وان كانت يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادي باي القريب فقط كالهمزة وأما العامل الذي نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر الله تعالى

والمقدرات المحذوفات فيه تجري اعراب البيتا الذي عنى به ومما
ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا
فسيف وان خنجرا فخنجر وأما الكلمة التي هي حرف مخوف
او اسم لما فيه حرف حلوب فهي نعم ان اردت بها تصديق الاخبار
او العدة عند السؤال فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم
والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل
وفي الابل الحرف فهي الناقة الضامر سميت حرفا تشبيها لها
بحرف السيف وقيل انها الصحيحة تشبيها لها بحرف الجبل
واما الاسم المتردد بين فرد جازم وجمع ملازم فهو سراويل
قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو
فرد وحكى عن صيغة الحصر انه جازم وقال آخرون
هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل فهو على هذا القول
جمع ومعنى قولنا ملازم أي لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع
من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف بعدها حرف مشدد او حرفان
او ثلاثة لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في
الاسماء الآحاد وقد كني في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالملازم
واما الهاء التي اذا لحقت ما طاب للنقل واطلقت المعتقل
فهي الهاء اللاحقة بالجمع المتقدم ذكره مثل صيارفة وصياقلة
فينصرف هذا الجمع عند لحاق الهاء به لانها قد اصارته الى
امثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب فصرف
لهذه العلة وقد كني في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل

مقصور بمثل موسى وعيسى أو من أسماء الإشارة مثل ذاك
وهذا فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل واحد منهما في رتبته
ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره. وأما الاسم
الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين
فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى اكفف
ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت
عليها ما أخرى كما تزاد ما على إن فصار لفظها ما ما فثقل
عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف الأولى هاء فصار
مهما وهي من أدوات الشرط والجزاء ومتى نطقت بها لم يتم
الكلام ولا يعقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل
أفعل وتكون حينئذ ملتزمة للفعل وإن اقتصرت منها على حرفين
وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت حذرت من خاطبته أن
يكف. وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه
في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون
فهو ضيف إذا ألحقته النون استحال إلى ضيفن وهو الذي يتبع
الضيف ويتنزل في التقدم منزلة الرديف

الخامسة والعشرون

حدث الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقتضيه
وأرب أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها الناتح

ذكر فهو باء القسم وهذه الباء هي اصل حروف القسم بدلالة
استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها
ايضا على المضمر كقولك بك لأفعلن وانما ابدلت الواو منها في
القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما
ايضا لان الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق والمعنيان
متفقان فصارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام
واعلق بالاقسام ولهذا القرآن بها اكثر الله تعالى ذكره ثم ان
الواو اكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا
تعلق غير الفعل والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجيء
تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل
والادوات العاطفة فلهذا وصفها بحب لو كثر وعظم المكنى
واما الموطن الذي تنعكس فيه المذكرات مع المؤنثات فترد
فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف
وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه تكون مع المذكر بالهاء
ومع المؤنث بحذفها كقوله سبحانه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقوله قائم
وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن
حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما الى غير قالبه وبرز في
بزة صاحبه واما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على
المضروب والضارب فهو حيث تشتبه الفاعل بالمفعول
لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما او في احدهما وذلك اذا كانا

وصرتُ نضوَ فاقةٍ وعُسرِ
عاريَ المطا مجرّداً من قِشري
كأنّني المغزلُ في التعرّي
لا دفءَ لي في الصيف والصِّنَّبرِ
غيرَ الضحى واصطلاءِ الجمرِ
فهل خِضَمٌّ ذو ودادٍ غَمرِ
يسترني بمِطرفٍ أو طِمرِ
طِلابَ وجهِ الله لا للشكرِ

ثم قال يا أرباب الثراء، إنّ أهلي في العراء، من رأى خيراً فليُنفق، ومن استطاع أن يرفق فليرفق، فإنّ الدنيا غدور، والدهر عثور، والمكنة زَورة طيف، والفرصة مُزنة صيف، وإنّي والله لطالما تلقّيتُ الشتاء بكافاته، وأعددتُ الأُهَب له قبل موافاته، وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادي، وجلدتي بُردي، وقصعتي حِضني، فليعتبر العاقل بحالي، وليبادر صرف الليالي، فإنّ السعيد من وُعظ بسواه، واستعدّ لمسراه، فقيل له قد حلوتَ علينا أدبك فأجلُ لنا نسبك، فقال تبّاً للمفتخر بعظمٍ نخر، إنّما الفخر بالتقى والأدب المنتقى، وأنشد

لعمرك ما الإنسانُ إلّا ابنُ يومه
على ما تجلّى يومُه لا ابنُ أمسه
وما الفخرُ بالعظم الرميم وإنّما

نابني جهد البلاء وعكف بي على الاصطلاء فلم أكن إذا و
جاري وتسوّد ناري إلا لضرورة أدفع إليها أو
إقامة جماعة أحاول قطعها فاضطررت في يوم جو مزمهرّ
ودجنة مكفهرّ إلى أن برزت من كناني لمهم عناني فإذا
شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتمّ بريطة واستثفر
بفوطة وحواليه جمع كثيف الحواشي وهو ينشد
ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري
أصدق من عري أوان القرّ
فاعتبروا بما بدا من ضري
باطن حالي وخفيّ أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر
فإنني كنت نبيه القدر
أرعى الوفود وأجدّ قِرى
تفد صفري وتبيد سمري
ويشتكي قومي عداة أفري
فجرّد الدهر سيوف الغدر
[illegible]
ولم يزل يسحتني ويبري
حتى عفت داري وغاض درّي
فأسري في الورى فيه شعري

لنشدنا ما قرسك البرد فلا تتعرض من بعد فقال ويلك أليس من
العدل شرعة العدل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ما
ليس لك به علم [illegible] وصبت [illegible]
[illegible]
[illegible]
وبرهم بالاكفهرار وقال أما تعلم أن شيمتي لا سؤال من
صيتال صيد والانعطاف من عمرو الجديل وإذ قد عقبتني
وتعقبتني وأفتيتني أضعاف ما آذيتني فاعفني عفا الله عن
لغوك واشدد عن آبائك جدك ولهوك فحذته حذو الملاعبة
وجنحت به للدعابة وقلت والله لو لم أوارك وأغض على
عوارك لما وصلت لي صلة ولا انقلبت كتبي من بصلة
فجاريتني عن إحساني إليك وسترى لك وتمكك بأن تشرح
برد الفروة وتعرفني كافات الشتوة فنظر إلي نظر المتعجب
وازدهر ازدهار المتعصب ثم قال أما برد الفروة فإنه من
ردائي الناس فلست العابس وأما كافات الشتوة فسماع
من طبع على ذهنك وأوهى وعاء حزنك حتى أنشدتما أنشد
بالذكرى لابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه
سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكأس طلا
بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال لجواب سؤالي خير من جلباب يدفي فاكفف عما وعدت

فوالذي ينبي النجار بنفسه

[illegible] صدر مشوقا وأجرم متقصقصا وقال اللهم

[illegible] وآله وأمر بسؤاله صل على محمد وآله وأعني

على أن يرد أقواله وأتح لي خزائن من خصاصة ويواسي

ذو خصاصة قال الراوي فلما خلى عن النفس

الغاشية والملح الأصمعية جعلت عيني تجمه ومرآه

يكلمه حتى استبنت أنه أبو زيد وأن نعرة لخبوله

لنصب ولم هو أن أعرفا في فلاد ذكره ولم يأمن أن أهتكه

فقال أقسم بالسمر والقمر والزهر والنهر أنه لن يسوي

الأسطاب خيمه وأشرب ما المروق أدمه فعقلت ما عناه

وأن بدا لقوم معناه وساني ما يعانيه من الزمن

وإخلال الحلق فحمدت لعروقه بالنار دنانير وقلت

البعد وأنى بعضوته عنى وقلت له أقبلها مني كما أذنت

بإقراضها وعدى أداها ثم أنشد

يا من أتى فوق أصبحت من الزمن لي جنة

ألبستها وأقام مهجتي ففي أسر الإنس والجنة

سكنى اليوم ثاني وفي غد سكنى سندس الجنة

قال فلما تتمت قلوب الجماعة بإفتنانه في البراعة القول

[illegible] الفرية المفتاة والحيات الموتاة ما أدى نقله

[illegible] نقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستبقا للفرج

[illegible] واحتذت القمة وبدت الشمائنية فقلت

داعية لبسي فقلت له من أين آبك وإلى أين انسيابك
وبم امتلأت عيابك فقال أما المقدم فمن طوس وأما
المقصد فإلى السوس وأما الحمل التي استصحبتها فرسالة
أتضمنها فسألته أن يقرئني حملته وينشر علي رسالته
فقال دون مرامك حرب السوس أو تمضي إلى السوس
فصاحبته إليها قرينا وعكفت بها عليه سنينا وهو يعللني
كاسات التعليل ويمجمج بمغاغنة التأميل حتى إذا حرج صدري
وعيل صبري قلت له ألم يأن لك سؤلي عله ولا إلى تعلة
وفي عفاد حرقات البين وأرحل عنك بخفي حنين فقال
ما شيته أن أخلفك وأخالفك وما أرجأت أن أحدثك
إلا لأبلك وإذ كنت قد استربت بعدتي وأغراك ظن
السوء بمباعدتي فاصخ لقصص سيرتي الممتد وأصغها
إلى الحار القرح بعد التسرح فقلت هات فما أطول طيلك
وأهول حيلك فقال اعلم أن الدهر العبوس ألقاني إلى طوس
وأنا يومئذ وفر لا فتيل لي ولا نقير فألجأني صفر اليدين
إلى التطوق بالدين فادنت لسوء الاتفاق من هو عسر الأخلاق
وتوهمت تشتي الشقاق فتوسعت في الإنفاق فما أفسحت
بطني بل لي حقه ولا أمني سحمه حرت في أمري
واطلعت غريمي على عسرتي فلم يصدق إملاقي ولا ارعوى عن
إرهاقي بل جد في التقاضي ولج في اقتيادي إلى القاضي
وكلما خضعت له بالكلام واسترققته رفق الكرام زاد عتبه

وكم من جنت أنت ففارقته وقد ذهبت فروعي لشوقي
فحصلت على أن نالها طول سوقي

المقامة السادسة والعشرون

روى الحارث بن همام قال حللت سوق الأهواز لابسا
حلة الإعواز فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجي أياما
مسودة إلى أن رأيت تمادي المقام من عوادي الانتقام
ومضيتها بعنس الفيالي وفارقتها مفارقة الطلل البالي وظعنت عن
ربعها كمثل الإدبار راكضا بها إلى المياه الغزار حتى إذا أسرت
بها مراحل وجبت سري مسالك رأيت خيمة مضروبة
ونارا مشبوبة فقصدتها لعلي آتيهم بصدى أو أجد على النار
هدى فلما انتهيت إلى الخيمة رأيت غلمة ذوقه وشبانا مرموقة
وشيخا عليه من سنة وله فاكهة حسنة جديدة ثم
تحامته فضيفني وأحسن الرحل وقال لا تحتشم في أمر
تروق فاكهته وتسوق مفاكهته فجلست لاغتنام حاضرتهم
لا لالتهام ما حضرتهم فجعل يسفر عن آدابه وكشر عن أنيابه
فرقنا أنه ذو حسن طلعة وقبح فعلة فغادرنا فخيلت
بعض حيان ساعتئذ ولم أدر أيهما أنا أحق وقرها
وقوفه أبا سفيان بن حرب أم شيبة أم قصير رجاله
بأفعاله وبات نفسي إلى أن أقضي ختم سره وأبطن

أملاك غير تخف وقوفه فوق إذا ناصلته غلاب
تحجم هش وده وتلافهما ... فلبس تحقه نياب
لا باطل بل باذل حق وإذا بعد بعد لا يليه باب
إن عص آدل فل غرب عصاه بماء فاحت منه باب

وصدير ... وقطن وقرب وشطن أناه ... رمز
وجابر من مذ رضع بالبانه حضر فاصبه ... انه
نعش وفرج وصافر فأبح وناقر فأبغ وفاحق
الج ... من سلى وقرظ ادهر ويلي ولوج صفة
محت عفاة

فلا صلا إذا نهجه ممتد طل خصمه
فإنه يرمى أشر صوق سهمه
ولم ... أباطرفه يلبس خوف ...

فمن سيدنا فوق مفاخر نالت وحكت ذلوته
بصايع مفتوحة وبلايم فرت حضرته عوب رقه حط
من حظوته فإنه تلبد ملك وشر لحد به وحرج نوب
... قالبد تسوت أباطن الخطبة فلا مصدوه
[illegible]
ممت هدائم شربه رض وفوقه فرض وطفقه شق
وطلابه ملق وقد فلق لعم عرايم ناسم تسحيه حوق
لائم فإن سيدنا كفه نسات كفه لو سخى
فاق وبا باهر فكر وناق لا أطلت محا باطلعه

قال نظرت بما تسج لو نظرتني إلى منسج فقال لا أنظم في
الأسطار واجتياز الصراط فوجدته ما ترى مسالك الكلام
أو يرتقي مسالك الخلاص فلما رأيت احتداد لدده وأن لا
مأمل لي من بين شاعنه ثم وأنبته لرفعي إلى والي الحاكم
لا إلى الحاكم في المظالم لما كان يلمع من أفضال الوالي و
فضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب أمير طوس
أيست أن لا باس ولا بوس فاستدعيت دواة وبيضاء و
أنشأت إليه رسالة رقطاء وهي كلام سيدنا تحب وبعقو
ته يلب وقربه تحف ونائله يلف وخلته نسب وقطيعته
نصب وغربه ذلق وشهبه تألق وظلفه زان وقوائم
نصه بان وذهنه قلب وحربه ونعته شرق وغرب

سيد قلب سبوق مبر ... فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد ... نابه فاضل ذكي أنوف
مفلق إن أطاب إذ أنشد ... هباج وجل خطب مخوف

مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه فاض
وشح قلبه غاض وخلق شمائله يحلل وذهب عنائه تحرب
من لقائه فلج وغلب وناجز بأسه غلب وطلب كف عن
هضم ربا وترى من حسن عوده وفرز لبانه نعم
ونكت عن مذهبه كرم لبس بونا بعده نهر شرب بلد
يبعثه فيه

قلد أنجب ونجى عشائر ... شعفائه فكبا به حلاف

في الأرض غَوْرًا ونَجْدًا. إلى أن اقتنيتُ هجمةً من الراعية. وثُلّةً
من الثاغية. ثم أويتُ إلى عربٍ ردافِ أقيال. وأبناءِ أقوال.
فأوطنوني أمنعَ جناب. وفلّوا عنّي حدَّ كلِّ ناب. فما ناوبني
عندهم همٌّ. ولا قرع صفاتي سهمٌ. إلى أن أضللتُ في ليلةٍ
مبينةِ السُّدَف. لِقحةً غزيرةَ الدَّرّ. فلم أطب نفسًا بإغفالها
وإلقاء حبلها على غاربها. فتسنّمتُ فرسًا محضارًا. واعتقلتُ
لَدْنًا خطّارًا. وسرتُ ليلتي جمعاءَ. أجوبُ البيداء. وأقرو
كلَّ نجدٍ ومرتٍ. إلى أن نشر الصبحُ راياته. وحيعل الداعي
إلى صلاته. فنزلتُ عن متن الركوبة. لأداء المكتوبة. ثم طرتُ
في صهوتها. وفرنتُ عن نحوتها. وسرتُ لا أرى أثرًا إلّا
قفوتُه. ولا نشزًا إلّا علوتُه. ولا واديًا إلّا اجتزعتُه. ولا راكبًا
إلّا استطلعتُه. وجِدّي مع ذلك يذهب هدرًا. ولا يجد
وَجْدي صَدَدًا. إلى أن طاشت حصاةُ حِلمي. ولفح هجيرٌ يذهل
غيلانَ عن ميّ. وكان يومًا أطولَ من ظلّ القناة. وأحرَّ من
دمع المِقلات. فأيقنتُ أنّي إن لم أستكنّ من الوقدة. وأستجمّ
بالرقدة. أدّتني للعطوب. وعلقت بي شعوب. فجئتُ إلى
سرحةٍ كثيفةِ الأغصان. وريقةِ الأفنان. لأعوذ تحتها
إلى العصران. فوالله ما استروح نفسي. ولا استراح فرسي.
حتى تطرّقتُ إلى سامعٍ في هيئة سائحٍ. وهو ينتجع جعبي.
ويسند إلى نعتي. فكرهتُ انتماحه إلى مَعْلجي. واستعذتُ
بالله من شرّ كلّ مفاجي. ثم رجعتُ أتصدّى منشدًا أو

ثم رقم بمداد حبري . فلما استشف الأمير
أبياتها ولمح السر المودع فيها أوعز إلى الحاكم بمصادقتي
وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاثرته واختصني
بأثرته فكنت أتضح سنين أنعم في نعيم ضيافته وأرتع في
بعقوته حتى إذا أثمرت نعمه وأطال لدي دعة
فطنته الإخلال على ما ترى من حسن الحال قال فقلت له
شكرًا لمن أتاح لك لقمان السمح الكريم وأنقذك به من ضغطة
الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الجحيم
ثم قال يا لساني أأصدقك من العطاء أم أخدعك
إذا رأيت الرضا فقلت ما الإرشاد إذا احتاج فقال
وهو يضحك فأعطه ما يشتهي في الإذان أعود
من الإذان ثم كأنها ألف وأنشأنا جميع
فوق له ولسانا فوق منه سهمين وشطف
وأنا أبي من العين بما حزت
بين الشائبة والعين

السابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال نشدت ضالة في ريق زماني الذي غبر
أشخاص مثل الوبر لا أستطعم لا تنفعهم الأسية في البادية
لا أبالي الواجدا وجعلت أضرب

لولا استحيائي أن أحمل الذل
مجانًا إلى شيمتي لحان
ولو امتطيت كاهلة العار
فبعدًا لمن يروم تجارة
ومتى أهتم للدناءة بكسب
عاف طبعي طباعه وازدراه
فالمنايا ولا الدنايا وخير
من ركوب الخنا ركوب الجنان

ثم رفع إليّ طرفه وقال لأمرٍ ما جدع قصير أنفه فأحضر
خبزًا في البارحة وما عاينته في يومي والبارحة فقال
دع الالتفات إلى ما فات والطماح إلى ما طاح ولا تأس
على ما ذهب ولو أنه وادٍ من ذهب ولا تستمل من مال
عن ريحك واضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك
أو شقيق روحك ثم قال هل لك في أن تقيل وتحامي القال
والقيل فإن الأبدان أنضاء تعب والهاجرة ذات لهب
ولن يصقل الخواطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر
وخصوصًا في شهر ناجر فقلت ذلك إليك وما أريد أن
أشق عليك فافترش الترب واضطجع وأظهر أنه قد هجع
وارتفقت على الأحراس ولا أنعس فامتدت السنة لما
دبت الأسنة فلم أفق إلا والليل قد ولج والنجم قد بلج
ولا السروجي ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان

يُنْدِي مُرْشِدًا فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ سَرْحَتِي وَكَادَ يَحُلُّ بِسَاحَتِي أَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا السَّرُوجِيَّ مُتَّشِحًا بِجِرَابِهِ وَمُضْطَغِنًا أُهْبَةَ تَجْوَابِهِ فَآنَسَنِي إِذْ وَرَدَ وَأَنْسَانِي مَا شَرَدَ ثُمَّ اسْتَوْضَحْتُهُ مِنْ أَيْنَ أَتَى وَكَيْفَ نَجَا وَنَجَمَ فَأَنْشَدَ بَدِيهًا وَلَمْ يَقُلْ إِيهًا

قُلْ لِمُسْتَطْلِعِ دَخِلَةِ أَمْرِي
لَكَ عِنْدِي كَرَامَةٌ وَعَزَازَهْ
أَنَا مَا بَيْنَ جَوْبِ أَرْضٍ فَأَرْضٍ
وَسُرًى فِي مَفَازَةٍ فَمَفَازَهْ
زَادِيَ الصَّيْدُ وَالْمَطِيَّةُ نَعْلِي
وَجَهَازِي الْجِرَابُ وَالْعُكَّازَهْ
فَإِذَا مَا هَبَطْتُ مِصْرًا فَبَيْتِي
غُرْفَةُ الْخَانِ وَالنَّدِيمُ جُرَازَهْ
لَيْسَ لِي مَا أُسَاءُ إِنْ فَاتَ أَوْ
أَحْذَرُ إِنْ حَاوَلَ الزَّمَانُ ابْتِزَازَهْ
غَيْرَ أَنِّي بِتُّ خِلْوًا مِنَ الْهَمِّ
وَنَفْسِي عَنِ الْهَوَى مُنْحَازَهْ
أَرْقُدُ اللَّيْلَ مِلْءَ جَفْنِي وَقَلْبِي
بَارِدٌ مِنْ حَرَارَةٍ وَحَزَازَهْ
لَا أُبَالِي مِنْ أَيِّ كَأْسٍ تَفَوَّقْتُ
وَلَا مَا مَرَارَةٌ مِنْ مَزَازَهْ

بسائه وبنيه وبعتني وليثي وودي فنبذ زمام الناقة وحاص وأفلت وله حصاص فقال لي أبو زيد تسلّمها وتسنّمها فإنها إحدى الحسنيين وقيل أهون من ويلين قال الحارث بن همام فحرت بين لوم أبي زيد وشكره ورثيه ونفعه بضره فكأنه توحّى ما أتصدّى أو تكهّن ما خامر سرّي فقابلني بوجه طلق وأنشد بلسان ذلق

يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي
إن يكن ساءك أمسي فلقد سرّك يومي
فاعف عن ذاك لهذا واطرح شكري ولومي

ثم قال أنا شيّق وأنت شيّق فكيف نتفق وولى يفري أديم الأرض ويركض طرفه أيما ركض فما عدوت أن أقعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت إلى حلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله ربق زمانه يعني أولاده ورابعه وقد يخفف فيقال ربق وقوله أخذ أخذ نفوسهم الآنية يعني أفدى بهم يقال منه أخذ أخذهم وأخذ بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة من الإبل والثلة القطيع من الغنم والراغية الإبل والثاغية الشاء ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية أي لا ناقة

بعقوبته أساور الوجوم وأسامر النجوم أفكر تارة في رحلي
وأخرى في رجلتي إلى أن وضح لي عند افترار ثغر الصبح في وجه
الجو راكب يخدي في الدو فألمعت إليه بثوبي ورجوت أن يعرج
إلى صوتي فلم يعبأ بالناعي ولا أوى لالتياعي بل سار على
هينته وأصماني بسهم إهانته فلوقفت إليه لأستردفه و
أحمل بعطفه فلما أدركته بعد الأين وأطلقته مسرح العين
وجدت ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت أن أذريته
عن سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت أنا صاحبها و
فصلها ولي رسلها ونسلها فلا تكن كأشعب فتتعب و
فأخذ يدع ويصي ويشح ولا يستحي وبينا هو يثور و
يلين ويشاسد ويستكين غشينا أبو زيد لابسا جلد
النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون
يومه كأمسه وبدره مثل شمسه فألحق بالقارظين و
أصير حديثا بعد عين فلم أر إلا أن أذكرته العهود المنسية
والفعلة الأمسية وناشدته الله أوافي اليوم الملاحي
أم لما فيه التلافي فقال معاذ الله أن أجني على كلومي أو أصلي
حروري بسمومي بل أوافقك لأشركنه حالك وأكون يمينا
لشمالك فسكن عنده تهاتي وأجاب استيحاشي فأطلعته
طلع اللقحة وبرقع صاحبي بالقحة فنظر إليه نظر ليث العرينة
إلى فريسته ثم انتزع فتلة الرمح وأقسم له بمن أنار الصبح
لئن لم يبح سحا الذئاب ويرض من الغنيمة بالإياب ليوردن

المراد به الظبي لانه يندر في الهواجر فيصطك بما يستقبله
كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عُمَيّ
كما صغر اسود وازهر فقالوا سويد وزهير . وقوله وكان
يوما اطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة
كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة . والعرب تزعم ان ظل
الرمح اطول ظل ومنه قول الشاعر

ويوم كظل الرمح قصّر طوله
دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله احرّ من دمع المقلات وهي التي لا يعيش لها ولد
فدمعها ابدا حار لحزنها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة و
دمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له اقر الله عينه
مأخوذ من القُرّ وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه
مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين مأخوذ
من القرار فكانه دعا له ان يرزق ما تقر عينه حتى لا تطمح الى ما
لغيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلات اذا وطئت على قتيل
شريف عاش ولدها والى هذا اشار بشر بن ابي خازم في قوله

تظل مقاليت النساء يطأنه
يقلن الا يلقى على المرء مئزر

وقوله علقت بشعوب يعني المنية ولا تدخل هذا الاسم
اداة التعريف مثل دجلة وعرفة . وقوله اغرتها الى
المغير بان التغوير النزول للقائلة كما ان التعريس النزول آخر

ولا اناة وقوله ارداف اقيال اي يخلفون الملوك اذا ناوا
وقوله ابناء اقوال اي فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال
وقوله قد دربت فرسا محضار الشد الوثوب على ظهر الفرس
والمحضار والمحضير الشديد العدو ماخوذ من الحضر وهو العدو
وقوله اقري كل نجراء وعفراء الاقراء تتبع الارض
والنجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه
اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل
الداعي الى صلاته يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على
الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة
والحوقلة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفة و
الحمدلة فالهيللة حكاية قول القائل لا اله الا الله والحوقلة
حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول
بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة
قول سبحان الله والجعلفة حكاية قولهم جعلت فداك و
الحمدلة حكاية قول الحمد لله وقوله قرنته عن ظهر
الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب
وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم والصهوة مقعد الفارس
والشيم الخطو والجزع قطع الوادي عرضا وقوله
صكة عمي يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في اصله فقيل
كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم
صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت وقيل

وقوله في سهمي باحر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران
وتموز وانكر ابو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع
نجمين وقوله بت بليلة نابغية اشارة الى قول النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة
من الرقش في انيابها السم ناقع

وقوله المختل اليه يعني المتربا اليه يقال ختله النمر ولعم
بمعنى واحد وقوله يلدغ ويصي هذا مثل يضرب لمن يظلم
ويشكو يقال صات العقرب تصي صيئا وصيئا بفتح الصاد
وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن قول
ابن الرومي في هذا المعنى

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة
كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقوله ترو ولبن هذا المثل يضرب لمن تعزز ثم يذل
ويقال ان اصله الجدي يرو وهو صغير وان كبر لان
وقوله لاناطحنا النمر هذا مثل يضرب للنهي للجري لان
النمر اجرا سبع واقله احتمالا للضيم ومن هنا اشتقاق
قولهم تنمر اي صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين
الاصل في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ
به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر من النمر
ابن قاسط وكلاهما خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما
خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه والنهما اشا

الليل للتهويم او الاستراحة والمغربان تصغير المغرب وكان
قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب لتصاحيحهم الفاو فيها
على طريق الشذوذ وقوله مضطبعا اهبة نجوايه الاضطباع
ان يحمل الشي تحت ضبعه والاصطباع ان يجعله تحت صلبه
والصلب ما بين الابط والكشح وكلاهما متقارب واول مراتب
الحمل الابط ثم الصلب وهو اسفل الابط ثم الحضن وهو عند
الجنب والنجوى مصدر رجاب وجميع المصادر التي جاءت على
تفعال فهي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وقال
بعضهم تلقاء ايضا وقوله عجري وبجري يريد جميع
امري الظاهر والباطن واصل العجر العقد الناتية في العصب
والبجر العقد الناتية في البطن وقوله ولم يقل لها اي لم
يامرني بالكتم فقال للستر ادام ولم يستكفها وقوله
بامر ما جدع قصير انفه قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش
وكان جدع انفه بيك حين قتلت الزباء مولاه ثم انه اغوى
ابن عمرو بن عدي بن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه انها ماله
بانه غشها اذ جذيمة اذا اشار عليه بقصدها فخطي بهذا القول
عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان ياتيها بالطرف منه
الى ان استصحب في اخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل
الى قتلها والاخذ بثار مولاه وقصتها مشهورة وقوله
لو كان ابن نوح فعني به الصليب ساوق الى انه ولد في باحة
الدار وهي عرصتها وجمعها نوح وقيل ان النوح من اسماء الذكر

التصغير لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغر وقد أقر
هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره إلا أن العرب
عوضته عن ضم أوله بأن زادت ألفا في آخره وقد أجرت
أسماء الإشارة عند تصغيرها على منهجه فقالت في تصغير الذي
والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك
وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية
وقيل المراد بهما بعد تصغير المكروه وتكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال أشخصني في بعض أسفاري
القدر وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم النشاط
جموم النشاط أرمي عن قوس المراح إلى غرض الأفراح
وأستشفي بماء الشباب على ملاح الشراب فوافيتها بكرة
عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت إلى
أن حصلت البيت فلما انقلبت إليه قذى وملكت قول عندي
عجت إلى الحمام على الأثر فأمطت عني وعثاء السفر وأخذت
في غسل الجمعة بالأثر ثم بادرت في هيئة الخاشع إلى المسجد
الجامع لألحق بمن يقرب من الإمام ويقرب قصد الأنعام
فحظيت بأن ظفرت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع
الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويردون

في قوله

وحرب يقوب لها طارقان كلاهما
ويشرد في القتلى كليب لوائل

وقوله اصل حروري يحمومي الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا وقد تقام احداهما مقام الاخرى مجازا وقوله لبن العرنسية نفي ما وهي السبع يقال فيه عرنس وعرنسة باثبات الها وحذفها كما يقال عاد وعادية وعرين وعرينة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الها. وقوله افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعدما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط فكانه لفرقه يعدو ويضرط وقوله ويك هون وبلين هذا المثل يضرب تسلية لمن نابه بعض المكروه ومثله قول الشاعر

وبعض الشر اهون من بعض

وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظا مأخوذ من قولهم تأق الاناء اذا امتلأ والمئق هو الباكي فكان التئق يسرع الى الشر لغيظه والمئق يصوب دمعا لاحتماله ومثله قول الاخر انا كلف وانت صلف فكيف نأتلف وقوله لطيتي لنفسي ففي وجهي وقد يقال لشها باطنة بالخف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا هو تصغير التي وهو على غير قياس التصغير

وادكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد
ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله وسطوة مطلعه والمحوا
الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما وأمر
مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سلب
المسامع وسح المدامع وإكداء المطامع وإرداء المسمع
والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع
والمحسود والحساد والأساود والآساد ما أول الآمال
وعكس الإمال ولا وصل إلا وصال وكلم الأوصال
ولا سر إلا وساء ولؤم وأسا ولا أصح إلا وأدأل الداء
ودرع الأدواء الله الله رعاكم الله إلام مداومة اللهو
ومواصلة السهو وطول الإصرار وحمل الآصار وإطراح
كلام الحكماء ومعاصاة إله السماء أما الهرم حصادكم و
المدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم
أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة
لكم مرصدة أما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك
وردهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا
مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله
امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه
وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا
والصحة كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه عدم المرام
وحصر الكلام وإلمام الآلام وحم الحمام وهد الحوار

ثادي وأزواجا حتى إذا اكتظ الجامع بحفله وأظل تساوي السحر
وظله برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى
في منبر الدعوة إلى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا بيمينه
ثم جلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال

الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو
لحسم اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم وأهل السماح و
الكرم ومهلك عاد وإرم أدرك كل سر علمه ووسع كل مصر

[illegible]

والد ولا ردء معه ولا مساعد أرسل محمدا للإسلام ممهدا
وللملة موطدا ولأدلة الرسل مؤكدا وللأسود والأحمر
مسددا وصل الأرحام وعلم الأحكام ووسم الحلال
والحرام ورسم الإحلال والإحرام كرم الله محله وكمل
الصلاة والسلام له ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ما همر
ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطع حسام اعملوا
رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء واردعوا
أهواءكم ردع الأعداء وأعدوا للرحلة إعداد السعداء وادرعوا
حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا أود العمل وعاصوا
وساوس الأمل وصوروا لأوهامكم حوول الأحوال و حلول
الأهوال ومساورة الإعلال ومصارمة المال والآل

وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا
وَمَثِّلِ الْأَرْضَ كُلَّهَا دَارَا
وَاصْبِرْ عَلَى خُلْقِ مَنْ تُعَاشِرُهُ
وَدَارِهِ فَاللَّبِيبُ مَنْ دَارَى
وَلَا تُضِعْ فُرْصَةَ السُّرُورِ فَمَا
تَدْرِي أَيَوْمًا تَعِيشُ أَمْ دَارَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَنُونَ جَائِلَةٌ
وَقَدْ أَدَارَتْ عَلَى الْوَرَى دَارَا
وَأَقْسَمَتْ لَا تَزَالُ قَانِصَةً
مَا كَرَّ عَصْرُ الْحَيَا وَمَا دَارَا
فَكَيْفَ يُرْجَى النَّجَاءُ مِنْ شَرَكٍ
لَمْ يَنْجُ مِنْهُ كِسْرَى وَلَا دَارَا

قَالَ فَلَمَّا عَمَرَتْنَا الْكُؤُوسُ وَطَرِبَتِ النُّفُوسُ حَرَّجْتُ عَلَيْهِ الْيَمِينَ الْغَمُوسَ عَلَى أَنْ أَحُطَّ عَلَيْهِ النَّامُوسَ فَنَعَتَ مَرَامَهُ وَزَعَمَ دَعَامَهُ وَقُلْتُ لَهُ بِالْمَلَامَةِ الْعُصُلِ وَسَدَّدْتُ الذُّلَّ عَلَى خَطَايَا النَّصْلِ وَلَمْ تُرْفِقِ الدَّنَابَةُ وَأَبَى إِلَّا التَّنَبُّهَ فَوَدَّعْتُهُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى التَّدْلِيسِ [illegible] حَسْوِ الْخَنْدَرِيسِ

المقامة السادسة والعشرون

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ لَجَأَنِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ إِلَى أَنْ

من الأدناس لعلها تحسم الهام المؤكد وأمدها سرمدكم
وداووها بالكمد ما لوطئه حاسم ولا للمدمر راحم ولا له مما
عراه عاصم ألهمكم الله أحمد الإلهام وردّاكم رداء الإكرام
وأحلكم دار السلام وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام
وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام قال الحارث بن
همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط
بعثني الإعجاب بنمطها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب فأخذت
أتوسمه بتحديق وأقلب الطرف فيه بتحقيق إلى أن وضح لي بصدق
العلامات أنه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت
في ذلك الوقت فأمسكت حتى تحلل من النفل والفرض وحل
الانتشار في الأرض ثم واجهته لأحييه وابتدر تلقاه
فلما رآني حفي في السلام وأحفى في الإكرام ثم استصحبني إلى
داره وأوعى خصائص أسراره وحين انتشر جناح الظلام
وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام مختومة بالفدام
فقلت أتحتسيها عند النوم وأنت إمام القوم فقال مه
أنا بالنهار خطيب وفي الليل أطيب فقلت والله ما أدري
أأعجب من تخلفك عن أهليك وتعطيل ناديك أم من خطابتك
مع ناديك ومدار كاسك فأشاح بوجهه عني ثم
قال اسمع مني

لا تبك إلفا نأى ولا دارا
ودر مع الدهر كيفما دارا

فطانة المرسل والمرسل فعلمت أنها سرحة وإن لم أسل
وما كدت أن بادرت إلى الخان مطلق العنان لأنظر كنه وهمي
وهل قرطس في التكهن سهمي فإذا أنا في الفراسة فارس وأبو
زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقا وتقارضنا
ثنا الأصدقا ثم قلت له ما الذي نابك حتى رثت حالاتك
فقلت دمع فاض وجود فاض فقال والذي أنزل المطر من
الغمام وأخرج الثمر من الأكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان
وقل المعوان والله المستعان فكيف أنت وعلى أي
وصف أنت فقلت اتخذت الليل قميصا وأدلجت فيه
خميصا وأطرقت في الأرض وفكرت في ارتياد العرض
والفرض ثم اهزهزت من كنت قبض أو ثبت له فرض
وقال فتعلق قلبي بنضاهم مع سوء حالك ورثاثة جاه
قلت وكيف الجمع بين عل وقل ومن الذي يسعى في وصل بين
فقال أنا المشير لك والنك والوكيل لك وعلك ثم أنه من
نقوم جبر الكسير وفك الأسير واحترام العشير ولكنها
شنشنة إلا أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم أو جبلة بن الأيهم
لما زوجوه إلا على خمسمائة درهم اقتداء بما سنه الرسول صلى
الله عليه وسلم في زوجاته وعقد به أنكحة بناته على أنك لن
تطالب بصداق ولا تلجأ إلى الطلاق ثم إني سأخطب في موقف
عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب
بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فأردهاني وصف الخطبة

... بواسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا
أملك فيها مسكنا ولما طلتها طلول الحوت بالبيدا والشعرة
البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد
الناكص إلى خان يترده شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق
وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في استيطانه
وينسيه هوى أوطانه فاستفردت فيه بحجرة ولم أنافس
في أجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خطف طرف حتى سمعت
جاري بحيث يقول لنزيله في البيت قم يا بني لا قعد جدك
ولا قام ضدك واستصحب الوجه المدري والثوب
المطري والأصل النقي والجسم التقي الذي قمص وشمس
وحبس ونهس ونفي وقطع وأدخل النار بعد ما لطم
وركض في السوق ركض المشوق فقايض به الأخ الملقح
المقبس المصطلح المكد المصحح النقي المروح ذا الزفر المجوف
والحبس المشرق والقبط المقسم والنيل المتمم الذي إذا
حرق زاد ونمى وتلع بالحرق ونفق في الحرق فإنك
... مشغلة الهادي ولم يبق إلا صدر الصادر بعد
... ومامعه أنيس فإنها معضلة تلتبس بالعقول
وتحمل في الفصول وانطلقت في إثر الغلام
[illegible]
[illegible]
... حتى انتهى عند الرواح إلى حانوت الفلاح
... وتناول منه خبزا لطيفا فعجت من

عقد له وسواه ارسل محمدا علما للاسلام واماما للحكام و
مسددا للرعاع ومعطلا احكام ود وسواع اعلم وعلم
وحكم واحكم واصل الاصول ومهد واكد الوعود و
اوعد واصل الله له الاكرام واودع روحه السلام
ورحم آله واهله الكرام ما لمع آل وملع رال وطلع هلال
وسمع اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا
مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا امر الله و
عوه وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها
وصاهروا لحمة الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع
ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا واسراهم سوددا واحلاهم
موردا واصحهم موعدا وها هو امكم وحل حرمكم
مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول ام سلمة
وهو اكرم صهر اودع الاولاد وملك ما اراد وما سها مملكه
ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم اسال الله لكم احماد
وصاله ودوام اسعاده والهم كلا اصلاح حاله والاعداد
لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد فلما
فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الاعجام عقد
العقد على الخمس المئين وقال للحما بالرفاء والبنين ثم احضر
الحلواء التي اعدها وابدع الابزار عندها فاقبلت قبالة
الجماعة عليها وكدت اهوي بيدي اليها فرجعني عن المواكلة
وانهضني للمناولة فوالله ما كان باسرع من تصافح الاجفان

تلوح دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت لبك
منذ الليلة بتدبير بنات نعش فنهض مهرولا
ثم عاد متهللا وقال أبشر بإعتاب الدهر وانجلاب الدر
فقد وليت العقد وأكفلت النقد وكان قبل ثم أخذ في
مواعدة أهل الخان وإعداد حلواء الخوان فلما مد الليل طنبه
وأغلق كل ذي باب بابه لم أر في الجماعة الا أخيرا ولدى
هذه الساعة فلم يثنهم الأمر لبى صوته وحضرته
فلما استطلع الفجر واختم الشاهد والمشهود عليه جعل
يرمق الأسطرلاب ونصبه ويلحظ التقويم وبدعه إلى أن
نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا ضع الفاس في
الراس وطمن الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من
عقلة الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور ليسفرن
من هذا الأمر المستور ليستشرن ذكره إلى يوم النشور ثم
انتحى على ركبتيه واسترعى الاسماع لخطبته وقال
الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومآل
كل مطرود ساطح المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار
ومسهل الأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمر الأملاك
ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها
عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السؤل والأمل
وأوسع المرمل والأرمل أحمده حمدا ممدودا مداه وأوحده
كما وحده الأواه وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما

صمنتى ثم قلت له قول المستطعم بطاعم الكافل له بصاعه
قد كفيتني الأولى فخراً فاطلب الأخرى فتبسم من كلامي
وذلك لأني الرامي فلويت عنه عذاري وأبديت له ازوراري
فلما بصر بانعاصي وشغلي له إعراضي أنشد

يا صارفاً عني المودة — والزمان له صروف
ومعنفي في قصح من — جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت — فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم — أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم — لما سبكتهم زيوف
[illegible] لا محف — [illegible] محوف
[illegible] — [illegible]
[illegible] — ببالضرب على الحروف
فوثبت فيهم وثبة الذ — سقوا كأس الحتوف
وتركتهم صرعى كأنهم — وهم رغم الأنوف
وتحكمت فيما اقتنوه بلا — حلو المجاني والقطوف
ثم انثنيت بغنمهم — الحنا خلي يطوف
ولطالما خلفت مكلوم — والدرانك والسجوف
ووترت أرباب الأرائك — ما ليس تبلغ بالسيوف
ولكم بلغت بحيلتي — الا سدفيه من الوقوف
ووقفت في هول تراع — وكم فتكت بحي انوف
ولكم سفكت وكم فتكت — في الذنوب وكم خفوف
وكم ارتكاض موبوتلى

حتى خر القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية أو صرعى
بنت خابية علمت أنها إحدى الكبر وأم العبر فقلت له يا عدو
نفسه وعبيد فلسه ما غذت القوم طوى أم تلوى فقال
لم أعد حبص الشيخ في صحاف الطبخ فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا
وهدى بها الساري نظرا لقد جئت شيئا نكرا وأبقيت لك في
المخزيات ذكرا ثم حدت فكري في صنو ركزه وجعته من علق
عرم حتى طارت نفسي شعاعا وارعدت فرائصي ارتياعا فلما
رأى استطاري وفرقي واستشاطة قلقي قال يا هذا المكر
الممض والروع الموهص فإن يكن فكرك في أجلي من أجلي
فأنا الآن أربع وأظفر وأهوي منها إلى البقعة وأقفر فكم
مثلها فارقتها وهي تصفر وإن يكن نظرا لنفسك وحذرا من
حسك فتناول فضالة الحيص وطب نفسا عن التمحيص
حتى يأمن المستعدي والمعدي ويتمهد لك المقام بعدي
وإلا فالمفر المفر قبل أن تنحب وتحر ثم عمد لاستخراج ما في
البيوت من الأكارس والتوت وجعل يستخلص ما لفه كل
مخزون وتحته كل مدروع وموزون حتى غادرها العافية
كمعظم يستخرج مخه فلما أمن ما اصطفاه ورد ثم وثمر عن
ذراعيه وتحزم أقبل علي إقبال من لبس الصفاقة وخلع
الصداقة وقال هل لك في المصاحبة إلى البطحة لأصلك بأحرى
منحة فأقسمت له بالذي جعله مباركا أين ما كان ولم يجعله
ممن خان إنه لا قبل لي بنكاح حزين ومعاشرة

فقال أما القوم فشهود وأما المقصد فإملاك مشهود
فحدتني شيمة النشاط إلى أن سرت مع الفراط لأفوز بحلوى
اللقاط وأحوز حلواء السماط فأفضينا بعد مكابدة العنا
إلى دار رفيعة البنا وسيعة الفنا تشهد لبانيها بالثراء
والسنا فلما نزلنا عن صهوات الحمول وقدمنا الأقدام
للدخول رأيت دهليزها مجللا بأطمار مخلقة ومكللا بمخارف
معلقة وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة وإنه
عنوان الصحيفة ونزيه هذه الطريفة ودعاني التطرب لتلك
المحاسن إلى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف
الأقدار ليعرفني من رب هذه الدار فقال ما لها مالك
معين ولا صاحب مبين إنما هي مصطبة القصفين والمدر
ووليجة المستعفين والملوين فقلت في نفسي إنا لله على
ضلة المسعى وإمحال المرعى. وهممت في الحال بالرجعى لكني
استحييت العود من فوري والقهقرى دون غيري فولجت
الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فإذا فيها
أرائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة
وسجوف مرصوفة وقد أقبل المملك يميس في بردته ويهس
بين حفدته فحين جلس كأنه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل
الأحما وحرمة ساسان أستاذ الأستاذين وقدوة
الشحاذين لا عقد هذا العقد المبجل في ذا اليوم الأغر المحجل
إلا الذي جال وجاب وشب في الكدية وشاب فأعجب رهط

لكنني امرؤ ذت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت في الاستعبار وأطال الاستغفار حتى استمال لهوى قلبي المنحرف ورجوت له ما رجي للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه المنهمل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احمل الباقي والله الواقي

قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب الحية وانتهاء الغاية الى الكنية علمت ان رتبتي بالخان مجلبة للهوان فصممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي اسري الى الطيب واحتسب الله على الخطيب

المقامة الثلاثون

حكى الحارث بن همام قال رحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض وما لك رفع وخفض تقت الى مصر توقان السقيم الى الأساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونقضت عوائق الاقامة وامتطيت ظهر النعامة واجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الأين ومداناة الحين كلفت فيها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما انا يوما بها اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لابتغاء النزهة عن العصبة والوجهة

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا وَهَذَا أَبُو الْمِلَاحِ

وَلَّاجُ بْنُ خَرَّاجٍ ذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحِ وَالْأَدَبِ الصُّرَاحِ [illegible]

الْمَهِيرِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِبْرَامِ وَالْإِلْحَاحِ يَخْطُبُ سَيِّئَةً أَهْلَهَا

وَشَرْطُهُ نَيْلُهَا فَقْدُسٌ بِمَا لَا يُقْتَبَسُ بِمَا الْمَعْهُودِ مِنْ [illegible]

بِالْحَاقِهَا وَإِسْرَاعِهَا فِي إِسْعَافِهَا وَاجْتِمَاعِهَا فِي [illegible]

وَانْتِعَاشِهَا عِنْدَ عِرَاسِهَا وَقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ [illegible]

وَصِفَاقًا وَكِرَابًا فَأَنْكِحُوا إِيَّاهُ سُؤْلَهُ وَصِلُوا [illegible]

وَإِنْ حَصَمْتُمْ عِلَّةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ [illegible]

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ [illegible]

الْمُصَاحِبُ لَكُمْ وَمَحْرُومٌ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ [illegible]

نُتِجَ مِنْ خُطْبَتِهِ وَأَبْرَمَ عَقْدَ خِطْبَتِهِ [illegible]

مَا اشْتَهَرَ وَصْلُ الْأَبْكَارِ وَأَعْوَزَهُ [illegible]

مِنْ دِلَائِهِ وَتَعَدِّمِ الْأَدِلَّةِ [illegible]

لِاسْتِطْرَاقِهِ الْقَوْمَ وَالْجَمْعُ يَوْمَئِذٍ [illegible]

رَهْطُهُ وَتَنَاصَبَتْ فِي الْحَيِّ جَمَاعَةٌ [illegible]

خِدْنُهُ وَطَفِقَ يُحَرِّضُهُ وَيُحَضِّضُهُ [illegible]

وَوَرَّتْ مِنْ زَنْدِ [illegible] مِنَ الشَّيْخِ لَفْتَةٌ [illegible]

بِهَا طَرْفُهُ إِلَيَّ فَقَالَ يَا بُنَيَّ هَلَّا [illegible]

فِيكُمْ فَقُلْتُ وَالَّذِي خَلَقَهَا طِبَاقًا وَ[illegible]

لَا ذُقْتُ طِبَاقًا وَلَا أَلِفْتُ رِفَاقًا وَ[illegible]

وَمِنْ أَيْنَ مَحْصَبًا لَكَ فَشَمَّرَ الصَّدَاقَ [illegible] وَأَرْسَلَ [illegible]

لفهم ما أناروا إليه وأذنوا في اختصار المنصوص عليه فبرز
شيخ قد أمال الملوان قامته ونزل الفتيان نعامته
فتباشرت الجماعة بإقباله وتبادرت إلى استقباله فلما
جلس على دربنيه وسكنت الضوضاء المبنية أو دلف إلى
منبره وسمع بسملة بين ثم قال
الحمد لله المبتدئ بالإفضال المبتدع للنوال المتقرب إليه
بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكاة في الأموال
وزجر عن نهر السؤال وندب إلى مواساة المضطر وأمر
بإطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه
المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين في أموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من
طعمه هنيئة وأعوذ به من استماع دعوة لائمة وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له مجزي المتصدقين والمتصدقات
ومحق الربا ومربي الصدقات وأشهد أن محمداً عبده الرحيم
ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينصف
الفقراء من الأغنياء فرق صلى الله عليه بالمساكين وخفض
جناحه للمستكينين وفرض الحقوق في أموال المثرين
وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه وسلم صلاة
تحظيه بالزلفة وعلى أصحابه أهل الصفة أما بعد
فإن الله تعالى شرع النكاح ليعففوا وسن التناسل لكي تضاعفوا
فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى



الحادية والثلاثون

حدّث الحارث بن همّام قال كنتُ في عنفوان الشباب وريعان العيش اللُّباب أُقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القِراب لعلمي أنّ السفر ينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقم الفطن ومحبس الفطن فأجلتُ قِداح الاستشارة وقدحت زناد الاستخارة ثم احتثثت حاملة البدن الهجان واصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيّمت بالرملة وألقيتُ بها عصا الرحلة صادفتُ بها ركابًا تُعَدّ للسُّرى ورحالًا تُشدّ الى أم القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوقٌ الى البيت الحرام فزممتُ ناقتي ونبذتُ عُلَقي وعلاقتي

وقلتُ للائمي اقصر فاني

سأختار المقام على المُقام

وأنفق ما جمعتُ بأرض جمعٍ

وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمتُ مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جمحة السيل والى الخير جري الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب وتخويد وتقريب الى أن حبسنا أيدي المطايا بالجحفة في أنضاء لنا إلى نحفة فحللناها متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك المرام

[illegible] حتى إذا استنزف الدمع استقصت الجمع

وقلت لي السمع

سمعًا أبي مسروج	ولها كنت أسوج
سل التي تفوقتها	كل شيء ويروج
[illegible] استطل	وضحايا بها مسروج
دموعًا يعاني [illegible]	نجوم وبروج
شد انقية زيافة	ومرآها البهيج
[illegible] أعشبناها	من سحاب الثلوج
[illegible] ها فإن مرتنا	جنة الدنيا مروج
و[illegible] تراع عنها	زفرات ونشيج
[illegible] لا [illegible]	وحمى عنها العلوج
[illegible] من [illegible]	كلما قرب يهيج
[illegible] كل يوم	خطبها خطب مريج
ومساعد في الرخي	قاصرات الخطو عوج
[illegible]	ثم لي منها الحرج

[illegible] فلما [illegible] ووعيت ما أنشده أيقنت أنه [illegible] الوزير وإن كان أخر مقامه بتقليد فبادرت [illegible] أصحابه وعمت [illegible] من صحبته وظلت منه [illegible] إلى سواطه وأحسنوا صلته من دون [illegible] إلى أن [illegible] بتناغب البين ففارقه [illegible]

ولا زكا بالخيف من رغب في الحيف ولا شهد المقام
إلا من استقام ولا حظي بقبول الحج من زاغ عن المحجة
فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة
الرضا قبل شروعه في الإضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع
ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفاضة من تعريفه ثم
رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال
الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا
ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على
تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا
ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي بما أوتيت مقتدرا
من مد كفا الى الجدوى واك محتاجا
فهذه إن حويتها حجة كملت
وإن خلا الحج منها كان إخداجا
حسب المرائين غشا أنهم غرسوا
وما جنوا لو لقوا كدا وإزعاجا
وأنهم حرموا الأجر ومحمدة
فالحمد عنهم نأى غابا وهاجا

[illegible]

[illegible]

يا أهل ذا النادي هلم إلى ناجي يوم التنادي فأحضر إليه
الحجيج وانثالوا واحتفوا به وانصتوا فلما أن تبينوا
حوله واستطعموا قوله تسنم إحدى الإكام ثم تنحنح
مستفتحا للكلام ثم قال يا معشر الحجاج الناسلين من
الفجاج أتعقلون ما تواجهون وإلى من توجهون أم
تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون أتظنون أن الحج
هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل
وإنضاء الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان
وإنضاء الأبدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان
كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية وإخلاص
النية في قصد تلك البنية وإمحاض الطاعة عند وجدان
الاستطاعة وإصلاح المعاملات أمام إعمال اليعملات
فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد السالك في الليل الحالك
ما يطهر اغتسال الذنوب من الانغماس في الذنوب
ولا تعدل تعرية الأجسام نقية الأجرام ولا تغني لبسة
الإحرام عن المتلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالإزار
مع الاضطلاع بالأوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع
التقلب على الخلق ولا ترحض النسك بالتقصير درن
التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة

وتركته تحت رحله الأرغد الذئب وسألته أن لا يمسني وأني
أو مالي فما وقال إنيت في تحتي هو أن لا أحنث ولا
أعتق ولا أكذب ولا أنكث ولا أرتد ولا أؤذي
ولا ألمس من نافق ثم ذهب بقول فنادى بأعلى صوته
[illegible] فصل [illegible]
أحد الأطواد ووقف للحج بالصفا [illegible]
أنكار في الكتاب وقام بالثناء على القرآن وقال منشدا

ليس من دارنا كما شئت ساعٍ على القدم
لا ولا خادم أطاع كيف حمى أعظم
كيف يا قوم يستوي حيّ بالقمر ميت
يستقيم المعوج غلا ما ثم الستم
ويقول الذي تقرب طاعة بين حكم
ويك يا نفس ولي متاعا عنده في العدم
وإن ادعى زخرف الحياة فوجل معه
وادكري غصص الحمام إذا الخطب صدم
وإذا فعلت القبيح وتحكيه بندم
وادنيه توبة قبل أن يحل لا ادم
صلى الله يا نبيك لسيد لدى يحكم
يوم لا عمرو ينفع ولا يسمع الندم

ثم إنه اعتقل لسانه وأطلق لسانه فما زال كل
يوم يزيده ومعرفة توسله تقبل فانشد

أجانب بما تبديه من قُرَبٍ

وجهَ المهيمن ولا جاهاً وخراجا

فليس يخفى على الرحمن خافيةٌ

إن أخلص العبدُ في الطاعات أو داجا

وبادر الموت بالحسنى تقدّمها

فإنه داعي الموت أن فاجا

ومن تواضع خلقاً لا ترى له

عند التسامي ولو ألبست تاجا

ولا تشم كل خال لاح بارقه

ولو رأى صوبه السكب ثجاجا

ما كل داعٍ بأهلٍ أن يصاخ له

كم قد أصمّ نعيّ بعض من ناجا

وما اللبيب سوى من بات مقتنعاً

بلمعةٍ تدرج الأيام أدراجا

فكلّ كرٍّ إلى فلٍّ مغبّته

وكلّ دارٍ إلى لبسٍ وإزهاجا

قال الراوي فلما ألفح غشم الأفهام بسحر الكلام استروحت ريح أبي زيد وماد بي الارتياح أنه أبو زيد فمكثت حتى استوعبت شنشنته وانحدر من أريكته ثم درجت إليه لأتصفح صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فإذا هو الضالة التي أنشد [illegible] الأذى الذي أنشدها فعانقته عناق اللام للألف

ويوم التنادي حتى إذا اظللنا عليه واستشرفنا الفقيه
المنهود اليه الفيته ابا زيد ذا التشبه والتقعر والتقوّر
والتفقر وقد اعتم القعداء واشتمل الصماء وقعد
القرفصاء واعيان الحي يحتفون واخلاطهم عليه
ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات واستوضحوا
مني المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم آدم الاسماء
اني لفقيه العرب العرباء واعلم من تحت الخضراء فصمد له
فتى فتيق اللسان جريء الجنان وقال اني حاضرت فقهاء
الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا فان كنت ممن ينزع عن
بنات غير وينزع بما في سر فاستمع واجب لتقابل بما
يجب فقال الله اكبر ستبين المخبر وينكشف المضمر
فاصدع بما تؤمر

قال ما تقول فيمن توضا ثم لمس ظهر نعله
قال انتقض وضوؤه بفعله — النعل الزوجة

قال فان توضا ثم اتكاه البرد
قال يجدد الوضوء من بعد — البرد النوم

قال أيمسح المتوضي انثييه قال
قد ندب اليه ولم يوجب عليه — الانثيان الاذنان

قال ايجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال
وهل انظف منه للعريان — الثعبان جمع ثعب وهو مسيل
الوادي

قال ايستباح ماء الضرير قال نعم

ستجدن مني [illegible] فلا تحتج حتى تطالب بالحق أسفه
ولا تحمل قطعه فما كان في العزم تحمل الكلفة
ولا تنثني شغف بمثلها من ذلك

المقامة الثلاثون

حكى الحارث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك
حجي وأقمت وظائف الحج والنحر أن أقصد طيبة مع
ركب من بني شيبة لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من
حج وجفا فأرجف بأن السابلة [illegible] وأن ذؤبان العرب
[illegible] حرب بين الشقاق والتعدي وأسواق التلظي
[illegible] ذوي الإسلام وتحيرت بين قعدة والإقدام
[illegible] وعزمت أمضي ونشطت والرفقة لا
[illegible] ولا أوجدت بأسه الآلة حتى أتينا حي حرب
وقد [illegible] فتيمنا بمقصد القوم وحلل
[illegible] وبناحية [illegible] وشدة [illegible]
[illegible] لأهل الحصى وقصول [illegible]
[illegible] ومالنا [illegible] فشد [illegible] فحضر [illegible] فقت
[illegible] فاعترضهم [illegible] فقلت لم [illegible] لا [illegible]
[illegible] ليتني لم يتقدم أني فقالوا لقد سمعت
[illegible] ونعتت لنا ... ثم [illegible] لم العادي

قال صلاته جائزة. العانة الجماعة من حمر الوحش

قال فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم. الصوم ذرق النعام

قال فإن حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى. الجرو صغار القثاء والرمان

قال أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة. القروة ميلغة الكلب

قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو قال يمضي في صلاته ولا غرو. النجو السحاب الذي قد هراق ماءه

قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال نعم ويأمهم مدرع. المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع

قال فإن أمهم من في يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف. الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد به أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء

قال فإن أمهم من فخذه بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية. الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البدو وأختار بعضهم تسكين الخاء من الفخذ ليفرق بينها وبين الفخذ من الأعضاء

قال فإن أمهم الثور الأجم قال يصلي وصلاته تامة. الثور السيد والأجم الذي لا رمح معه

قال أيحل القصر في صلاة الشاهد قال

ويجنبه ما البصير الصير حرف الوادي والبصير الكلب

قال أيحل الطوف في الربيع قال يكره ذلك

للحدث الشنيع الطوف التغوط والربيع النهر

قال أيجب الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى

أمنى ترك منى يقال منه منى وأمنى وامتنى

قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل

وغسل إبرته الفروة جلدة الرأس والإبرة عظم المرفق

قال فإن أخل بغسل فائله قال هو كما لو لم يغسل

رأسه الفائل العظم المشرف على نقرة القفا قال

ما تقول في من تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضا

الروض ماء يجمع روضة وهي الصبابة تبقى في الحوض

قال أيجوز أن يتخذ الرجل في العذرة قال

نعم ويجتنب القذرة العذرة فناء الدار

قال فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا على

أحد الأطراف الخلاف الكم قال

فإن سجد على ثماله قال لا بأس بما له

الثمال جمع ثمالة قال فهل يجوز السجود على

الكراع قال نعم دون الذراع الكراع ما استطال

من الحرة قال أيصلي على رأس الكلب

قال نعم كان المنصب رأس الكلب أكمة معروفة

قال ما تقول في من صلى وعانته بارزة

يا نخاق قال فإن ظهر الجدري على ضرتها

قال تفطر إذا ذر بصرتها الضرة أصل الإبهام

وهي أصل الثدي أيضا قال ما يجب في مائة

مصباح قال حقتان يا صاح المصباح الناقة التي

تصبح في المبرك قال فإن ملك عشر خناجر قال

يخرج شاتين ولا يشاجر الخناجر النوق الغزار واحدها

خنجر وخنجور قال فإن ذبح الساعي جحمته

قال يا بشرى له يوم قيامته الساعي جابي

الصدقة والجحمة خيار المال

قال أتستحق حملة الأوزار من زكاة جزا قال

نعم إذا كانوا غزا الأوزار السلاح وغزى جمع غاز

قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يختمر

الاعتمار لبس العمارة بفتح العين وهي العمامة والاختمار

لبس الخمار قال فهل له أن يقتل الشجاع

قال نعم كما يقتل السباع الشجاع الحية

قال فإن قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة من

النعم الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار

قال فإن رمى ساق حر فقتله قال يخرج شاة

بدله ساق حر ذكر القماري

قال فإن قتل أم عوف بعد الإحرام قال يتصدق

بقبضة من طعام أم عوف الجرادة

لا والغائب الشاهد صلاة الشاهد صلاة المغرب

سميت بذلك لإقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمى الشاهد

قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان

قال ما رخص فيه إلا للصبيان المعذور المختون وهو أيضا

المعذر يقال عذرته وأعذرته

قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بمل فيه

المعرس المسافر الذي ينزل آخر الليل ليستريح ثم يرتحل

قال فإن أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الولاة

العراة الذين يأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة

قال فإن أكل الصائم بعد ما أصبح قال هو أحوط له

وأصلح أصبح أي استصبح بالمصباح

قال فإن عمد لأن أكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا

الليل فرخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان

قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء قال يلزمه

وأبيه القضاء البيضاء من أسماء الشمس

قال فإن استثار الصائم الكديد قال أفطر من حال

الصيد الكديد القيء واستثار أي استدعاه

قال فهل يفطر بالحاج الطابخ قال نعم لا بطاعن الطابخ

الطابخ الحمى الصالب

قال فإن ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها

ضحكت أي حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها

الشافع الشاة التي معها حملها قال أيباع الإبريق
على بني الأصفر قال ولو كرم كبيع المغفر الإبريق السيف
الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر الروم قال
أيجوز أن يبيع الرجل صيفيته قال لا ولكن يبيع صفيه
الصيفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر
قال فإن اشترى عبداً فبان بأمه جراح قال لا ما في
رده جناح الأم مجتمع الدماغ قال أتثبت
الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء
الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة قال أيحل
أن يحمى ماء البئر والخلا قال إن كان في الفلا فلا يحمى يمنع
والخلا الكلأ قال ما تقول في ميتة الكافر
قال حل للمقيم وللمسافر الكافر البحر وميتته السمك الطافي
فوق مائه قال أيجوز أن يضحى بالحول قال
هو أجدر بالقبول الحول جمع حائل قال
فهل يضحى بالطالق قال نعم ويقري منها الطارق
الطالق الناقة التي ترسل ترعى حيث شاءت قال
فإن ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاة لحم بلا محالة
الغزالة الشمس وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال
غربت قال أيحل الكسب بالطرق قال هو كالقمار
بلا فرق الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة
قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور فيما

قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم
ليسوقهم إلى المشارب الحاج اسم للجميع والواحد والقارب
طالب الماء الليل قال ما تقول في الحرام يقتل الشبث
قال فليتصدق في ذلك الوقت الحرام المحرم والشبث
قمل الراس وقتله من محظورات الحج قال ما تقول في
بيع الكميت قال حرام كبيع الميت الكميت الخمر
قال أيجوز بيع الحمل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل
الحمل ابن المخاض ولا يجوز بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه
أم من غير جنسه قال أيحل بيع الهدية قال
لا ولا بيع السنة الهدية بالتشديد ما يهدى إلى الكعبة
ويقال أيضا فيه هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء
والسنة الخمر قال ما تقول في بيع العقيقة
قال محظور على الحقيقة العقيقة ما يذبح عن المولود في
اليوم السابع من ولادته قال أيجوز بيع الداعي
على الراعي قال لا ولا على الساعي الداعي بقية اللبن في
الضرع والساعي جابي الصدقة وقد مضى تفسير
قال أيباع الصقر بالتمر قال لا وما لك الحق و
الأمر الصقر الدبس قال أيشتري المسلم
سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه إذا مات
المسلمات النحر وهو أيضا خوص الثمام قال
فهل يجوز أن يباع الشافع قال ما الجواز دافع

احد فعلها البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض

قال فهل تؤدب المرأة على الخجل قال اجل الخجل سوء

احتمال الغنى قال فما تقول فيمن نحت اثلة اخيه

قال اثم ولو اذن له فيه نحت اثلته اذا اغتابه وقدح في

عرضه قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم

ليأمن غائلة الجور الثور الجنون قال فهل له ان

يضرب على يد اليتيم قال نعم الى ان يستقيم يقال ضرب

على يده اذا حجر عليه قال فهل يجوز ان يحجر على رضيعه

قال لا ولو كان له رضا الرضيع الزوجة قال

فمتى يباع عبد المستغنية قال حين يرى له الحظ فيه العبد

الزرع القصير قال فهل يجوز ان يبتاع لليتيم

نعم اذا لم يكن مستثنى الحش النخل المجتمع قال

يجوز ان يكون الحاكم ظالما قال نعم اذا كان لبيبا

الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده

قال أيستقضي من ليست له بصيرة قال نعم اذا

حسنت منه السيرة البصيرة هاهنا الترس قال

فان تعرى من العقل قال ذلك اعون له على الفصل العقل ضرب

من الوشي قال فان كان له زهو بتار قال لا

ولا انكار الزهو البسر الملون والبتار النخل الذي يبات

البدو والقاعد من النخل ضدها قال أيجوز ان يكون

الشاهد مريبا قال نعم اذا كان اريبا المريب الذي كثر

بين الاباعر القاعد التي قعدت عن الحمص او عن الازواج
قال اينام العاقل تحت الرقيع قال اجنبه في السقيع
الرقيع السماء وعنى بالسقيع بقيع المدينة قال ايمنع
الذمي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا تجوز
العجوز الخمر وقتلها مزجها قال ما تقول في التهود
قال هو مفتاح التزهد التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا
هدنا اليك قال ايجوز ان يتنفل الرجل عن عمار ابيه
قال ما تجوز للحامل ولا لبنيه العمارة العبيلة قال
ما تقول في ضرب البلية قال اعظم به من خطية الضرب
الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف
الى ان تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها
قال ايحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير
السفير ما ساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين
وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل قال
ايعزر الرجل اباه قال بفعله البر ولا يأباه التعزير التعظيم
والنصرة قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال
حبذا ما توخاه افقره اعاره ناقة تركب فقارها قال
فان اعرى ولده قال بئس ما اعتمده اعراه اعطاه
ثمر نخلة عاما قال فان اصلى مملوكه النار قال ما
لا اثم عليه ولا عار المملوك العجين الذي قد اجيد عجنه حتى
قوي قال ايجوز للمرأة ان تصرم بعلها قال ما حظر

نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق يقال باتت العروس بليلة حرة إذا امتنعت على زوجها فإن افتضها قيل باتت بليلة شيبا والأذى للطارق يمنع الرجوع في الطريق لأول وكنى به عن طلاقها وردها إلى أهلها فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح وحبر لا يبلغ مدحه المادح ثم أطرق إطراق الحيي وأرم إرمام العيي فقال له أبو زيد إيه يا فتى فإلى متى وإلى مَ فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد إشراق صبحك مماراة فبالله أي ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله ولأهل العلم قبله
غير أني كل يوم بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل بصوبي لم تطله

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وهدي فاجعلنا ممن يهتدي ويهدى فسار إليه القوم دودا اسم فيه وسألوه أن يزودهم الفتية بعد الفتية فجعل بينهم العود ويزجي الأمة والذود قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها فظل هنيهة يحول ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا
ولابست صرفيه نعمى وبوسا

... الترابَ قال فإن بان أنه لاط قال

حُدَّ كما لو حاط لاطَ الحوضَ إذا طيَّنه قال فإن عزَّ على

الغزل قال لم تُقبل شهادته ولا تُقبل غزل أي قتل

قال فإن صحّ أنه مائن قال هو وصف له زائن

بين الذي يقول ويحكي الوهم من مان يمون قال

ما يجب على عابد الحق قال يحلف بالله الحق العابد هاهنا

الجاحد وليس هاهنا الدين قال فإن جرح قطاة

المرء فماتت قال النفس بالنفس إذا فاتت القطاة ما بين

الورك قال فإن لمس لحامل حشًّا من ضربه

قال يكفّر ولا مأثم عن ذنبه الحشى الجنين الملقى ميتا

قال ما تقول فيمن عفا عن الميل عامدا قال يعفى

عنه قولا وأصلا الميل الرجل الضعيف قال ما

يجب على الحوي في الشرع قال القطع لإقامة الردع

المحوي من القدور قال فإن سرق شيئا من ذهب

قال لا قطع كما لو غصب الثمين الثمين كما قال في النصف

صنف وفي الشدر سلبي قال فإن بان على

المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق السرق الحرير

الأبيض قال أينعقد نكاح لم يشهده العواري

قال لا إن خالف العواري العواري الشهود لأنهم يعرون

... أي يشهدونها قال ما تقول في عروس ماتت

... في حافرتها البحر قال يجب لها



يدنيا الهوى ويشنأ الرؤسا
ويدني إلى البعد البغض
ويبعثني القرب الأبئسا
ولولا خساسة أخلاقه
لما كان حظي منه خسيسا

فقلت له خفض الأحزان، ولا تلم الزمان، واشكر لمن نقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس. فقال دع الفناد، ولا تهتك الأستار، وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب، فعسى أن تمحص المزار، درن الأوزار. فقلت هيهات أن أسير، أو أوافقه السير. فقال تالله لقد أوجبت ذمما، وطلبتنا إذ طلبتنا أمما، فهات لما يشفي النفس، وينفي اللبس. قال فلما أوضح لي المعمى، وكشف عني العمى، شددنا الأكوار، وسرت وسار، ولم أر ألذ من مسامرته، ثم من مسايرته، فما آنساني طعم المشقة، ووددت معه بعد الشقة، حتى إذا دخلنا مدينة الرسول، وفزنا من الزيارة بالسول، أشأم وأعرقت، وغرب وشرقت.

المقامة الثالثة والثلثون

أخبر الحارث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت، أن لا أؤخر الصلاة ما استطعت، فكنت مع جوب الفلوات،

وعاشرت كل جليس بما
يلائمه لأروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام
وبين السقاة أدير الكؤوسا
وطورا بوعظي أسيل الدموع
وطورا باللهو أسر النفوسا
وأقري المسامع إما نطقت
بيانا يقود الحرون الشموسا
وإن شئت أرعف كفي اليراع
فساقط درا يحلي الطروسا
وكم مشكلات فككت التباسها
حما فصرن بكشفي شموسا
وكم ملح لي حلت العقول
وأثارت في كل قلب رسيسا
وعذراء فهت بها فانثنى
عليها الثنا طليقا حبيسا
على أنني من زماني خصصت
بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعر لي كل يوم وغا
أطامن لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي

واهتصرت عودي ويا ويل من ... تهتصر الأحداث أغصانه

وأمحلت ربعي حتى خلت ... من وقعي المحل جيرانه

وغادرتني حائرا بائسا ... أكابد الفقر وأحزانه

من بعد ما كنت أخا ثروة ... يخصب في النعمة أوطانه

يغبط العافون أوراقه ... ويحمد السارون نيرانه

فأصبح اليوم كأن لم يكن ... أغاثه الدهر الذي عاثه

فارع من كان له دائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يجبر ما يرى ... من ضر شيخ دهره خانه

يفرج الغم الذي همه ... ويصلح الشأن الذي شانه

قال الراوي فقصدت الجماعة إلى استشفاف استخبار حاله وتستنقص حقيقته فقال له ورعنا إذ دنا منه رأينا ذو مرتك فعرفنا وجه شيمتك واحسر لنا عن نسبك فأعرض إعراض من مني بالإعنات أو نشب بالبنات وحصل المعنى بالضرورات ونافق عن الروية ثم أنشد بلسان صادع وخرص خادع

لعمرك ما كل فرع يدل ... جناه الشهي على أصله

فكل ما لاح حين يؤتى به ... ولا تسل الشهد عن نحله

وميز إذا ما اعتصرت الكروم ... سلافة عصرك من خله

لتغلي وترخص عن خبرة ... وتشري كلا امرئ بمثله

فعار على الفطن اللوذعي ... دخول الغمر في عقله

قال فأدهش القوم من كياسته ودهائه . و[illegible]

ولو في الخلوات. أراعي أوقات الصلوات، وأحاذر من مأثم
الفوات، وإذا رافقت في رحلة، أو حللت بمحلة، هجرت
بصوت الداعي إليها، واقتديت بمن يحافظ عليها، فاتفق حين
دخلت تفليس، أن صليت مع عصبة مفاليس، فلما قضينا
الصلاة، وأزمعنا الانفلات، برز شيخ بادي اللقوة،
بالي الكسوة والقوة، فقال: عزمت على من خلق من طينة الحرية،
وتفوّق درّ العصبية، إلا ما تكلّف لي لبثة، واستمع مني نفثة،
ثم له الخيار من بعد، وبيده البذل والرد، فعقد له القوم الحبا،
وركدوا أمثال الربى، فلما آنس حسن إنصاتهم، وركود حصاتهم،
قال: يا أولي الأبصار الرامقة، والبصائر الرائقة، أما يغنيكم
عن الخبر العيان، وينبيكم عن النار الدخان، شيب لائح، وضعف
فادح، وداء واضح، والباطن فاضح، ولقد كنت والله
ممن ملك ومال، وولي ووال، ورفد ونال، ووصل وصال،
فلم تزل الجوائح تسحت، والنوائب تنحت، حتى الوكر قفر، والكف
صفر، والشعار ضر، والعيش مر، والصبية يتضاغون من
الطوى، ويتمنون مصاصة النوى، ولم أقم هذا المقام الشائن،
وأكشف لكم الدفائن، إلا بعدما شفني ولقت [illegible]
[illegible]
[illegible]
بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه ... تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات فرعت مروتي ... وقوضت مجدي وبنيانه

ثم قال إنه لم يبق لي في هذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع فإن كنت الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها مجردين وقد لقيته عاماً من الجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتت

الرابعة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد صحبني غلام كنت ربيته إلى أن بلغ أشده وثقفته حتى أكمل رشده وكان ألف أخلاقي وعرف مجالب وفاقي فلم يكن يخطئ مرامي ولا يتخطى في المرامي لا جرم أن قربه أثلج صدري واغتبط لحضره وسفري فأتوى به الدهر المبين حين ضمنا زبيد فلما آنست نجابته وسكنت نائرته بعته بما لا أسترطه ولا أرتجعه حتى أتى على ثوب لوعة وما عيب القومة والقعدة إلى أن غاض عن الثمن الحدد وارتاد من هو سداد من عوز فقصدت سوق العبيد بشوق شديد وقلت أريد عبداً يعجب إذا قلت ويجمل إذا جربت ويكون من خرجه الأكياس وأخرجه إلى السوق الإفلاس فأظهر كل منهم نطق ووثب وبذل لحصيلته عن كثب ثم ولى ما الأعلى دون زهدها وتعلقت كورها وحورها وما تحرى من عودهم وعد ولا تحرى لما وعد فلما رأيت الخاسئين ما بين سفر ومتشائين علمت

حتى جمعوا الوسن خبايا الجفن وخبايا الثبن
لو أنا يا هذا أنك جثت على ركبته وتعرضت لحلبته
حلبته فجدّه الصبابة وهنا لا خطأ ولا إصابة فلم
منزلة الا ووصل قوله بالشكر ثم تولى بحريقه
يصحر بالخطوة قال المخبر بهذه الحكاية
فعلمنا من جهل الحلبته تسنم هضبته فهضني أنه
نافذ الدراية وهو يخطي نبلها وأنه يعني محجر
الملا الأزرق وأمكن التحقيق نظر الناظر من هش وبش
بمقعد ... فقال إني لأخاك أخا عزبة ورأيك صحبة
الحديث بقوتك ورزق وبعوقك وتفوق
فقلت له لو أتاني هنا الرزق لو أتاني التوفيق فقال
فاغتنمها واستكرمت فابسطها ثم أصحب بيننا
فإذا هو شيخنا السروجي لا أقلقه تجنه
ولشبهه في سمته وفرحت لمقدمه وكربته ولوته وهممت
على سوء معاملته فحياه وقال قبل أن الحاه

تظاهرت ... كيما يقال
فصرحي الزمان المرتجا
وأظهرت للناس أن قد فلجت
وكم ... قلبه مات ترحا
ولولا التبالة لم يرتب لي
ولولا التصابح لم أرق فلجا

بأبي مُلَه ما هكذا من يُنصِفُ
إن كان لا يُرضيك إلا كشفُهُ
فأصِخْ له إنّا يوسُفًا أنا يوسُفُ
ولقد كشفتُ لك الغِطاءَ فإن تكن
فطِنًا عرفتَ وما إخالك تعرفُ

قال فأطربني بشعره وأسباني بسحره حتى تِهتُ من التحقيق وأُنسيتُ قصة يوسف الصديق ولم يكن لي همٌّ إلا مساومة مولاه فيه واستطلاع طِلع الثمن لأوفّيه وكنت حسبت أنه سيشطّ شططًا إليّ ويُغلي السيمة على ما أطلق إلى حسن ما علقت ولا أعلوقًا به اعتلقت بل قال إن العبد إذا أثريته وخففت مؤونته تزلّف بمولاه والحظّ عليه هواه وإني لأوثرت هذا الغلام إليك بأن تحفظه عليك فزن مائتي درهم إن شئت ولك علي ما خُنت فنقدت المبلغ في الحال كما ينقد الرخيص المدلال وما خطر لي بالي أن كل مرخص غال قال فلما تحققت الصفقة وحقّت الفرقة هملت عينا الغلام ولا انهمال همع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يُباعُ
لكيما تُشبَعَ الكَرِشُ الجِياعُ
وهل في شِرعة الإنصاف أني
أُكلَّفُ خُطّةً لا تُستطاعُ
ولذا أُبلى بروعٍ بعد روعٍ
ومثلي حين يُبلى لا يُراعُ
أما جرّبتني فخبرتَ مني
نصائحَ لم يُمازِجها خِداعُ

وان ليس كل من حلق يفري وان ليس يحك جلدي مثل ظفري
وفوضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر و
البيض فاني لاستعرض الغلمان واستعرف الاثمان اذ عار
رجل قد اختطم بلثام وقبض على يد غلام وقال

من يشتري مني غلاما صنعا ... في خلقه وخلقه قد برعا

[illegible]

وان تصله عن ثقل نعى ... وان تسمه السعي في النار سعى

وان تصاحبه ولو يوما رعى ... وان تقنعه بطلف قنعا

وهو على الكيس الذي قد جمعا ... ملقاه قط كاذبا ولا ادعى

ولا ابان مطمعا حين دعا ... ولا اشاع سرا او دعا

وطالما ابدع فيما صنعا ... ووافق في النثر وفي النظم معا

والله لولا ضنك عيش صدعا ... وصبية اضواهم الجوع معا

ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تاملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته
من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لانظر
اين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم
ينطق بحلو ولا مر ولا فاه بحرف ولا حرم فصرت
عنه صفحا وقلت قبحا لعيك وشحا فما رأيت في الصمت
ثم نقض لثامه الي وانشد
امن يلهب غبطة ان لم اجد

والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك ما تلقى النفس | من برحاء الوجد والاشفاق

فما تطول مدة الفراق | ولا تنى ركائب تلاقى

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى
فلبث الغلام في نفير وعويل ريثما ينقطع مدى ميل فلما
استفاق وكفكف دمعه المهراق قلت الذي لم اعرفك
وعلام عولك قلنا اظن فراق مولاك هو الذي ابكاك
فقال لست لي بوالد وانا في واد وكم بين مريد ومراد
ثم انشد

لم ابك والله على الفرح | ولا على فوت نعيم وفرح

وانما مدمع اجفاني سفح | على غبي لحظه ضل صح

ونطقه حتى تغنى وافتضح | وصير المفتوحة البيض لوح

وليتما اعجبك ما اتيت الملح | باي حي وسعى لم يبح

اذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فمثلت مقاله في ميزان المداعب ومعرض الملاعب
فصلت بصلة الحق وتبرأ من طينة الرق فجلنا في مخاصمة
اتصلت بملاكمة وافضت الى محاكمة فلما اوضحنا للقاضي
الصورة وتلونا عليه السورة قال الآن من انذر فقد
اعذر ومن حذر فكمن بشر ومن بصر فاقصر وان فيما
شرحتما لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت

وكم أنجدتني شرك الصيد ... فرحت وفي حبائلي السباع

ونطت بي المصاعب فاستقادت ... مطاوعة وكان بها امتناع

وأي كريهة لم أبتسل فيها ... وغمم لم يكن لي فيه باع

وما أبدت لي الأيام خيما ... فيكشف في مصادمتي القناع

ولم تعرف بحمد الله مني ... على غش يكتم أو يذاع

فأنى ساغ عندك بيع مثلي ... كما نبذت لمهنتها الضياع

ولم تسمح فروتك باشتهائي ... وأن أشرى كما أشرى المتاع

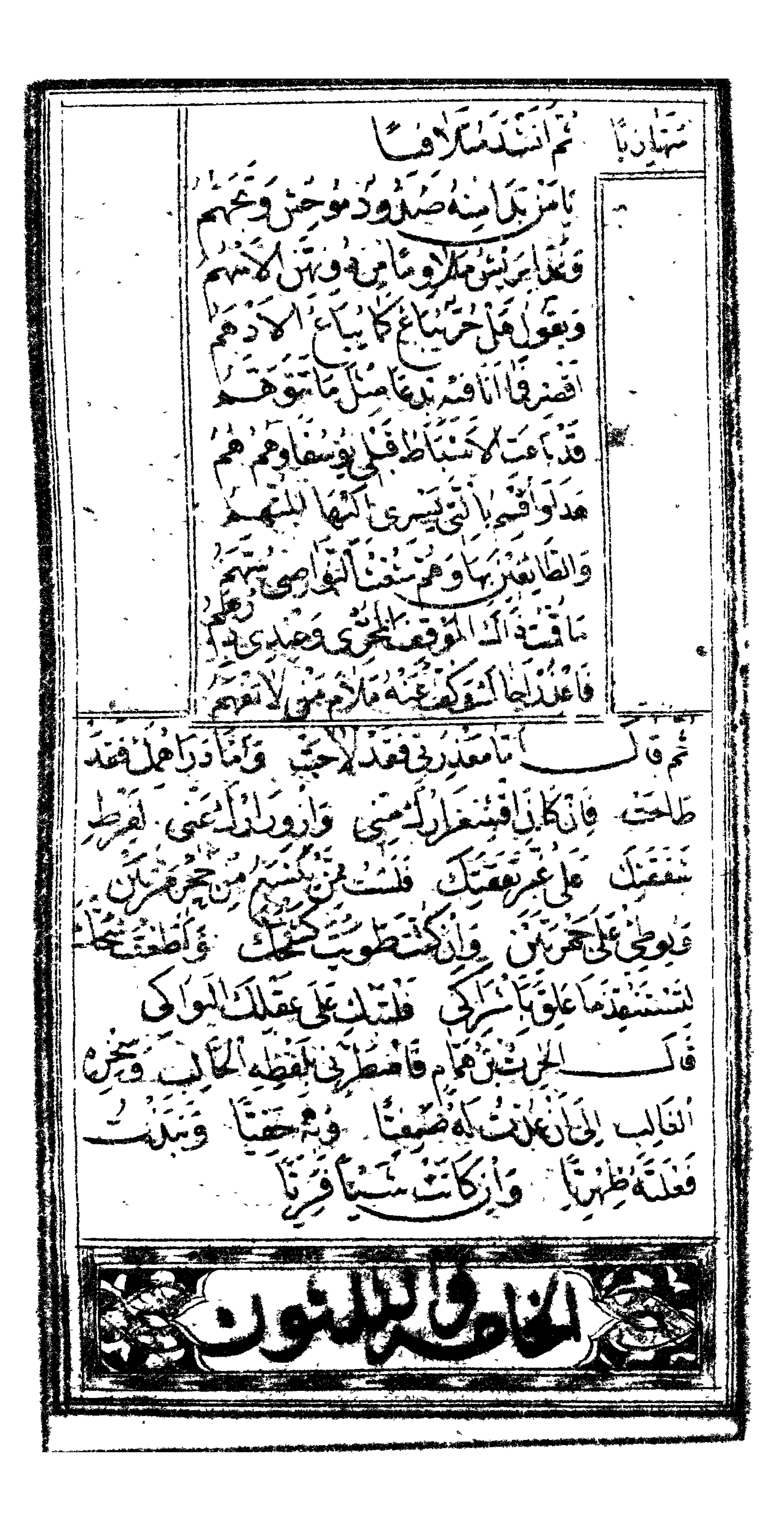
وهلا صنت عرضي عنه صوني ... حديثك يوم جد بنا الوداع

وقلت لمن يساوم فيه عبدا ... سكاب فما تعار ولا تباع

فما أنا دون ذاك الطرف لكن ... طباعك فوقها تلك الطباع

على أني سأنشد عند بيعي ... أضاعوني وأي فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى الشباب ثم قال إني أجزهذا الغلام محل ولدي ولا أميزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلو مراحي وخبو مصباحي لما أبرزته من عطني إلى أن يشترى مني وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين والموموق من ألمه فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه بأن نتعاهد على الإقالة فيه متى استقلت فإن لا تستقلني إذا استقلت ففي الآثار المنقولة المدونة عن الثقات من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته قال الحرث بن همام فوعدته وعدا أبرم الحياء وفي القلب شيء فأنشد في حينئذ الغلام المه وقبل ما بين عينيه وأنشد



ثم أنشد ملاطفاً متهللاً

يا من بدا منه صدود موحش وتجهم
وتغابن يشعر لأوما مني وتن لا يهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الأدهم
اقصر فإنا قد بلينا مثل ما تتوهم
قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم
هذا وأقسم بالتي يسري لها المتهم
والطائفين بها وهم شعث النواصي سهم
ما قصد ذاك الموقف المخزي وصدي زعم
فاعذر أخا الشكوى فعنه ملائم من لا تفهم

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت فإن كان اقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غربتك فلست ممن يشيم من حجر برقا ويوطئ على جمرتين وإن كنت طويت كشحك وأطعت شحك لتستعيد ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي

قال الحارث بن همام فأمطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وإن كانت شيئا فريا

المقامة الخامسة والثلاثون

وضح لك فما وعيت فاسترد ابلهك واكتمه ولم تفسك
ولا تلمه وحذار من اغلاقه والطمع في استرقاقه فانه
حر لا دم غير معرض للتقويم فقد كان ابو زيد احضره اسر
قبل افول الشمس واعترف بانه فرعه الذي انساه وأن لا
وارث له سواه فقلت للقاضي او تعرف اباه اخزاه الله
فقال وهل يجهل ابو زيد الذي جرحه جبار وعند كل قاص
له اخبار واخبار فاحترقت حينئذ وحوقلت واقف
ولكن حين فات الوقت وايقنت ان لشامه كان شرك مكيدته
وبيت قصيدته فكسرني ما لقيت وآليت ان لا اعاس
متلثما ما بقيت ولم ازل اتاوه لغبن صفقتي والافتضاح
بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي
وحار تماضي يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا احرم
اليك من وعظك فاتعظ بما نابك وكاتم اصحابك ما اصابك
وتذكر ابدا ما دهمك لتبقى الذكرى دراهمك وتحلو بخلق
من ابتلى فصبر وتجلت له العبر فاعتبر فودعته لابسا
ثوبا الخجل والحزن ساحبا ذيل الغبن والغبن ونويت
مكاشفة ابي زيد بالهجر ومصارمته مدا الدهر فجعلت اتنكب
عن ذراه واتجنب ان اراه الى ان غشيني في طريق ضيق
فحياني تحية شيق فما زدت على ان عبست وما نبست
فقال ما بالك اشمخت بانفك على الفك فقلت انسيت انك
ختلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضطلى

فكمنت كما يكمن الداء الدخيل وسترت مكاني [illegible]
حتى اقلع عن اغوائه وفرغ من [illegible]
زفني بعض صحابه وانشد بلسان [illegible]

أستغفر الله واعوانه | من [illegible] نفسه [illegible]
يا قوم كم من عاتق عانس | ممدوحة الاوصاف [illegible]
قتلتها لا لهوى وارث | [illegible]
وكما استدنت في قتلها | [illegible]
ولم تزل نفسي في غيها | [illegible]
حتى تهادى الشيب لما بدا | [illegible]
ولم ترني [illegible] | [illegible]
وهانا الآن على ما ترى | [illegible]
ارب كرا طال تعنيسها | [illegible]
فهي على النفس [illegible] | [illegible]
[illegible]
والله لا [illegible] | ولا [illegible]
فهل مبين [illegible] على [illegible] | مصحوبة بالنية [illegible]
فتغسل الهم [illegible] | [illegible]
ونفي عني [illegible] | [illegible]

قال فلم [illegible] في الجماعة الا من [illegible] و[illegible]
اليه عرفه فلما [illegible] وكملنا [illegible]
بصلح وبشر [illegible] فبعثه لا [illegible]

حكى الحارث بن همام قال مررت في تطوافي بسيراز على نادٍ
يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعدّيه ولا
خطت قدمي في تخطّيه فعجت إليه لأسبر جوهرهم و
أنظر كيف ثمّ من بينهم فإذا أهله أفراد والمباح إليهم
مُفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد وأطيب
من طلب العناقيد إذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين
فحيّا بلسان طلق وأبان أنه منطيق ثم احتبى حبوة
المتدين وقال اللهم اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمره
وساءوا الظن بمصغّره وأخذوا يتعاطون فصل الخطاب
ويعدّون عوده من الأحطاب وهو لا ينبس بكلمة ولا يبرز
عن شيمة إلى أن نشروا لججهم وحاش سائمهم وزاحمهم مخارج
استخرج دفائنهم وينتشل كامنهم ثم قال يا قوم لو علمتم أن
وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا أطلاق وقلتم
ما له من خلاق ثم نثر من بدائع الأدب والنكت النخب
ما طبّق به بدائع العجب واستوجب أن يكتب بذوب الذهب
فلما اجتذب كل لب وقلبت إليه كل قلب تحلل الرحل وتأهب
ليذهب فتعلقت الجماعة بذيله وتاقت مسترسل سيله وقالت
له قد أريتنا وسمك وقد حلّ تخبرنا عن فصلك ونحلك فصمت
صموت من أفحم ثم أعول حتى رحم قال الراوي فلما
[illegible]
استحق في هوم محياه وشهود رياه فإذا هو أبو زيد

وحيا الظعن منها أو كاد · رأيت تسعة رهط قد سموا فهما
وارتبعوا ربعا · ودماثتهم قيد اللحاظ · وفكاهتهم حلوة
الألفاظ · فهويتهم طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم · وشغفا
بممازجتهم لا لأرباحهم · فلما انتظمت عاشرهم · وأصحب مما
ألفيتهم أبناء علات · وقذائف فلوات · إلا أن لحمة الأدب
قد ألفت شملهم ألفة النسب · وساوت بينهم في الرتب · حتى
لاحوا مثل كواكب الجوزاء · وكالجملة المتناسبة الأجزاء
فأنجحني الاهتداء إليهم · وأحمدت الطالع الذي أطلعني عليهم
فطفقت أقيض بقدحي مع قداحهم · وأستسقي براحي لا براحهم
حتى أننا نجوز المعاوضة · إلى التحاجي بالمقايضة · كقولك
إذا عنت به الكرامات · ما مثل اليوم فات · فأنشأنا نجلو
الشهي والغث · ونجني الشوك والثمر · وننبا عن تيسر
القضب والرث · ونستهل السمين والغث · طلع علينا
قد ذهب صبن وسن · فنال مشوها عن تسمع ونظر وتلقط
ما نبس إلى أن نقضي الأكياس · وحصحص اليأس · فلما
رأينا أخيال القرائح · وأكدى الماتح والمايح · جمع أذياله
وولى قذاله · وقال ما كل سوداء تمرة · ولا كل صهباء خمرة
فأعلقنا به إعلاق الحرباء بالأعواد · وصرنا دون وجهته
بالأسداد · وقلنا له أقد ولى السوق أن يخاص · وإلا فالقصاص
القصاص · فلا تطمع في أن تخرج · وتسهل الهوى وتسرح
فلوى عنانه راجعا · ثم جثم بمكانه رابضا · وقال أما إذ

[illegible] و [illegible] أشنابه في جذبات أمره فكان وشك قيامي منذ

[illegible] وقال [illegible] نغمة عني

فقل لمن لام على مزج المدام
لست في [illegible] بهم وحسام
وإني تعشقي لبكر بنت الكرم
لا لبكر من بنات الكرام
نعشقها إلى الكاس والطاس
ينامها الذي بنى ومقامي
[illegible] ما قلته وحكم في
[illegible] رسيت أو في الملام

[illegible] وأنت رعديد [illegible] وبيننا بون بعيد

[illegible] بالطلق ووددت نظرة من ذي علق

المقامة السادسة والثلثون

[illegible] الحارث بن همام قال [illegible] ملطية مطية البين

[illegible] من العين [illegible] قد ألقت بها

[illegible] المرح وأتصيد سوانح الملح

[illegible] لا أسمع ولا أجد [illegible] ولا [illegible]

[illegible] فيها مأرب ولا في ثوائها مرغب تمهدت

[illegible] في اتباع الأهب فلما أكملت الإعداد

يا أيها ذا الألمعي أخا الذكي المنجلي

ما مثل أهل حلية بين هذيل وعجل

ثم التفت للسادس وقال

يا من تقاصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكا جلت

بن لي فمازلت ذا بيان ما مثل قولي استقوا قلت

ثم استنصت الثامن وأنشد

يا من حدائق فضله مطلولة الأزهار غضه

ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجا ما أحار فضه

ثم حدج التاسع ببصره وقال

يا من يشار إليه الذكي وفي البراعة باعه

أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي سر جماعة

قال الراوي فلما انتهى إلى هز منكبيه وقال

يا من له النكت التي تنحي الخصوم بها وتبكت

أنت المبين فقل لنا ما مثل قولي خالي انكت

ثم قال قد أنهلتكم وأمهلتكم وإن شئتم أن أعلكم علّلتكم فلما ألهت العلل إلى استغلاق العلل فقال لست كمن يستأثر على نديمه ولا ممن يحمه في أدمه

ثم كرّ على الأول وقال

استرعموني بالبحث فأحكم حكم سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحاجي لامتحان الألمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون وتلوى الظنون ثم قال يا طورة القوم وقال

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي جوع أمد سهاد

ثم صبا إلى الثاني وأنشد

يا ذا الذي فاق فضلاً ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ظهر أصابته عين

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول

يا من نتائج فكره مثل النقود الجائزة
ما مثل قولك الذي حاجيت صاد وجائزة

ثم التفت إلى الرابع وأنشأ يقول

أيا مستنبط الغامض من لغز وإضمار
ألا اكشف لي ما مثل تناول ألفي دينار

ثم رنا للخامس ببصره وقال

يا من تسوّد ذوقًا في الفضل فائقَ كلّ ذوق
ما مثل قولك أعط الزيقا بوح بغير عروق

ثم ابتسم إلى التاسع وقال

يا من حوى قصب الدراية والسباق بغير ريد
ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء التوى منكي

ثم قبض جمعه على يدي وقال

يا من سما بشفوف فطنته في المشكلات وإدراكه
ما ذا يماثل صحفه [illegible]

قال الحارث بن همام فلما أطرقنا إطراق من عمّاه وتعذر علينا كشف معماه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بهذه العقدة يدان فإن أبنت منّة وإن كتمت عمت فطفق يساور نفسه ويقلب فيه حسه حتى هان بذل المعونة علينا فأقبل حينئذ على الجماعة وقال إنها لكم يا قوم كلمات تعلمون ولا أظنكم أنكم تعلمون فأوكوا عليه الأوعية وعيرتم بالأنية ثم أصدى في نفسه صقالة الأذهان ونشر منه الأردان حتى أصبحت الأوهام أنور من الشمس وكأن لم تغن بالأمس. ولما هم بالمسير سئل عن المقر فتنفس تنفس الثكول ثم أنشأ يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب
غير أني بسروج مستهام القلب صب
هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب

يا من اذا اشكل المعنى — حلته افكاره الدقيقه

ان كنت يوما لك المحاجي — خذ بلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني وقال

يا من بدا بيانه — عن فضله مبينا

ماذا مثال قولهم — جما وخبز زينا

ثم اوحى الى الثالث بلحظه وقال

يا من غدا في فضله — وذكائه كالاصمعي

ما مثل قولك للذي — ما جاك انفق نفعي

ثم حملق الى الرابع وانشد

يا من اذا ما غوص — دجا الناظر ظلامه

ماذا مثال قولي لي — استنشر ريح مدامه

ثم اومض الى الخامس وقال

يا من سما فهمه — عن ان يروى او يشككا

ما مثل قولك للذي — اضحى يحاجي عط هلكا

ثم اقبل على السادس وانشد

يا اخا الفطنة التي — بان فيها كماله

سائرا بالسؤال مدة — اي شيء مثاله

ثم نحا بصره الى السابع وقال

يا من تحلى بفهم — اقام في الناس سوقه

لك انتباه فطين — ما مثل احسن فروقه

ثم قصد قصد الثامن وانشد

الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في جوف الفرا وأما
قوله أنفق تمع فمثله مستقيم لأن الأمر من مان يمون من
ومصارع وقت تقم وأما استنشق ريح مدامة فمثله
زجاج لأن الأمر من استنشاء الرائحة زخ وأما عظ هلكى
فمثله صنبور لأن البور هم الهلكى وفي القرآن وكنتم
قوما بورا وأما سار بالليل مئة فمثله سراحين وأما
نجيب عرقه فمثله مقلاع لأن الأمر من وقى ق و
اللاع الجبان يقال فلان هاع لاع إذا كان جبانا جزوعا
وأما اعط ابن بقا بلوح تعز عزوه فمثله اسكوت لأن الأو
العطا والأمر منه أس والكوت الأمر من تعزعزوه وأما
النور ملكي فمثله اللآلى لأن اللآلى على وزن أفنا وهو نور الحو
وأما صغر محفله فمثله مكاشفه لأن المكا الصفر قال
الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية والأصل
في المكا المد ولكنه قصر في هذه الأحجية كما حذف همز القراء
في أحجيه وكلا الأمرين قصر الممدود وحذف همز المهموز جائز

السابعة والثلاثون

حكى الحرث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو
مشاط يحكي الصعدة واستعداد يسند زنات صعدة فلما
رأت نضرتها ورعيت خضرتها سألت مخابر الرواة عمن

ذي نوبة ما لها عند أولي النهى صرف

ما حلا لي بعدها طوق ولا أعدو ذا بعد هند

قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي

أذو له الأحاجي واغتنمت أصغ لهم نوبته وأنبأ

الكلام لسمته ثم التفت فإذا هو قد طفر فاتبعناه فقد

[illegible] وقد أين شكر وصنعه

تفسير الأحاجي المودعة في هذه المقامة

الوحي أما السادّ فمثله طولس وأما ظهر إضافة عشر

فمثله ظاعن وأما صادق حانق فمثله الفاصلة

وأما أول الدبار فمثله هادية وأما أهل حلته

فمثله العاشية وأما الكف الكف فمثله مهمه وأما

[illegible] فمثله الأخطار وأما ما يختار رفضه فمثله

بارقة لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى

الله عليه وسلم فقال في الرقة ربع العشر وأما [illegible]

جملته فمثله كافية وأما خالي الكمت فمثله خالصة

لأنها إذا أدنيت إلى الهمس صار ذلك حذفا لما وأما

ساكنة ومحركة وقد صادفها حرفا النداء كما حذف في

[illegible] لاحجة وصه بمعنى اسكت وأما قوله [illegible] ذلك

[illegible] وأما حمار وحش وثيا فمثله فرا لأن

فقال له القاضي وبم أغنتك وأمنت طاعتك فقال إنه
مذ صفر من المال ومني بالإمحال يستميح ان الالطاف بالسؤال
واستمطر سحب النوال ليفيض بشره الذي غاض ويجبر
من حاله ما انهاض وقد كان حين اغتذى بالدرس وربي
أدب النفس أشرب قلبه أن الحرص منقصة والطمع معيبة
والشره مشحبة والمسئلة ملامة ثم انشدني ملء
فيه وعب قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه
شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل
يحط قدر المتراقي إليه
وحام عن عرضك واستبقه
كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة
صبر أولي العزم وأغمض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو
خولك المسؤول ما في يديه
فالحر من إن قذيت عينه
أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه
لم ير أن يخلق ديباجتيه

قوم من السراة ومعادن الخيرات لا يخلو جذوة في الظلمات
ويجذم في الظلامات فنعت لي قاضيها رحب الباع خصيب
الرباع تميمي النسب والطباع فلم ازل اتقرب اليه بالالمام
واستعين عليه بالاحكام حتى صرت صدا صوته وسلمان بيته
وكنت مع استمرار شهرته واستشفاف ريقه اشهد مشاجر
الخصوم واستفرق المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضي
جالس للاحكام في يوم الحفل والاحتفال اذ دخل شيخ
بالي الرياش بادي الارتعاش فقصر الخطو بصر بعاد
ثم زعم ان له خصما غير منقاد فلم يكن الا كحسو سائق او
وحي اشارة حتى حضر غلام كانه ضرغام فقال الشيخ ايد
الله القاضي وعصمه من التعاصي ان ابني هذا كالقلم ذي
الشق والسيف الصدي يحمل اوصاف الانصاف ويرضع
اخلاف الخلاف ان اقدمت احجم واذا اعربت اعجم وان
اذكيت اخمد وان شبوت رمد مع اني كفلته مذ دب الى
ان شب وكنت له الطف من ابي ودرب فانكر القاضي ما شكاه
اليه واطرفه من حواليه قال اشهد ان العقوق
[illegible]
هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملكهم
الفصل والفضل انه ما نافق الا امت ولا ادعى الا
امت ولا ابتنى الا واخرمت ولا اورى الا واصرمت
بيد انه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق

قال فلما رأى القاضي ما في قول الفتى وفعله ونحله مما
ليس من أهله نظر إليه بعين غضبى وقلب مما أمره و
قبّح الخزي أفلا تستحي مما تقول وتلوّن كما تلوّن
القول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا للحق وقفلا
بين الخلق لقد أنسيت مذ نشأت وصدئ ذهني مذ صدد
على أنه ابن أبيات الفتح والعطاء السمح وعلى فرعه
بأيهما وإذا استطعم يقول لها فقال له القاضي مه فمع
الخواطي سهم صائب وما كل برق خالب فمن البروق إذا
شيمت ولا تستهد إلا ما علمت فلما تبين للشيخ أن القاضي قد
غضب الكرام وأعظم تخيل جميع الأنام علم أنه ستقمر
كلمته ويظهر إكرومه فأدرك نصب شبكته وسوى
في الحرب تمكنته وأنشأ يقول

يا أيها القاضي الذي علمه ... وحلمه أرجح من رضوى
قد ادعى هذا على جهله ... أن ليس في الدنيا له جدوى
وقد دهاك أنه معشر ... عطاؤهم كالمن والسلوى
[illegible] ... [illegible]
وإنني جد لأني بما ... أوليت من جدوى ومن عدوى

فانتعش القاضي لقوله وأجزل له من طوله ثم لفت وجهه
إلى الغلام وقد تنصل له أسهم الملام وقال له أرأيت بطلان زعمك
وخطأ وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تمح عودا قبل عجم
وإياك وإباءك عن مطاوعة أبيك فإنك إن عدت تعقه

قال فعبس الشيخ وكلهمّ واربدّ على ابنه وهرّ وقال له صه
يا عقق يا من هو الشجى والشرق ولمّا تعلم أمثل الصنائع و
طرق الارضاع لقد تحككت العقرب بالافعى واستنّت الفصال
حتى القرعى ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه ووجد الملق على
تلافيه فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف
وقال ويلك يا بني انّ من امر بالقناعة وزجر عن الضراعة هم
ارباب البضاعة واولوا المكسبة بالصناعة فاما ذوو الضرّ
فقد استثني بهم في المحظورات وهلّا جهلت هذا التأويل
ولم يبلغك ما قيل ألست الذي عارض اباه اذ قال وما طال

لا تقعدنّ على ضرّ ومسغبة
لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل ارض معطّلة
من النبات كأرض حفّها الشجر
فعدّ عما يشير الاغبياء به
فأيّ فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به
الى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الريّ من درّ السحاب فان
بلّت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما في الردّ منقصة
عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

منه زكاة كتبي على ما أعلم ألوكا السروجي في غربان السحب
ووضع الهناء مواضع النقب الآن كان أسير من المثل
وأسرع من العود في المنال وكنت أهوى ملاقاته وأستجاد
مقاماته أرغب في الاغتراب وأستعذب السفر الذي هو
قطعة من العذاب فلما أطوحت إلى مرو ولا أعرف بها ملقى
وجوا النظر والمال الذي هو سيد الخطر فلم أزل أنشده في
المحافل وعند تلقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له
أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس الطمع وأتروى التأمل والتقمع
فأي لذات يوم مخصوص فإلى مرو وكان ممن جمع الفضل والشرف
اطلع أبو زيد في حلق ملاق وطوق مثلاق تحتما الوالي
تحت الخليج إذا لقي دبت لتلج ثم قال له اعلم وقيت الذم
وكفيت الهم أن من عقدت به الآمال أعلقت به الآمال و
من رفعت له الدرجات رفعت إليه الحاجات وأن السعيد
من إذا اقتدر وواتاه القدر أدى زكاة النعم كما يؤدي زكاة
النعم والتزم لأهل الحرم كما يلتزم للأهل والحرم وقد
أضحى بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك تحج الركاب إلى
حرمك وترجى الرغائب من كرمك وتنزل الطلاب بساحتك
وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما
وإحسانه لديك عميما ثم إني شيخ ترب بعد الإتراب وعدم
الاغتباط عند شباب فقصدتك من محلة نازحة وحالة
رازحة آمل من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة والتأمل

حاق بك مني ما نسخته فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو
والده ثم نهض يحفد وتبعه الشيخ يشتد
مُرضاً من أوضار دهره فليقضِ القاضي في صنعه
تمامه أزرى بمن قبله وعدله أتعب من بعده
قال الراوي فحِرتُ بين تعريف الشيخ ونكره إلى أن
أسرّ وأسير فناجيت النفس باتباعه ولو إلى رباعه لعلي
أظهر على أسراره وأعرف نجر نجاره فنبذت القلق وانطلقت
حين انطلق ولم أزل أخطو وأعتنق وأسعد وأقترب إلى أن
تولّى الشيطان ووجب التعارف على الخلصان فأبدى حينئذ
الاستيناس ورفع الارتعاش وقال من كان ذا جاه فلا عاش
فعرفت عند ذلك أنه السروجي بلا محالة ولا حؤول حالة
وبادرت إليه لأصافحه وأستعرف سانحه وبارحه فقال
دونك ابن أخيك البرّ وتركي فرّ فلم يعد الصبي أن فرّ
وكأن قد فرّ فعدت وقد استثبت عنهما ولكن أين هما

المقامة الثامنة والثلثون

حكى الحرث بن همام قال حُبّب إليّ مذ سعت قدمي ونفث
قلمي أن أتخذ الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت
أنقّب عن أخياره وخزنة أسراره فإذا ألفيت منهم بغية
الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنز

إذا انتسبت إلى ما جاوز القوتا

لكنه لابناء المجد حبذ ومن

حب السماح ثنى نحو العلى لفتا

وما تحقق تنشر الشكر ذو كرم

إلا ووارى بنشر الحمد مفتونا

والحمد والبخل لم يقضِ اجتماعهما

حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا

والسمح في الناس محبوب خلائقه

والجامد الكف ما ينفك ممقوتا

وللشحيح على أمواله علل

يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا

فجد بما جمعت كفاك من نشب

حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا

[illegible]

من لم يكن تربك العود منحوتا

فالدهر أنكد من أن تستقيم به

حال لكرهت تلك الحال أو شيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأي ولد الرجل [illegible]

فنظر إليه عن عرض وأنشد وهو معرض

لا تسأل المرء من أبوه ورز خلاله ثم صله أو فاصرم

فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

فضّل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لي ما يجب عليك
وأحسن كما أحسن الله إليك وإياك أن تلوي عذارك عمّن
أمّ دارك وأمّ دارك أو تنفض راحتك عمّن انتاطك وأمّاد
سماحك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل
اللبيب من إذا وجد جاد وإن بدا لعائق عاد والكريم من إذا
استوهبها الذهب أهبّا أن يهب ثم أنشد برفق كل غرسه
ويرصد سطيبة نفسه وأحبّ الوالي أن يعلم هل نطفه بيد
أم لقريحته مدد فاطرق يروّي في استعطاف أربه واستفا
قرنه والتبس على أي بد سر صمته وسبب رحاصله
فنوّع غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرنّ أبيت اللعن ذا أدب
لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته
كان ذا أنس أم كان سكّيتا
وانهض بشرفك من وافاك مختبطا
وانعش بعونك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له
ذكرا تناقله الركبان وصيتا
وما على المشتري حمدا بموهبة
غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروءة ضاق العذر عن فطن

فقلت ساودي واستصحبت زادي ومزاودي ثم ركبت فيه
ركوب حاذر نادر عاذر لنفسه وعاذر فلما اشرعنا في القلعة
ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطي المرسى حين دجا الليل
وأغسى هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى في
البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب أليم فقلنا له اقبس نارك أيها الدليل و
أرشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال أتستصحبون ابن سبيل
زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فأجمعنا
على الجنوح إليه وأن لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على
الفلك قال أعوذ بمالك الملك من مسالك المهلك ثم قال
إنا روينا في الأخبار المنقولة عن الأحبار أن الله تعالى ما
أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا وإن معي
لعوذة عن الأنبياء مأثورة وعندي لكم نصيحة برهانها
صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من خلقي الحرمان فتدبروا
القول وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة الباز
وقال أما تدرون ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في
البحر والجنة من الغم إذا جاش موج اليم وبها استعصم
نوح يوم الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدع
به القرآن ثم قرأ بعد ما سطر الاها وزخرف طلاها
وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس
المغرمين أو عباد الله المكرمين وقال أما أنا فقد قمت

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحلّه مقعد الحارث ثم فرض له من سَيب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض بملء ردنه ملآن وقلبٍ جذلان وتبعته حاذياً حذوه وقافياً خطوه حتى إذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنيئاً لك بما أوتيت ومُلّيت ما أوليت فاسفرّ وجهه وتلالا وقال بشكر الله تعالى ثم خطر اختيالا وأنشد ارتجالا

مَن يكن نال بالحماقة حظّا
أو سما قدرُه لطيب الأصول
فبفضلي انتفعتُ لا بفضولي
وبقولي ارتفعتُ لا بقبولي

ثم قال تبّاً لمن جدب الأدب وطوبى لمن جدّ فيه ودأب ثم ودّعني وذهب وأودعني اللهب

التاسعة والثلاثون

حدّث الحارث بن همام قال لهجتُ مذ اخضرّ إزاري وبقل عذاري بأن أجوب البراري على ظهور المهاري أغذّ طوراً وأنصّ تارةً عَوراً حتى قلبت العالم والجاهل ولجوت المنازل والمناهل وأدميت المناسك والمناسم وأنضيت الذعلبة والرواسم فلما مللت الإصحار وقد سنح لي أرب بصحار ملت إلى أخبار التجار واختيار الفلك السيّار

لم يعنوا اللقاء ولا فاهوا ببيضا ولا سودا فلما رأينا نارهم
نار الحباحب وخيرهم كسراب السباسب قلنا ساء هذا الوجه
وقبح الكهل ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته
غيرة وقال يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فإنا
لفي حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد
نفس خناقك وابث وانفث إن قدرت على النفث فإنك ستجدني
عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم أن رب هذا القصر
هو قطب هذه البقعة وسيد أهل الرقعة إلا أنه لم يخل من
كمد الخلو من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير من
المغارس النفائس إلى أن بشر بحمل عقيلته وآذنت رقلته
بنسله فنذرت له النذور وأحصيت الأيام والشهور
فلما آن النتاج وصنع الطوق والتاج عسر مخاض الوضع
حتى خيف على الأصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا
يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الاستعبار
وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر
بالفرج وبشر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق
فبادرت الغلمة إلى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم
فلم يك إلا كلا ولا حتى برز من هلم بنا إليه فلما دخلنا عليه
ومثلنا بين يديه قال لأبي زيد ليهنك ما لك إن صدق
مقالك ولم يفل فالك فاستحضر قلما مبريا ومدادا حبريا
وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما إن رجع القمر

بكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم
محجة الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال
الحرث بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطلاوة وعجبنا له اصوا بنا
بالتلاوة وآنس قلبي من جرسه معرفة عين شمسه فقلت
له بالذي سخر البحر اللجي ألست السروجي فقال بلى
وهل يخفى ابن جلا فحمدت خبيئة السفر وسفرت عن نفسي
اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش
صفو والزمان لهو وانا اجد للقائه وجد المثري بعقيانه
وافرح بمناجاته فرح الغريق بنجاته الى ان
عصفت الجنوب وعسفت الخطوب ونسي السفر ما كان
وجاءهم الموج من كل مكان فلجأنا لهذا الحادث الثائر الى
احدى الجزائر لنريح ونستريح ريثما تؤاتي الريح ونادى
بنا من السير حتى نفد الزاد الميسر فقال لي ابو زيد
انه لا يجتنى العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود
بالصعود فقلت له اني لك لاتبع من ظلك واطوع من نعلك
فنهدنا الى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض في انتواء
بالميرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا فاقبلنا
نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها حتى افضينا الى قصر مشيد
له باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فاستمحناهم
سلما الى الارتقا ووسيلة الى الاستقا فالفينا كلا منهم
في شغل كبير وكرب كثير فقلنا ما هذه الغمة لم هذي

إلى عُمان فاكتفى أبو زيد بالنِّحلة وتأهّب للرِّحلة فلم يسمح
أو إلى حركته بعد نُجح بركته ولا عرّض بعودة إلى حرفته
فلم ينطوِ في خزانته فلما أزمع الرحيل عمّ
فلما رأيته قد مال إلى تخيّر كسب المال تحتّم عليّ أن
وهجت له مفارقة المألف والأليف فقلت له إنك لتخطئ
واسمع مني

لا تصبونّ إلى وطن ... فيه تُضام وتُمتهن
وارحل عن الدار التي ... تُعلي الوِهاد على القُنن
واهرب إلى كِنّ يقي ... ولو أنه حِضنا حَضَن
وارأب بنفسك أن تقيم ... بحيث تغشاك الدِّرن
وجُب البلاد فأيّها ... أرضاك فاختره وطن
ودع التذكّر للمعاهد ... والحنين إلى السكن
واعلم بأن الحرّ في ... أوطانه يلقى الغبن
كالدرّ في الأصداف يُستزرى ويُبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما سمعت وحبذا إن اتّبعت فأوجبت
معاذيره وقلت له كن عذيري فعدا يعدّ العُدّة ويزوّد
ثم يُدر ثم انثنى يُشيّع الأقارب إلى أن ركب الغارب
فودّعته وأنا أشكو الفراق وأذمّه وأودّ لو كان يمكث الحين وأضمّه

المقامة الاربعون

حتى احضرنا النقس فمجد ابو زيد وعوذ وسبح واستغفر
ثم اخذ القلم واستخفر وكتب على الرقعة بالمزعفر

أيهذا الجنين اني نصيح لك ... والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكن كنين ... وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من ... الف مناح ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحولت ... الى منزل الاذى والهون
وترائيت للشقاء الذي تلقى ... فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ... ان تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ... ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن ... كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة ونفل عليه بأية تفلة
وشد الرقعة في خرقة من حرير بعدما ضمخها بعبير و
امر بتعليقها على فخذ الماخض وان لا تعلق بها يد حائض
فلم يك الا كذواق شارب او فواق حالب حتى اندلق
شخص الولد لخشية الرقية بقدرة الواحد الصمد
فامتلأ القصر حبورا واستطار عميد وعميل سرورا
واحاطت الجماعة بابي زيد تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك
بمساس طمريه حتى خيل الي انه اويس او الاسدي دبيس
ثم انثالت عليه من جوائز المجازاة وفواضل الصلات
ما قصر له الغنى وبيض وجه المنى ثم حل بثنايا بيد الدار
مذ نجح التشكل الى ان اعطي الحز الاسبال وتسنى الاتمام

الباج لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوّق الحمامه
وجنّح النعامه أكذب من أبي ثمامه حين مخرق باليمامه فوثب
أبو زيد وفرّ واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار
أتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد
علمت أني حين بنيت عليك ورنوت إليك ألفيتك أقبح
من قرده وأيبس من قدّه وأخشن من ليفه وأنتن من
جيفه وأثقل من هيضه وأقذر من حيضه وأبرد
من قرّه وأحمق من رجله وأوسع من
دجله فسترت عوارك ولم أبد عارك على أنه لو حباك
شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران
بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف
بفخرها والخنساء بشعرها لأنفت أن تكوني
قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة
وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا
ألأم من مادر وأشأم من قاشر وأجبن من صافر وأطيش
من طامر أترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك
وأنت تعلم أنك أحقر من قلامه وأعيب من بغلة أبي دلامه
وأفضح من حبقة في حلقه وأحير من بقة في حقه وهبك
الحسن في لفظه ووعظه والشعبي في علمه وحفظه
والخليل في عروضه ونحوه وجرير في غزله وهجوه

حكى الحرث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز
حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا
انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة لقيت بها ابا زيد السروجي
ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسالته عن خطبه والى
اين يمم مع سربه فاومأ الى امرأة منهن باهرة السفور
ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة
وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني
بحقي وتكلفني فوق طوقي فانا منها نضو وجى وحليف
شجى ونحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد
الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق
قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب
فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان كنت لا اغني فلما
حضرنا القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك وينفر
من السؤال جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله
القاضي واحسن اليه ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة
الشراد مع اني اطوع لها من بنانها واحنى عليها من جنانها
فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب
الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار
وياخذ الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك اتبذر في
السباخ وتستفـ[illegible] حيث لا [illegible] لا نعم
عوفك ولا امرع فوك فقال ابو زيد انها وحرمة

أنا السروجي وهذي عرسي
وليس كفء البدر غير الشمس
وما تنافى أنسها وأنسي
ولا تناءى ديرها عن قسي
ولا غدت سقيا أرض غرسي
لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي
لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كأنا لخفوت النفس
أشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي
وشفنا الضر الأليم المس
قمنا لسعد جد أو للنحس
هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلحي الحر حين يرسي
إلى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي
فانظر إلى يومي وسل عن أمسي
وامر بجبري إن تشا أو حبسي
ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليبن أنسك ولتطب نفسك فقد

وقسّاً في فصاحته وخطابته، وعبد الحميد في بلاغته وكتابته
وأبا عمرو في قراءته وإغرابه، وابن قريب في روايته عن أعرابه
أتظنني أرضاك إماماً لمحرابي، وحساماً لقرابي، لا والله
ولا بواباً لبابي، ولا عصاً لجرابي. فقال لهما القاضي
أراكما شنّاً وطبقة، وحدأة وبندقة، فاترك أيها الرجل
اللدد، واسلك في سيرك الجدد، وأما أنت فكفّي عن شتمه
وقرّي إذا أتى البيت من بابه. فقالت المرأة والله ما أسحر
عنه لساني إلا إذا كساني، ولا أرفع له شراعي دون
إشباعي. فحلف أبو زيد بالمحرّجات الثلاث، إنه لا يملك
سوى طمره الرثاث. فنظر القاضي في قصصهما نظر الألمعي
وأفكر فكرة اللوذعي، ثم أقبل عليهما بوجه قد قطّبه
ومجن قد قلبه، وقال: ألم يكفكما التسافه في مجلس
الحكام، والإقدام على هذا الجرم، حتى ترقيتما من خسّ
المقاذعة، إلى خبث المخادعة. وايم الله لقد أخطأت
استكما الحفرة، ولم يصب سهمكما الغرض. فإن أمير
المؤمنين أعز الله ببقائه الدين، نصبني لأقضي بين
الخصماء، لا لأقضي دين الغرماء. وحق نعمته التي
أحلتني هذا المحل، وملكتني العقد والحل، لئن لم توضحا
جلية خطبكما، وخبيئة خبكما، لأنددن بكما في الأمصار
ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار. فأطرق أبو زيد إطراق
الشجاع، ثم قال له: سماع سماع

وفصل ما بينهما . هذا يوم الانفصال . هذا يوم الاعتزال
هذا يوم المحزونين . هذا يوم الحكم بالفرق . هذا يوم عصيب
هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب . ثم ارعوى عن هذين
المهذارين . وقطع لسانيهما بمشفارين . ثم فرّق الاصحاب
واغلق الابواب . واتبع اثرهم بملسوعهم . وكان القضاء
فيه بهمومهم . لئلا يحضر في خصومهم . ولما انصرف امر
الحاجب الى دعائم . وتبالى لكائنه . ثم تفقد المائدة وعرفه
المقابلين . وقال اشهد انكما لاجهل الثقلين . لكن اعذرتما
مجالس الحكام . واشتريتما بفضل الكلام . فما كل قاصٍ
قاضٍ يحرز . ولا كل وقف يمنع الاراجز . وفقا لا له
مثلنا تعجب . وشكرك قد وجب . ونهضا وقد حظيا
بدينارين . واصلحا قلب القاضي بأذنين

تفسير ما تضمنت هذه المقامة
من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله تقسمتها عروق القربة . هذا مثل يضرب لمن
يتقدم في الامر الذي من اوله كما ان حامل القربة يلقى
منه حتى يعرق . وقوله جعلته دبر اذني يعني اطرحته
وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم . وقوله الكيد
من حاج يعني التي تتبارين في عهد مشبهة الكلاب وسائر تلك
تتناطح وتتحاوم ثم استنبه ووهبت نفسها له وهذا الاسم

نحو لك أن تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت الزوجة
عند ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم ... أوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى أنه ... يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ يبغي معي ... حتى عوذت له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ... جدواه تخصيصا وتمييزا
وردني أخيب من شائم ... برقا خفيا في شهر تموزا
كأنه لم يدر أني التي ... لقنت الشيخ الأراجيزا
وأنني إن شئت غادرته ... أضحوكة في أهل تبريزا

فلما رأى القاضي اجتراءهما وانصلات لسانهما
علم أنه قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء
وأنه متى منح أحدهما الرضى وصرف الآخر صفر اليدين
كان كمن قضى الدين بالدين أو صلى المغرب ركعتين
فطلسم وبرطم واخرنطم وبرطم وهمهم وغمغم
ثم التفت يمنة وشآمة وتململ كآبة وندامة وأخذ
يذم القضاء ومتاعبه ويعدد مساويه ونوائبه ويفند
طالبه وخاطبه ثم تنفس تنفس الحريب وانتحب
حتى كاد يفضحه النحيب وقال إن هذا لشيء عجيب أأرشق
في موقف بسهمين ألزم في قضية بغرمين أنى أطيق
أن أرضي الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف إلى
حاجبه المنفذ لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء

عني به كل ما يصفر من الطير وخص الجبن بكثرة ما يسمعه من
جوارح الجو ومصائد الارض وقيل انه طائر بعينه اذا جنه
الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول الليله
خوفا من ان ينام فيوخذ وقيل انه الذي يصفر بالمراة
لريبة فهو جبن وقد صفر مخافة ان يظهر على امره و
قيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر
بالصفير فعلى هذا القول فاعل هاهنا بمعنى مفعول كقوله
تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى
مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل
كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا واما قولها
الطبن من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر بكثرة
وثوبه واما قولها القاضي اذ كان شنا وطبقة وجداه وفقه
فاراد به ان كلا منهما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من
المثلين تفسير يخالف فيه اما شن وطبقة فان العلما
يختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال
الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن افصى بن دعمى بن جديلة
ابن اسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من اياد وكانت
طبقة لا تطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها وقال
بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه
ان لا يتزوج الا بامراة تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد
طلبته فصاحبه رجل في بعض اسفاره فلما اخذ منهما

مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه في الاسماء المعدولة
واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت
فاسجح وقولها اكذب من ابن ثمامة هو كنية مسيلمة الكذاب
وكان تنبأ باليمامة وبحروبها الى ان سار اليه خالد بن
الوليد وقتله وقولها لا نعم عوفك العوف الحال والعوف
ايضا الذكر ويجي كناية على البعل فيقال له نعم عوفك
وقوله يا دفار كالجار مثل الاسماء معدولة عن دفرة
وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر وكل ما سمي
بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء
كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال
ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر

اطوف ما اطوف ثم آوي
الى بيت قعيدته لكاع

واما قوله لحتف من ربطه فهي ضرب مثل لمن يسعى في
التسبب فيترقبها واما قوله الام من مادر فهو رجل
من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت
سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده واما
قولها اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل سعد
بن زيد مناة ما طرق الا اماتت وقيل المراد به العام
المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الارض من النبات واما
قولها اجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم

فوجم في النداء. وقد اختلف في أمر دهيهما فقيل هما الطائر
المعروف ببندقة الرامي. وقيل بهما فتيلتان من صعاليك
العرب فأغارتا صداة وكانت تنزل الكوفة على شرفة
وكانت تنزل باليمن فأتتهم ثم كرّت بندم على جلاه فأغار
عليهم. وروى بعضهم هذا المثل حاصد غير مهموز أي
مثال العصا وقفا وزعم أنه اسم القبلة. وأما قوله
لحات شحكيا الحكم فإنه مثل يضرب لمن يخطئ في متعدد
ويضع شيئا في غير موضعه. وأما قوله طلسم وبرطم
فمعنى طلسم كرّه وجهه وطرطم أي طرق. وقوله بصر
أي غضب فقطب. وقيل معنى حمض أي غضب
فكمد فبرطم أي غضب مع عبوس. وقوله همهم وتمتم
أي لم يبين الكلام



الحادية والاربعون

أخبر الحارث بن همام قال: أطعت دواعي التصابي
في غلواء شبابي. فلما أن ذرّ نذير العند، وأذنا للأعمار بالـ
أن وافى النذير، وولّى العيش النضير، تعرّضت لي رسالة
الانتباه. وندمت على ما فرطت في جنب الله. ثم أخذت في
كسع الهنات بالحسنات، وتلافي الهفوات قبل الفوات.
فملت عن مغاداة الغادات إلى ملاقاة التقاة. وعن مهاداة

إنه قال له شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل
يا جاهل هل يحمل الراكب راكبا فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع
فقال له شن أترى هذا الزرع قد أكل أم لا فقال له يا جاهل
أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة
فقال له شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت
أجهل منك تراهم حملوه إلى القبر حيا ثم إنهما وصلا إلى
قرية الرجل فصار به إلى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة
فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا
بالصواب ولا استفهم إلا عما يستفهم عن مثله أما
قوله أتحملني أم أحملك فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى
نقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع أكل
فإنه أراد هل استسلف أهله ثمنه أم لا وأما استفهامه
عن صاحب الجنازة أحي هو أم لا فإنه أراد به أخلف عقبا يحيي
ذكره به أم لا فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه
فخطبها إليه فزوجه إياها فلما سار بها إلى قومه وخبروا
ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت
مثلا وحكي أن الأصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال
أطبق الشن وعاء من أدم كان قد تشنن فلما اتخذ له غطاء
وافقه ضرب فيه هذا المثل وأما صداءة وبذقة فإنه
[illegible] المثل المضروب لمن يقرع بعدو أو يبلى بنظير
حذا حذوا وزاد بشقة وكان الأصل صداءة بإثباتها

وَيَمتطي اللهوَ ويعتدُّهُ
أوطأَ ما يفترشُ المفترشْ
لم يَهَبِ الشيبَ الذي ما رأى
نجومَهُ ذو اللبِّ إلا دهشْ
ولا انتهى عمّا نهاهُ النُّهى
عنهُ ولا بالى بعرضٍ خُدِشْ
فذاكَ إن ماتَ فسحقاً لهُ
وإن يعشْ فهوَ كمن لم يعشْ
لا خيرَ في مَحيا امرئٍ نشرُهُ
كنشرِ ميتٍ بعدَ عشرٍ نُبِشْ
وحبّذا مَن عِرضُهُ طيّبٌ
يروقُ حُسناً مثلَ بُردٍ رُقِشْ
فقُل لمن قد ساءهُ ذنبُهُ
هلكتَ يا مسكينُ أو تنتعشْ
فأخلصِ التوبةَ تَطمِسْ بها
منَ الخطايا السودِ ما قد نُقِشْ
وعاشرِ الناسَ بخُلقٍ رِضا
ودارِ مَن طاشَ ومَن لم يطِشْ
ورِشْ جناحَ الحُرِّ إن حَصَّهُ
زمانُهُ لا كانَ مَن لم يَرِشْ
وانجِدِ الموتورَ ظُلماً فإن

المثوبات الى مداناة اهل الديانات وآليت ان لا اصحب الا

من نزع عن الغي وقام من نشر الى الطي وان الفيت من هو

خاص الغش مديد الوشن انأيت ذاتي عن دناه وفررت

منه فرار القان فلما القيت العصا بتنيس واصطفيت مسجدها

للانس رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو

يقول بجأش متين ولسان مبين مسكين ابن آدم واي مسكين

ركن من الدنيا الى غير ركين واعتصم منها بغير مكين و

ذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها

لشقاوته ويعتد فيها بمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته

اقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين ورفع قدر الحجرين

لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكر فيما قدم لبكى الدم

ولو ادكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل

لحسن الاعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب

[illegible] الذهب [illegible]

[illegible] يحب [illegible] ويعطل وحي الكتب ويوهن [illegible]

النشب ولست ارى ان ينيب ويهذب المعيب ثم

اندفع ينشد انشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه
وهو على غي الصبا منكمش

يعشو الى نار الهوى بعدما
اصبح من ضعف القوى يرتعش

الدر من الحجى فقلت أشهد أنك لبحر في بحريته وبشواطئ بريته
صدق وكهانتي واستحسن إبانتي ثم قال هل لك في ابتدار
البيت لنتنازع كأس الكميت فقلت له ويحك أتأمرون
الناس بالبر وتنسون أنفسكم فافترّ افترار متضاحك
ومرّ عن مماحك ثم بدا له أن تصاحب إليّ وقال
تحفظها عني وعِه

اصرف بصرف الراح عنك الأسى
وروّح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به تنعم
عنك الهم فذاك أنتبه

ثم قال أما أنا فأنطلق إلى حيث أصطبح
وأغتبق وإذا كنت لا تصحب ولا تصطحب
فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخلّ سبيلي وتنكّب
ولا تعترض ولا تتعقّب ثم ولّى عذارًا ولم يعقّب قال
الحارث بن همام فالتهبت وجدًا لانطلاقه ووددت
أن لم ألاقه

المقامة الثالثة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى وسارت
الهوى إلى أن صرت ابن كل تربة وأخا كل غربة إلا أنني

عجزت عن إنجاده فاستحش

وانعش إذا ناداك ذو كبوة

عساك في الحشر به تنتعش

وهاك كأس النصح فاشرب وجد

بفضلة الكأس على من عطش

قال فلما فرغ من حكايته وقضى إنشاد أبياته
نهض صبي قد شدن وأعرى البدن وقال يا ذوي
الحصاة والإنصات إلى الوصاة قد وعيتم الإنشاد
وفهمتم الإرشاد فمن نوى منكم أن يقبل ونصح المنتصح
فلينبئ عن نيته ولا يعدل عن بطيته والذي يعلم
الأسرار ويغفر الإصرار إن شربي لكما ترون وإن و
جهي لمشوق مصون فأعينوني يا ثم العون قال
ووجد الشيخ فما تقطعت له القلوب ونيلت له المطلوب
حتى انطحت ذات شوشته فلما أن دع الكيس
انصلت يمشي ونحو تيس ولم يحل الشيخ المقام تبعد
تعاليم الغلام فاستمع لابنيه الدعاء ثم جاء يحو لا الأنقا
قال الراوي فارتحت إلى أن أعجمه وأحلم تجمه
فتبعته وهو يشتد في مشيته ولا يتعود بوصيته فلما
أمن المقاضي وأمكن التناجي لفتحيته إلى وسلم
تسليم بنانة علي ثم قال أراك ذكاء ذلك للتوليد
فقلت إي ومولى الهمس فقال أنا في السروجي ومخرج

وَلَهُمْ وَاقْتَرَحُوا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَهُمْ فَأَنْشَدَ أَيَّمَا أُنْشِدَ سَجْعٌ
أَوْ يُنْشِدُ نَسِيبٌ ثُمَّ قَالَ اسْمَعُوا وُقِيتُمُ الطَّيْشَ وَمُلِّيتُمُ الْعَيْشَ
وَأَنْشَدَ مُلْغِزًا فِي مِرْوَحَةِ الْخَيْشِ

وَجَارِيَةٍ فِي سَيْرِهَا مُشْمَعِلَّةٍ
وَلَكِنْ عَلَى إِثْرِ الْمَسِيرِ قُفُولُهَا
لَهَا سَائِقٌ مِنْ جِنْسِهَا يَسْتَحِثُّهَا
عَلَى أَنَّهُ فِي الِاحْتِثَاثِ رَسِيلُهَا
تُرَى فِي أَوَانِ الْقَيْظِ تَنْطِفُ بِالنَّدَى
وَتَبْدُو إِذَا وَلَّى الْمَصِيفُ قُحُولُهَا

ثُمَّ قَالَ وَهَاكُمْ يَا أُولِي الْفَضْلِ وَمُدْرِكِي الْعَقْلِ وَأَنْشَدَ
مُلْغِزًا فِي حَابُولِ النَّخْلِ

وَمُنْتَسِبٍ إِلَى أُمٍّ تَنَشَّا أَصْلُهُ فِيهَا
يُعَانِقُهَا وَقَدْ كَانَتْ لَهُ رَهْطَةٌ عَنْهَا
بِهِ يَتَوَصَّلُ الْجَانِي وَلَا يَجْنِي فَيَأْتِيهَا

ثُمَّ قَالَ دُونَكُمُ اللُّقْمَةَ الْعَلَمَ الْمُسْتَكِنَّ الظُّلَمِ وَأَنْشَدَ
مُلْغِزًا فِي الْقَلَمِ

وَمَا مَأْمُومٌ بِهِ عُرِفَ الْإِمَامُ
كَمَا بَاهَتْ بِصُحْبَتِهِ الْكِرَامُ
لَهُ إِذْ يَرْتَوِي طَيْشٌ صَادٍ
وَيَسْكُنُ حِينَ يَعْرُوهُ الْأُوَامُ
وَيُذْرِي حِينَ يَسْتَسْقِي دُمُوعًا

لم أكن أقطع واديا ولا أشهد ناديا إلا لاقتباس الأدب
المسلي عن الأشجان المغلي قيمة الإنسان حتى عرفت لي هذه
الشنشنة وتناقلتها عني الألسنة وصارت أعلق بي
من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل أبي صفرة فلما ألقيت
الجران بحران واصطفتني بها الخلان والجيران حدث
أنديتها مغتمري وتوسم فكاهتي وسمري فكنت أشهدها
صباح مساء وأظهر فيها على ما سر وساء فبينا أنا
في ناد محشود ومحفل مشهود إذ جثم لديهم علمه
هدم فحياهم بملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور
المحافل وبحور النوافل قد بين الصبح لذي عينين و
آن الصلح بعد لين فماذا ترون فيما ترون للحسو
الحول لتهوروا ذعون فقالوا له بالله لقد بخطت
ورمت أن تشط فعضت فأسدهم الله عما أصدهم حتى
يستوجب ردهم فقالوا كما تناصر الأنصار كما تناصر
يوم البراز فما لك أن تشعب من الفضول والحق هذا أفضل
نمط الفضول فلسنا كثير القوم وسموه بأسنة
اللوم فهو يتنصل من هفوته ويندم على فوهته وهم
[illegible]
هم يا قوم إن الأحكام من لزم الطلم فعدوا عن اللحي
أتندع ثم علم أن للغر وتحكم المزن فسكن عند
ذلك نوفرهم ولعلت عقدهم ودنوا لما شرط عليهم

نطق بالبسملة وأنشد ملغزاً في المرملة

وَمَسْرُوقَةٍ مَغْمُومَةٍ طُولَ دَهْرِهَا
وَمَا هِيَ تَدْرِي مَا السُّرُورُ وَلَا النِّعَمْ
تُقَرَّبُ أَحْيَانًا لِأَجْلِ جَنِينِهَا
وَكَمْ وَالِدٍ لَوْلَاهُ طُلِّقَتِ الْأُمّْ
وَتُبْعَدُ أَحْيَانًا وَمَا طَالَ عَهْدُهَا
وَإِبْعَادُ مَنْ لَمْ يَسْتَحِلَّ بِهِنَّ ظُلْمْ
إِذَا قَصُرَ اللَّيْلُ اسْتَطَالَ وِصَالُهَا
وَإِنْ طَالَ فَالْإِعْرَاضُ عَنْ وَصْلِهَا نَعَمْ
لَهَا مَلْبَسٌ بَادٍ أَنِيقٌ مُبَطَّنٌ
كَمَا تَدْرِي لَكِنْ لِمَا يَدْرِي الْحَكَمْ

ثم كشف عن أنيابه الصفر وأنشد ملغزاً في الظفر

وَمَرْهُوبِ الشَّبَا نَامٍ ... وَمَا يَغْنِي وَلَا يَشْرَبْ
يُرَى فِي الْعُسْرِ وَنُحْرٍ ... فَاسْمَعْ وَصْفَهُ وَاعْجَبْ

ثم تجاوز العقرب وأنشد ملغزاً في طاقة الكبريت

وَمَا مَحْقُونَةٌ تُدْنِي وَتُقْصِي
وَمَا مِنْهَا إِذَا أَفْكَرْتَ بُدّْ
هُمَا اثْنَانِ مُشْتَبِهَانِ جِدًّا
وَكُلٌّ مِنْهُمَا لِأَخِيهِ ضِدّْ
تُعَذَّبُ إِنْ هُمَا حُضِنَا فَتَحْمَى

ثم قال ويلكم يا واضحي الدليل الفاضحي ما قيل
وأنشد ملغزا في الميل

وما ناكح أختين جهرا وخفية
وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه
[illegible] يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا
ونزر وهذا في البعول قليل

ثم قال وهاك يا أولي الألباب معيار الآداب وأنشد
ملغزا في الدولاب

وجاف وهو موصول ... وصول ليس بالجافي
غريق ما يرى يجري له ... من راسب طافي
يجيء بدمع مهضوم ... ويهضم هضم متلاف
ويشكي [illegible] ... ولكن قلبه صافي

فلما نسق الخمس التي نسق قال يا قوم تدبروا هذه
الخمس واعتقدوا علينا الخمس ثم سألكم وضح الدليل أو
الاستكانة من الكل قال فاستغرقت القوم سهوة الزيادة
وأحاطت بهم البلادة فقالوا والله ان وقوفنا دون حد
[illegible] فإن شئت [illegible] عندك
[illegible] من فتح سهمه وأغرق نقصيه ثم أفتح

له تالله لقد عسعست ونصبت للشرك فقنصت فكم كيف نثت وجر الغنم والثنيت فعرض عن كل معمى ورنا واستخلصه منهم نصا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول الانجفال فاعتلقوا به مدة القوم وقالوا لا لبثة بعد اليوم فاستنسل الانطلاق وهيهات منعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب وانشد والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي	وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي	بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا	امر يومي وامسي
ازجي الزمان بقوت	منغص مستخس
ما ان اقر بارض	ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما	بالشام اضحي وامسي
ولا ابيت وعندي	فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي	باع الحياة ببخس

ثم انه احتبن خلاصة النض وبدر ضاربا في الارض فناشدناه ان يعود وانسيناه الوعود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب له نجع

الثالثة والاربعون

إذا أعدم الحصاب ولا تعتد

ثم تمخط تمخط القرم وأنشد ملغزا في حلب الكرم

وما شيء إذا فسدا · تحول غيه رشدا
وإن هو راق أوصافا · أثار الشر حيث بدا
زكي العرق والده · ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزا في الطيار

وذي طيش شقه مائل
وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق علية
كما يعتلي الملك العادل
تساوى لديه الحصى والنضار
وما يستوي الحق والباطل
وأعجب أوصافه أن نظرت
كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما
وقد علموا أنه مائل

قال فطفقت الأفكار تهيم في أودية الأوهام وتجول جولان المستهام إلى أن طال الأمد وحصحص الكمد فلما رآهم يزيدون ولا سنا ويقضون النهار بالمنى قال يا قوم إلام تنظرون وحتام تنظرون ثم آن لكم استخراج الخبي أو استسلام الغبي فقالوا

الفاضح ولم يبق إلا واضح توسمت رفيق رحلتي وسمير
ليلتي فإذا هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم المرشد فتهادينا
تحية المحبين إذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الأسرار
وتناثثنا الأخبار ونضوي يتحوّط من الكلال وراحلته ترف
رفيف الرئال فأعجبني اشتداد أسرها وامتداد صبرها
ووددت أن أستفهم جوهرها وأستنبئه عن نجرها فقال
إن لهذه الناقة خبراً حلو المذاقة مليح السياقة فإن أحببت
استماعه فأنخ وإن لم تشأ فلا تصخ فأنخت لقوله نضوي
وأهدفت السمع لما يروي فقال اعلم أني استعرضتها بحضر
موت وكابدت في تحصيلها الموت فما زلت أجوب عليها
البلدان وأطس بأخفافها الظران إلى أن وجدتها عبر
أسفار وعدة قرار لا يجفها عناء ولا يأوهها وجا
ولا تدري ما الهناء فأرصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر
الأشر فاتفق أن ندت مذ مدة وما لي سواها قعدة
فاستشعرت الأسف واستشرفت التلف ونسيت كل رزء
سلف فمكثت ثلاثاً لا أستطيع انبعاثاً ولا أطعم النوم إلا
حثاثاً ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقد المسارح وأنا
لا أستنشي منها ريحاً ولا أتغشى بأسامرحا وكلما
ذكرت مضاءها في السير وإباءها المباراة الطير لاح على
الادكار واستهوتني الأفكار فبينا أنا في حوم تعص لا
إذ سمعت من شخص متبعد وصوت متجرد من ضلت له مطية

حكى الحرث بن همام قال هفا بي لبين المملوح والسير
المسيح الى ارض يضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت
فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه احيد
الا اني شجعت قلبي المزؤد ونسأت نضوي المجهود وسرت
سير الصابر بنقض المستسلم للحين ولم ازل بين وخد
وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب
والضيا يحتجب فارتعت لاظلام الظلام واقتحام جيش
حام ولم ادر أكف الذيل وأربط ام اعمل الليل واخبط
وبينا انا اقلب العزم وامتخض الحزم تراءى لي شبح جمل
مستذر بجبل فرجيته فعاد مرح وقصدته قصد سبح
فاذا الظن كهانة والركوبة عرانة والمريح قد ازدمل بجاده
وتجلل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه
فلما انبعث سراه واحترز فاجاه نفر كأنه مريب
وقال بحق ام الذيب فقلت انا حابط ليل ضل المسالك
فامض لي قدح ذلك فقال المسر عليك همك فوتيلم
يلده امك فاسري عنده لك اشفاقي وسري اوشرى
الى ماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل
ترى كما ارى فقلت انك لاصدع من صدع واوفى من
عذالك فصدع بحجتي ومحض نصحتي ثم اختمانا [illegible]
[illegible]
الى ان ... عايته ورفع لنجم رايته فلما ...

وقال بعده التي عرّفتَ وإيّاها وصفتَ فإن كانت هي التي أعطى بها عشرين وهامو من المصرّين فقد كذب في دعواه وكذّب ما افتراه اللهمّ لا تبدِ ما له وبيّن مصداق ما قاله فقال الحكم اللهمّ غفرًا وجعل يقلّب النعل بطنًا وظهرًا ثم قال أمّا هذه النعل فنعلي وأمّا مطيّتك ففي رحلي فانهض لتسلّم ناقتك وافعل الخير يحطّ خطيئتك فقمت وقلت

أقسم بالبيت العتيق ذي الحرم
والطائفين العاكفين في الحرم
لنعم من إليه يحتكم
وخير قاضٍ في الأعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فأجاب من غير رويّة ولا عقد نيّة وقال

جُزيتَ عن شكرك خيرًا يا ابن عمّ
إذ ليس مستوجب شكر يلتزم
شرّ الأنام من إذا استقضى ظلم
ثمّ من استرعى فلم يرعَ الحرم
فإنّ ذا والكلب سواءٌ في القيم

ثم إنّه نهد بين يديّ من تسلّم الناقة إليّ ولم يمنّ على قرح أجرّ بل الضرب وأقوى باللعب قال الحارث بن همّام فقلت له بالله لقد ظرفتَ وتعرّفتَ بما عرفتَ فناشدتك

حضرمية وطية جلدها قد وسم وعرها قد حسم و
زمامها قد ضفر وظهرها كان كسيرا فجبر تبز الماشية
وتعنق الناشية وتقطع المسافة النائية وتطل بذلك
مدانية لا يعتورها الونى ولا يعترضها الوجى ولا
تحوج الى العصا ولا تعصي في عصى قال ابو زيد
فجذبني الصوت الى الصائت وبشرني بدرك الفائت فلما
افضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم
العطية فقال وما مطيتك عفرت حطتك
قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء
العلبة وكنت غبنت بها عشرين اذ حللت بيبرين فاستزاد
الذي اعطى ودريت انه اخطا قال فاعرض عني سمعه
صفحه وقال لست بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه
واصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول
يا هذا ما مطيتي بطلبتك فاكفف من غربك وعد عن سبك
والا فقاضني الى حكم هذا الحي البريء من الغي فان اوجبها
لك فتسلم وان زواها عنك فلا تتكلم فلم ار دواء لقصتي
ولا مساغ لغصتي الا ان اتى الحكم ولو لكم فانطلقنا الى
شيخ ركين البسطة انيق العصبة يؤنس منه سكون
الطائر وان ليس بالحائر فاندرات اتظلم وانا الم وصاحبي
مرثم لا ينبس حتى اذا نثلت كنانتي وقضيت من القصص
لبانتي ابرز نعلا رثة الوزن محذوة لمسلك الحزن

والبغية المسهلة والطبة المعللة والقرينة المتحببة و
الحليلة المتقربة والصناع المدبرة والفطنة المختبرة
ثم إنها عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقرن العاجز
ونهزة المبادر عريكتها لينة وعقلتها هينة ودخلتها
متبينة وخدمتها مزينة وأقسم لقد صدقت في الفئتين
ووطئت المهيعين فأيهما هام قلبك وعلى أيهما قام زندك
قال أبو زيد فرأيته أحد من تتقيه المراجم وتدمى به
المحاجم إلا أني قلت له كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل
خبا فقال لقد لعمري قيل هذا ولكن كم قول ذي بهتان
ويحك أما هي المهرة الأبية العنان والمطية البطيئة الاذ
والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة
الافتتاح ثم إن مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة و
عشرتها صلفة ودالتها مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها
صماء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفي رياضتها تعب
وعلى صعودها عنتا وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل
وأحنقت الهازل وأضرعت الفنيق البازل ثم إنها التي تقول
أنا البس وأطلس فاطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى
في الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب في فضالة
المآكل وثمالة المناهل واللباس المبتذل والوعاء
المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح
المتسلطة والمحتكرة المتسخطة ثم كلمتها كنت وصرت

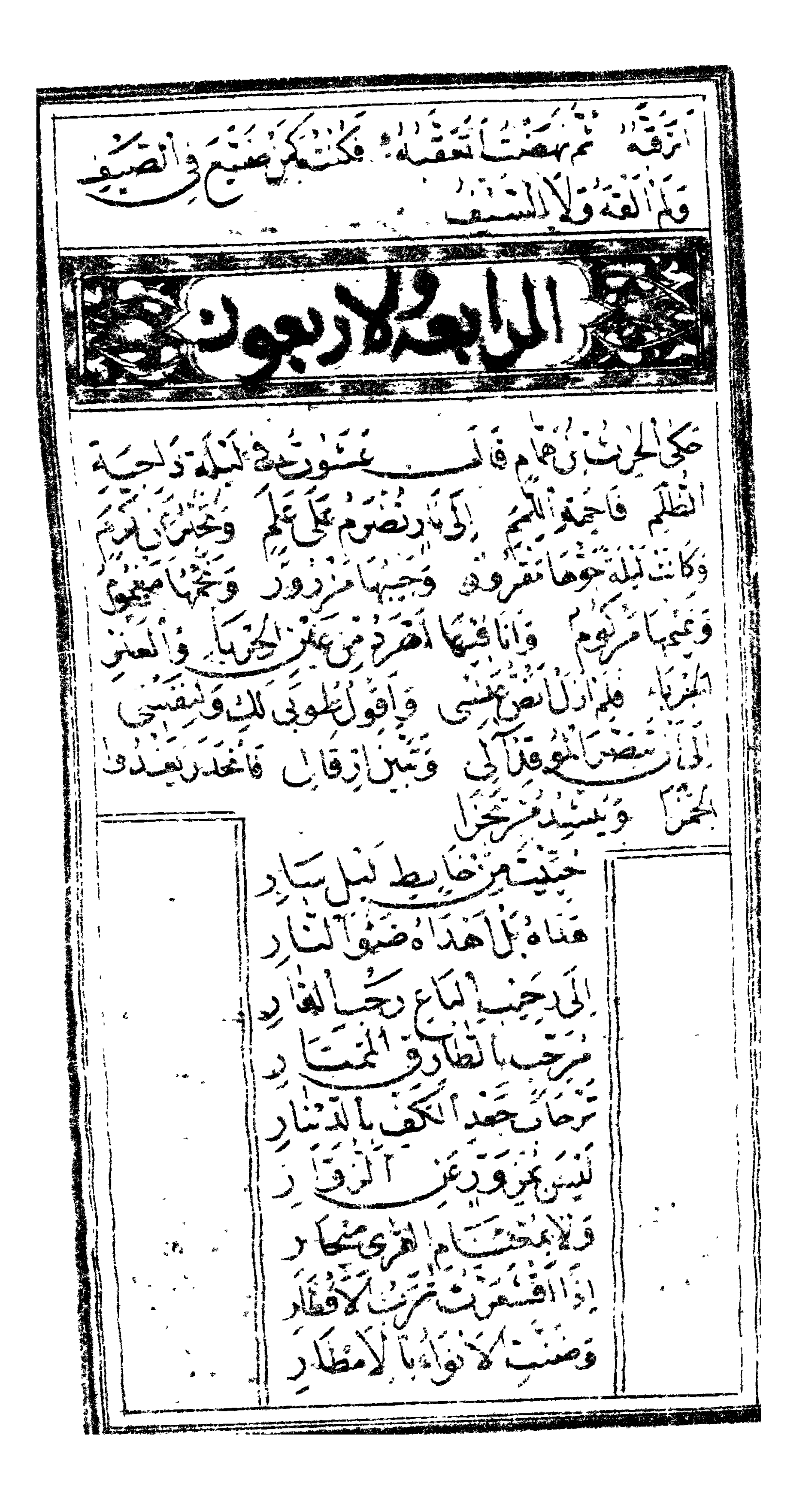
لله هل لقيت أعز منك بلاغة وأحسن لفظك صياغة
فقال اللهم نعم فاسمع ولا نعم كنت عزمت حين نهدت
على أن أتخذ ظعينة لتكون لي سكنة فحين تعين الخطب
وكاد الأمر يستتب أفكرت فكر المحترز من الوهم أسائل
كيف يسقط السهم وتبليني ناجي القلب المعذب وأقلب
العزم المذبذب إلى أن أجمعت على أن أتحرى وأشاور وأتبصر
من أتبصر فلما قوضت الظلمة أطنابها وولت الشهب
أذنابها غدوت غدو المعتف وأبكرت بكار المتعسف
فألفيت يافعا بوجه ناصع فتيممت مطلعه البهج
واقتدحت زنده في التزوج فقال أوشئتها عوانا
أم بكرا تعانا فقلت اختر لي ما ترى فقد ألقيت إليك
العرى فقال إلى المتين وعليك التعيين فاسمع
أنا أوريك تعدد أعاديك أما البكر فالدرة المخزونة
والبيضة المكنونة والثمرة الباكورة والسلافة المذخورة
والروضة الأنف والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها
لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا
وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي و
اللسان العيي والقلب النقي ثم هي الدمية الملاعبة
واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة والملحة الكاملة
والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب
وأما الثيب فالمطية المذللة والنهنة المعجلة

فأخذنا نسهب في مدح الأدب وأفضل ربه على ذي النشب
فهو ينظر إلينا نظر المتجاهل ويغضي عنا إغضاء المتمهل
فلما أوفضنا في الغضبة للعصبة الأدبية قال
لحصه واسمع مني وافقه

يقولون إن جمال الفتى ... وزينته أدب راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين ... ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخير له ... من الأدب القرص والكامخ
وأي جمال له أن يقال ... أديب يعلم أو ناسخ

ثم قال سيصدع لكم الصدق مجتلى واستبان مجتنى وسرنا
لا نألوا اجتهادا ولا نستقي جهدا حتى إذا أنا السير
الحمة عن بعثها الحمر فدخلناها للارتياد وكلانا منفض
من الزاد فما إن بلغنا المحط والمناخ المختط أو لقينا
غلاما لم يبلغ الحلم وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية
المسلم وسأله وقفة المتفهم فقال له وعم تسل وفقك
الله قال أيباع هاهنا الرطب بالخطب قال لا والله
قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال
ولا الثمر بالسمر قال هيهات والله قال ولا
العصيدة بالقصيدة قال اسكت عافاك الله قال
ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال أين يذهب بك رحمك
الله قال ولا الثرائد بالفرائد قال عد عن هذا
أصلحك الله واستحلى أبو زيد تناجز السؤال والجواب

وصال ما بقي عمري فقصرت وشتان بين اليوم وأمس في حة
هيهات العمر من الشمس وإذ كانت الجناية الترك أو الظما
الملوك فهي لعلل العمل والجرح الذي لا يندمل
فقلت له فهل ترى أن ترهب وتسلك هذا المذهب
فأقسم بالله إن الموت عند الله المتاب ثم قال
ولقد أتعدى أوقات ولحق قد استبان أف لك
ولو مررت إليك وتبا لك ولأولئك أتراك ما سمعت بأن
أرها نبذ في الإسلام ولا حدثت بما أخبرنك عليه السلام
ثم أما تعلم أن القيمة الصالحة ترتب بيتك ونبي
سوتك وتعصطوك وتطيع فوقك ومما ترى فيه
عينك وترعى أهلك وفرحة قلبك ونعلة يومك و
غدك كيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة الناظرين
وزينة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد
ساءني فيك ما سمعت منك ثم أعرض إعراض المغضب
وتنمر وأبدى الغضب فقلت له قاتلك الله أتنطق متحجرا
وتغني محتقرا فقال أظنك تدعي الخبر لتجلد عمر
وتستغني عن المهن فقلت له قبح الله ظنك ولا أثبت
قولك ثم رجعت عنه مراح الحرمان وقد صرت مناورة
الشيطان قال الحارث بن همام فقلت له أقسم بمن
ثبت لأنك إن الجدل ليس وإليك فأعرب في الشهاد
بتجربة المنهك ثم قال العق العسل ولا تسل



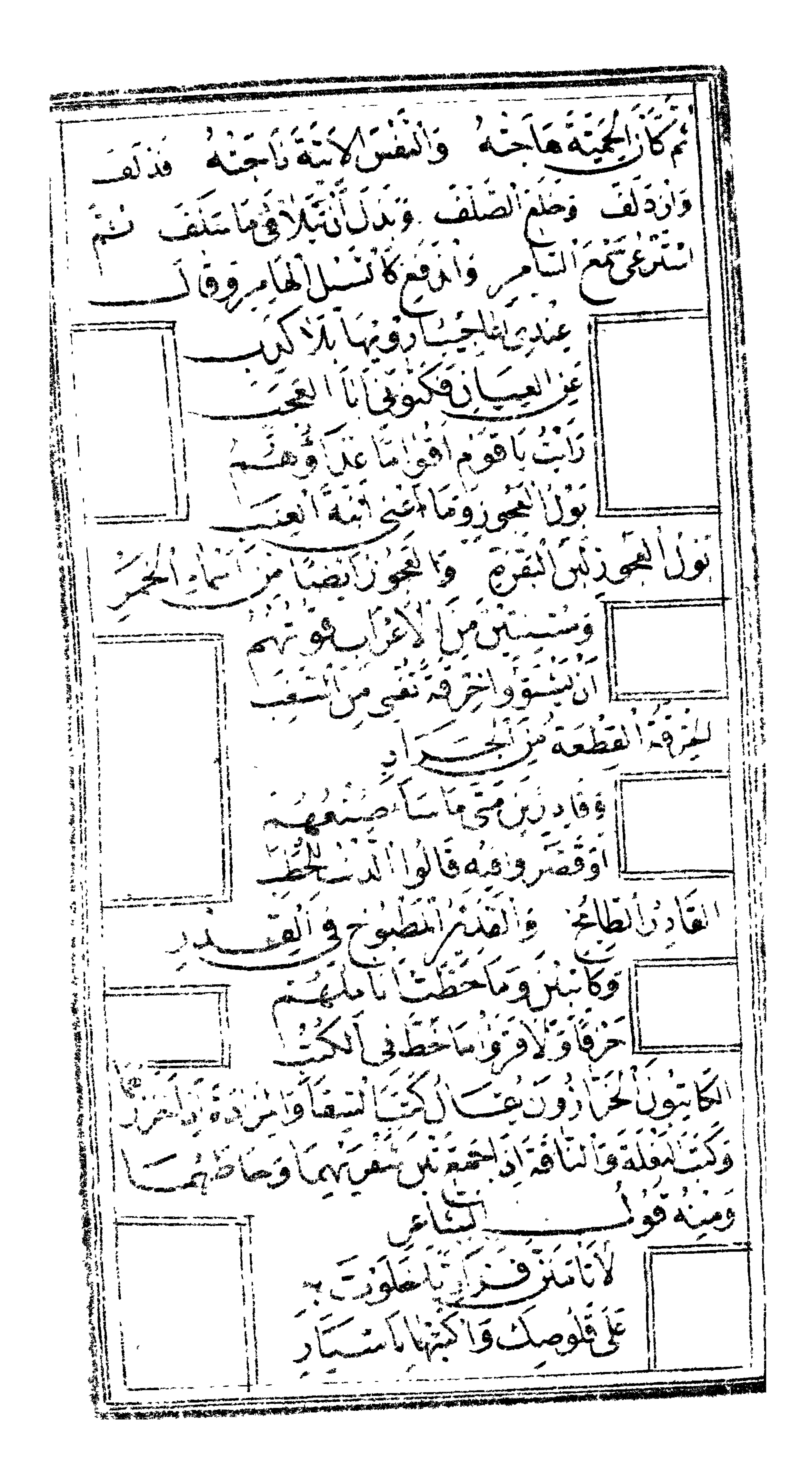
أرقُه ثم نهضتُ تعقُبه فكنتُ كمن ضيّعَ في الصيف
ولم ألقه ولا السيف

الرابعة والاربعون

حكى الحارث بن همام قال عشوتُ في ليلةٍ داجية
الظُّلَم فاحمةِ اللِّمم إلى نارٍ تُضرمُ على عَلَم وتخبر عن كرم
وكانت ليلة جوُّها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغمور
وغيمها مركوم وأنا فيها أخصر من عين الحرباء والعنز
الجرباء فلم أزل أنصُّ عيسي وأقول طوبى لك يا نفسي
إلى أن نضت الموقدة آلي وتبيّن ازوقالي فأخذ ربيئها يحدو
الجمرا ويُنشد مرتجلا

حُيّيتَ من خابطِ ليلٍ سارِ
هداه بل أهداه ضوءُ النارِ
إلى رحيبِ الباعِ رحبِ الدارِ
مرحّبٍ بالطارقِ المُمتارِ
ترحابَ جعدِ الكفِّ بالدينارِ
ليس بمورودٍ عن الزوّارِ
ولا بمعتامٍ قرى معكارِ
إذا اقشعرّت تُرَبُ الأقطارِ
وضنّت الأنواءُ بالأمطارِ

فتأمل هذا الجواب ولمح الغلام أن الشوط بطين
وأن الشيخ شيطين فقال حسبك يا شيخ فقد عرفت
فنك واستبنت أنك خذ الجواب صنك واكفف حنك
أما هذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر
بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة
ولا حكم لقمان بلقمة ولا أخبار الملاحم بلحمة وأما جيل
هذا الزمان فما فيهم من يمنح إذا صنع له المديح ولا من
يجيز إذا نطقت له الأراجيز ولا من يغيث إذا است
غيث ولا من يمير ولو أنه أمير وعندهم أن مثل
الأديب كالربع الجديب إن لم تجد الربع ديمة لم تكن له
قيمة ولا دانته بهيمة وكذا الأديب إن لم يعضده نشب
فدرسه نصب وحرفته حصب ثم أنشد رشدوا و
قصدوا فقال أبو زيد أعلمتنا أن الأديب بار وقلت
أثمان الآداب فوق أخس الصنائع وسمت حكم
الصروف فما أرى إلا من الصناع وحدي حيلة
البقاع واعلم أن لا اتساع لأن يشتم من صانع فما أراه
فيما يمسك الرمق وتطوى الحرق فقلت لا مراء لك
في الزمان بعدك قال أرى أن تفرغ مشتبك لستر
خرقك وشملك فأولته وأق لا تقلت أحسنا إنما التم
أخشيته أن أكل وقلة السعف والرهن في الحاك
ركبنا نافة ورفض الصدق والصداقة فتكت مثنا



ثم كأن الحمية هاجته، والنفس الأبية ناجته، فذلف وازدلف، وحلم الصلف، وبذل أن يتلافى ما سلف، ثم استرعى سمع السامر، واندفع كالسيل الهامر، وقال

عندي أعاجيب أرويها بلا كذب
عن العيان فكنّوني أبا العجب

رأيت يا قوم أقوامًا غذاؤهم
بول العجوز وما أعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقر والعجوز أيضًا من أسماء الخمر

وشاهدت من الأعراب شوهتهم
أن يشتووا الخرقة تغني من السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وقادرين متى ما شاء صنعهم
أو قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

وكاتبين وما خطت أناملهم
حرفًا ولا قرأوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخارزون يقال كتب السقاء والمزادة إذا خرزها وكتب البغلة والناقة إذا جمع بين شفريهما وخاطهما ومنه قول الشاعر

لا تأمنن فزاريًّا خلوت به
على قلوصك واكتبها بأسيار

فهو على بؤس الزمان الضاري

حتم الزناد مرهف الشفار

ثم جل في بلا [illegible]

ثم تلقاني بحياتي وصافحني براحة رحبى وأفادني
إلى بيت عشانه خور وأغشانه نقور وولائده نمور
ومواليه ندور وبأكنافه أضياف قد حلتهم جالبي و
قلبتهم في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتا ويمزحون
مزح ذوي الفتا فلحقت بأخذهم في الاصطلا ووجدت
بهم وجدا لثملي بالطلا ولما أن سرى خصر واستسرى
الحصر أتينا بموائد كالهالات دورا والروضات نورا
وقد حفت بأطعمة الولائم وحمين من المعايب واللائم وعضنا
ما قبل في البطنة ورأينا الإمعان فيها من الفطنة
حتى إذا أكلنا بصاع الحطم واستفنا على خطر التخم
تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوأنا مقاعد السمر وأخذ كل
منا يسول بلسانه وينثر ما في صوانه ما عدا [illegible]
فوداه فطولقا برداه فإنه ربض يحمر وأوسعنا [illegible]
فعاطلناه عتبة المتلبس موجه المعذور فيه موته إلا
أننا له القول وحسبنا في المسئلة القول وكلما رمنا
أن ينبض كما نبضنا أو يفيض فيما أفضنا أعرض إعراض
النية عن الأرذلين وقال إن هذا إلا أساطير الأولين

وشائباً عن محض المشيب بدا

في البدو وهو فتى السن لم يشب

الشائب هاهنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج يقال مشيب ومشوب

ومرضعاً بلبان لم يغذ فمه

لبانه في شجار بين السبب

الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فإن ظللت فهي الهودج والسبب هاهنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب إلى السماء

وزارعاً ذرة حتى إذا حصدت

صارت غبيراء يهواها أولو الطرب

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة ويسمى أيضاً السكركة وفي الحديث إياكم والغبيراء فإنها خمر العالم

وراكضاً وهو معلول على فرس

قد غل أيضاً وما ينفك من خبب

المعلول هاهنا العطشان وغل أي عطش

وذا يد طلق يقتاد راحلة

مستعجلاً وهو مأسور أخو كرب

المأسور الذي يجد الأسر وهو احتباس البول

وجالساً ماشياً يهوي مطيته به

وما في الذي أوردت من ريب

الجالس الآتي نجداً والجلس اسم نجد والماشي الذي كثرت ماشيته

وتابعن عقابا في سيدهم
على تحكيم في النصر والذب

العقاب الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب واللواء من جلود وقيل هي الذروة

وشدن ذوي نبل بذلتهم
ذبلة فانتهوا منها الى الحرب

الذبلة بعيقة ومنه ذبل البعير اذا مات واودح

وعصبة لم تزل تلك العشق وقد
تحتجنا الا ملك على الركب

تحتجنا اي تعبت الحرب مجاديين جاثين على الركب وجثى يجثو جثيا

وتسمو بين ما ادبكن من طلب
شتى كاظمة من غير ما تعب

كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ

وقد جعلن سر ذي ارض كاظمة
واصبحوا اصلح الصبح في طلب

اي اصبحن يطلبون الثار

وناهضا لهم الاجيش وطغا بسه
ساهدة قوله تسلك من العقب

النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون
والنسوخ العقدم

وذا قوى ما استبانت فطانته
ولينه مستبين غير محتجب
اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة
وساجدا فوق نخل غير منكرب
بما الى بيدر اه افضل القرب
النخل الحصير المتخذ من فحال النخل
وعاذرا سوليا من طال يعذره
مع التلطف والمعذور في صخب
العاذر الخاتن والمعذور المختون
ويدع ما بها ماء المعترف
والماء يجري عليها جري منسرب
البدع القرحة بين الحاجبين وهي ايضا البلجة
وقرحة بين افوص العطا نحبت
بدائم عيشهم من طلسة الشلب
القرية بيت النمل والذئم النمل الكثير
وكوكبا يتوارى عند رؤيته
الانسان حتى يرى في اسفع الحجب
الكوكب النكتة البياض التي تحدث في العين والانسان
هاهنا انسان العين
ودونه قوتت ما لا له خطر
ونفس صاحبها بالمال لم تطب

ماشيته وقد فسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كانه دعا
لهم بالنماء وكثرة الماشية

وحايكا احذم الكفين ذا خرس
فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

الحائك ههنا الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين
ركبتيه

وذا اشتطاط كصدر الرمح قامته
صادقته بمن يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الارض

وساعيا في مسرات الانام ترى
اقراحهم ما نما كالظلم والكذب

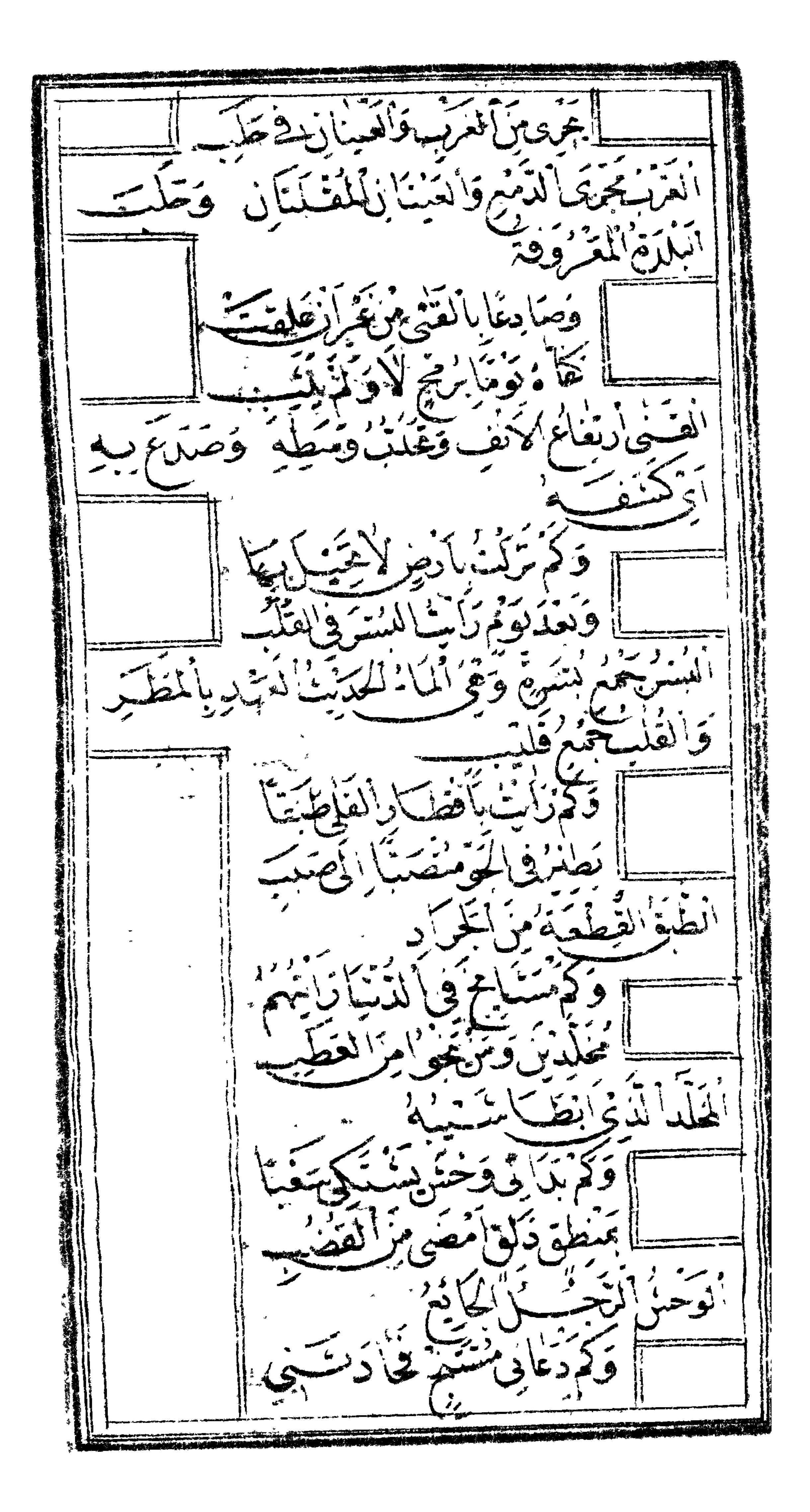
اقراحهم انقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام
لا يترك في الاسلام مفرح اي مثقل

ومغرما بمناجاة الرجال له
وما له في حديث الخلق من ارب

الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا
خلق الاولين

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته
ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الاول العهد والثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة
الماء وعنى بالمذهب المسلك اي لا ماء له في البدو



يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان وحلب البلدة المعروفة

وصادعا بالقنى من عز ان علقت
كفاه يوما برمح لا ولم يثب

القنى ارتفاع الانف وعلو وسطه وصدع به اي كشفه

وكم تركت بارض لا احتفال بها
وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم رأيت باقطار الفلا طبقا
يطير في الجو منصبا الى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم
مخلدين ومن نجوا من العطب

المخلد الذي ابطأ شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا
بمنطق ذلق امضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنجد لحادثة

رونه مقدم الأنف

وصحفة من نضار رضا لص شربت
بعد المكاس بقيراط من الذهب

النضار ههنا شجر النبع وأباه على إبراهيم النخعي بقوله
لا بأس أن يشرب في قدح النضار

ومستجنا خميسا من لبد فغما
أظله من عبادير فلم يجب

الخميس الجماعة عليهم دروع وأسلحة

وطار نعام فوق كلب وفي فمه
نور ولكنه نور بلا ذنب

النور القطعة من الأقط

وكم رأى ناظري فيلا على جمل
وقد تورك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفائل الرأي

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا
وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

وكم قد ابصرت كرانا الراعية
بالدو تنظر من عينين كالشهب

الكران الكبش يحمل عليه الراعي أداته

وكم رأت مقلتي عينين ما وهما

صدق ودكم صدقي على زطي

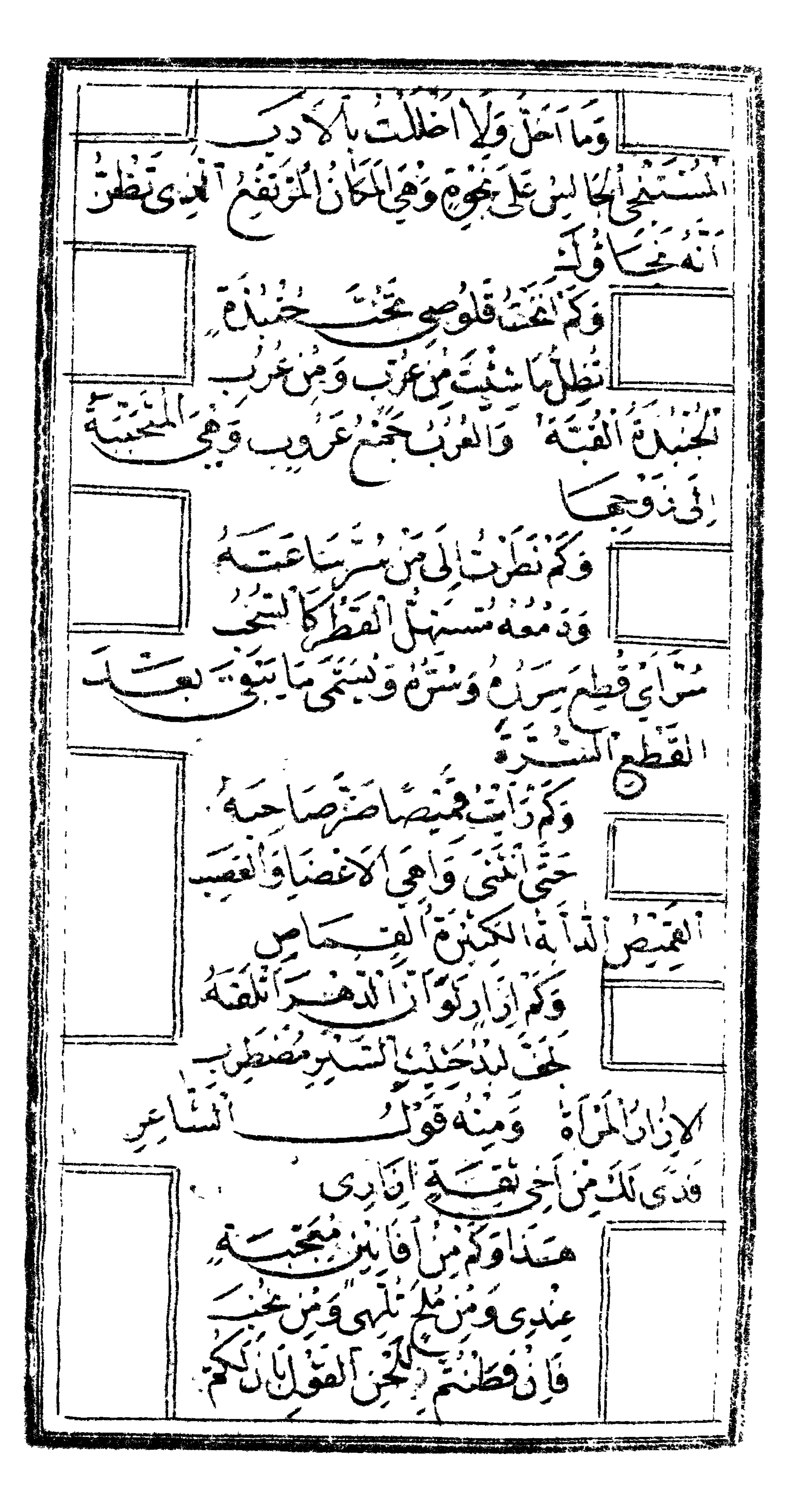
وإن شدهتم فإن العارفة على

من لا يميز بين العود والحطب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه
وتأويل معاريضه وهو يهزأ بنا هزء الخلي بالشجي ويقول
ليس بعشك فادرجي إلى أن تعاسر انبلاج واستحكم
الارتياج فألقينا إليه المقادة وخطبنا منه الإفادة
فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الإيناس قبل الإبساس
فعلمنا أنه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وما
آن استوانا أن نعرض للغرم ونحتسب بالغنم فأحضرنا له
عينية وحلة سعيدية وقلنا له خذهما حلالا
ولا تزد إصغاء دلالا فقال أشهد أنها شنشنة
أخزمية وأريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه منشرح بشر منسق
ونظر يرق وقال يا قوم إن النسل قد اخلولق والمعاشر
قد استحوذ فاهرعوا إلى المراقد واغتنموا راحة الراقد
لتستعيدوا نشاطا وتستأنفوا انبساطا فقعوا ما أفسد ونشهد
لكم المتعبي واستصوب كل ما رآه وتوسد وسادة كراه
فما وسنت الأجفان واغتمض الوسنان وساد الناقة
وحطها جامعها ورحلها وقال يخاطبها

سيري ... في سيري وجدي

وادلجي وأوبي واسئدي


وما اخلّ ولا اخللت بالادب

المستملي الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع الذي تظن انه نجا ولك

وكم نعت قلوصي تحت جندلة
تطل ما شئت من عرب ومن عرب

الجندلة القبة والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من سر ساعته
ودمعه مستهل القطر كالسحب

سره اي قطع سرره وسره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة

وكم رأيت قميصا ضرّ صاحبه
حتى انثنى واهي الاعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة القماص

وكم ازار لو ان الدهر الثقه
لحف لذ حلت الستر مضطرب

الازار المرأة ومنه قول الشاعر

فدى لك من اخي ثقة ازاري

هذا وكم من افانين معجبة
عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم للحن القول بان لكم

مَن يَفرُقُ كَشفَه . وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه
المقامة ربّما التبس تفسيرها على بعض من يقع اليه فأحببت
ايضاحها له لتنكشف عنه الشبهة وتُكفَه المؤونة ووضح نهج
والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة والقوّة . قوله يعشو الى
نار يعني تنوّرها فقصدها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها
كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن أي يُعرض . وقوله
وكنت أصبر من عنز الحرباء والعنز الحرباء هذا مثلًا لأن يضرب
لمن يبلغ منه الجهد وذلك لأن الحرباء يدور للناظر مع الشمس و
يستقبلها بعينيه وتشبه ابن الرومي رقيب الحرباء في قوله

ما بالها قد حسنت ورقيبها
أبدا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى
أبدا يكون رقيبها الحرباء

والعنز الحرباء لا تدفأ في الشتاء لقلّة شعرها . وقد ذكر
بعضهم أن العنز الحرباء تضرب المثل الأول . وقوله خز
وارتعى أو ارتوى يحمل المكتنز لحمها الكثير شحمها . وقوله
عشار خور وأعشار تغور العشار النوق الحوامل وهي
الأعشار البرمة العظيمة كأنها تشعّبت لعظمها يقال برمة أعشار
وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرمام
ووصف الجماعة منها كوصف الواحد . وقوله فاكهة الشتاء
كنى به عن النار ومنه قول بعض المحدثين

حتى تضاحك قرناها الندى
فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتأمني أن تنتهي أو تجحدي
ايه فدتك النفس جدي واجهدي
وأقري أدمي قد فقد فقد
وانتجعي الشيخ عند المورد
ولا تخطي دون ذاك المقصد
فقد طفت طامة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد
إليك يا حاملتي في بلدي
طلت مني محل الولد

قال فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع أباع وإذا سلا الضاع أضاع ولما أبلج صباح القوم وهب القوم من النوم أعلمتهم أن الشيخ حين أعشاهم الشبات طلقهم ثلاث وركب الناقة وفات فأصدهم ما قدم وما حدث وبنوا ما طار من صنيعه ما خبث ثم أشعبنا في كل شعب وذهبنا عنه كل كوكب

قال السعيد أبو محمد

رحمه الله قد فسرت مشكل الغريبة ولم أبعد على

بسيلك فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش
ما يكون في شجرة فان كان في حائط او كهف جبل فهو وكر
وقوله الايناس قبل الابساس هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي
ان يؤنس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة يؤنسها حين
يروم حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس
لتسكن وتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس سميت البسوس
وقوله رغبت عن الشكر الشكر ما اعطيته على سبيل المجازاة
فان اعطيت مبتديا فهو التكرم ومنه قول الراجز

شكري عتيد وكذاك شكري
لحر واسترقاق عبدي
فانظر اذا اسلفت ماذا تستدي
كالارض مهما تستودع تؤدي

وقوله سآموا انا بني المصطفى الذي أووا اليه ولاذوا
عنده وقوله ناقة عيدية قيل انها منسوبة الى فحل منجب
اسمه عيد وقيل انها منسوبة الى حي من بني مهرة يقال
لهم بنو عيد بن الآمري على وزن العامري وكانت مهرية وعيدية
نجيبتان نجائب الابل فنسبت اليهما وقوله حلة سعيدية وهي
منسوبة الى سعيد بن العاص وكان النبي عليه السلام كساه
حلة وهو غلام فنسبت جنسها اليه وقوله لا نرزأ اصحابنا في
زبالا اي لا نرزأهم شيئا وان قل والاصل في الزبال ما تحمله
النملة بفيها وقوله سنسنة اخزمية اسلافنا الى المشهد

أتى النار فاكهة الشتاء فمن يرد
أكل الفواكه شاتيا فليصطل

إن الفواكه في الشتاء شهية
والنار للمقرور أفضل ما كلا

وقوله مواليك كالهالات يعني دارات القمر ودارات الشمس تسمى الهالة وقوله مسوس القمر يعني المنديل يقال مشوش بالمنديل أي مسحها ومنه قول امرئ القيس

نمش بأعراف الجياد أكفنا
إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله مشتهبا فوداه أي صار من الشيب في لون الأشهب ومنه قول امرئ القيس أيضا

قالت الخنساء لما جئتها
شاب بعدي رأس هذا واشتهب

وقوله ربض نجوم يعني ناحية ويقال في المثل من يبارك في المرعى فيهما بينما ليلا أربع وسطا وربض نجوم و قوله فأسمر يحي سمر السامر يعني السمار لأن السامر اسم لجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كانت ليالي أحول الشهر وأنهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه ومن هذا نحو قولهم لا أكلمه السمر والقمر وقوله أبير

وفتحها بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والإسآد
أن يسير ليلاً ونهاراً أو السير أن تسري به ودلّ الرّي وقوله
فأحدثهم ما قدم وما حدث يقال ذلك لمن تستولي الهموم عليه
وتتلاعب به ونصب الدال من حدث في هذا الموضع وحده
ليوافق لفظها لفظ قدم فإذا أفرد حدث عن قدم وجب فتح
الدال من حدث ومثله قولهم هناني ومراني فحذف الألف من
مراني إذا ذكر مع هناني وإن أفرد تعين أن تقول أمراني
الشيء وقوله ذهبوا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن
تفرّق في السفر طرقهم وتباين سبلهم

المقامة الأربعون

أخبر الحارث بن همام قال كنت أحدث عن أولي التجارب
أن السفر مرآة الأعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم
كل مخوفة حتى اجتليت كل أطروفة فمن أحسن ملحة
وأعجب ما استملحته أني حضرت قاضي الرملة وكان من
أرباب الصولة والنخوة فتقدم إليه بالٍ في بالٍ
وذات جمال في أسمال فهمّ الشيخ بالكلام وتبيان المرام
فمنعته الفتاة من الإفصاح وحسرت عن اللثام ثم نضت
عنها فضلة الوشاح وأنشدت بلسان السلاطة والوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي

الذي ضربه جدّ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي
حين نشأ حاتم وتقيّل أخلاق(؟) وصنع أخزم في الجود فقال
شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن علّفة به
حين قال

إن بني ضرّجوني بالدم
من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة أعرفها من أخزم

ومن ادّعى أن المثل له فقد سها فيه وقوله اخلوّذ أي
أسرع في الذهاب ومثله اجروّط وقوله وثب إلى الناقة
فرحلها أي شدّ عليها الرحل وبه سميت الراحلة لأنها
فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية أي
مرضية ومن ماء دافق أي مدفوق والراحلة تقع على
الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وداق
وقوله ارحلها أي ركبها وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلما قضى صلاته
قال إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله وقوله وقطها أي
اعتصرها واعتنقها في الرحل ومنه الخبر يخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحّل الناس وقوله فادّلج
وأوجف واستدلّ الادّلاج أن يسير الليل كله والاسم منه
الدَّلجة بفتح الدال والادّلاج أن يسير من آخر الليل والاسم
منه الدُّلجة بضم الدال وقيل إن الدُّلجة بضم الدال

فاستنزرنا الدرة والذرة

فمنزلي مقفر كما خدها

عطل من الجزع والشذره

وكنت من قبل ابيح في الهوى

ودينه رأي بني عذره

فمذ نبا الدهر هجرت التي

هجرانها نفسي اخذ حذره

وملت عن حرثي لا رغبة

عنه ولكن اتقي بذره

فلا تلم من هذه حاله

واعطف عليه واحتمل عذره

قال فلما تطلبت امرأته من مقاله وانتصبت تحت حبرته وقالت له ويلك يا مرقعان يا من هو لاطعام ولاضعان تتشدق لو اردت دعا ونكل الوله ثرا لم تدخل فهمك واخطأ سهمك وسفهت نفسك وسفهت عرسك فقال لها القاضي أما انت فلو جادلت الحلقا لانتعل حجها وأما هو فان كان صدق في زعمه ودعوى عدمه فالله في همه قبله ما يشغله عن ذمه فأطرقت تنظر اليه ازورارا ولا تحير حوارا حتى قلنا قد راجعها الخفر او حاق بها النظر فقال لها الشيخ نشدتك الله أن تعرف او كتمت ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد المناقرة كتم او بقي لنا على سر ختم

في بدء النمر والجمره
إليك أشكو جور بعلي الذي
لم يحج البيت سوى مره
ولمنه لما قضى نسكه
وخطرنا إذ رمى الجمره
كان على رأي أبي يوسف
في صلة الحجة بالعمره
هذا على أني مذ أصبحت
إليه لم أعص له أمره
فهل أتانا الدهر حلوه
[illegible]
من قبل أن أخلع ثوب الحيا
في طاعة الشيخ أبي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزته إليك وتوعدت به عليه فأت بما عزلته وحاذر أن تفترى وتعترف فجثا الشيخ على ثفناته وتحدر بنوع نغماته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ
يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى
ولا هوى قلبي قضى نذره
وإنما الدهر غدا صرفه

طِرْ مَتى نفرت من نخلة
وط[illegible]
وحاذر العود إليها ولو
شبّها ناظورها الأبله
فخيرها للشيخ أن لا يرى
بقعة فيها له عملة

ثم قال لي قد عنيت فما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك إن شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالأذى
فتضحي وشمل المال والحمد منصدع
ولا تغضبن من زيد سائل فما
هو في صوغ اللسان بمبتدع
وإنك قد ساءتك مني خديعة
فكم لك شيخًا لا شعرته قد خدع

فقال له القاضي قاتله الله فما أحسن نحوه وملح فنونه ثم إنه أصحب رائده دينارين وضمّ من العين وقال له سر سير من لا يرى الالتفات إلى أن ترى الشيخ والفتاة فقل بينهما هذا الحباء وبين لهما انخداعي للأدباء قال الراوي فلم أر في الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

وانهما لاصدق وهتك صوته اذ نطق فلما انثنا لاتيان
الكلم وتملق الحكم ثم انتقبت بوشاحها وتباكت لا
فضاحها فجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ونوب
الدهر ونوبه ثم احضر من الورق الفين وقال ارضيا
بهما الاجوفين واعصيا النازع بين الالفين فشكراه على
حسن الصنيع وانطلقا وهما كالماء والراح وسفق القاضي
بعد مسيرهما وتبارى نجمهما بتعدادهما ويقولها
عارف بهما فقال له عن الجواب وخالصة خلصائه
الشيخ انا شاهد المشهود بفضله واما المراد فعقدة
ربطه واما محاكمهما فكيد من قبله واحبوله من حبائل
ختله فاحفظ القاضي ما سمع وشهره فصح ثم قال
للواشي بهما فاقفهما ثم اقصدهما وتبعهما فنهض ينفض
عليه وجهه ثم عاد ينص بصدره فقال له القاضي امرنا
الينا شانك ولا تخف ما اسخطك فقال انا الشيخ
الطرق واستشيح القلق الى ان ادركهما مستحثين وقد
ميطا لبس وعلهما في الفك وكلت لهما ابل الامل فاسر
فيهما شيئا زيا فقال الغراب نعرابك الكيس وقلت هي
لي العود احمد والرفقة كمد فلما تبين الشيخ سعه زينها
ومناصيتها انشد لاذلها ثم انشا يقولها

ذلك نصحي يا فتى سله
ان غني عن التفصيل باجماله

وصارم اللهو ووصل المها
واعمل الكوم ومتن الرماح
واشم لا لادراك محل سما
عماده لا لاذراع المراح
واغما انشود حسو الطلا
ولا مراد الحمد روود رداح
وانما الحر صدره واسع
وهمه ما سر اهل الصلاح
موردة حلو لسؤاله وما
له ما سالوم مطاح
ما انعم الامل رذ اولا
ماطله والمطل لوم صراح
ولا اطاع اللهو لما دعى
ولا اكتار لما له كاس راح
سودده اصلاحه سره
وردعه اهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه
ما بهر العود مهور الصحاح

فقال له احسنت يا دبير يا رأس الدبر ثم قال
بلوم المستنيه بصنوع اذن يا نويره يا قمر المدورين
فدنا ولم يتباطا حتى حل منه مقعد المعاطي فقال

المقامة السادسة والاربعون

قال الحرث بن همام نزع بي الى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم ازل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها افلي الايام فيما يشفي الغرام ويروي الاوام الى ان اقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فاغراني البال الخلو والمرح الحلو بان اقصد حمص لاصطاف بقعتها واتبين رقاعة اهل رقعتها فاسرعت اليها اسراع النجم اذا انقض للرجم فحين جمت بربوعها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد فل غربه وادبر عزمه وعنده عشر صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص لاخبره اذا حمص فبش حين وافيته وحيا باحسن تحيته فجلست اليه لابلو جنى نطقه واكتنه كنه حمقه فما لبث ان اشار بعصيته الى اكبر اصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح ... واورد الآمل ورد السماح

فمن لم يزد في السؤال خفف

ولا تظن الدهور تبقي

ما ارضيتني ولو تقشف

واعلم بجفن الكرام يغضي

وصدهم في العطا تقنف

ولا تخن عهد ذي وداد

نبت ولا تبغ ما يزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا عنسمسم يا عطر منشم فلباه غلام كدرة غواص و جوذر قناص فقال له اكتب الابيات المثاثيم ولا تكن من المثائم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد

وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف

ناعس ناعس يجن يجذ

قدرها قدرها وناهت وتاهت

واعتدت واعتلت بخد يخد

فارقتني فارقتني وشطت

بثم وخبل وجد

فدنت فديت وحنت وخشت

معضبا مغضبا بود بود

له أمل الأبيات العرائس وإن لم تكن نفائس فبرك وقط ثم اجتر اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني
بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض
غنج يقتضي تغيض جفني
غشيتني بزينتين فشفتني
بزي تشف بين تثني
فضضت غيبتي فتجزني
نفث تشي بخبث ظني
بت في غش جيب بتزين
خيب بني تشفي ضغني
فزن فنحني فيشني
بنشيج تنجي بغض فقن

فلما نظر الشيخ إلى ما خطه وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف قرب يا نصر فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية أو تمثال دمية فقال له ارقم الأبيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين
ولا تخب آملا تضيف
ولا تحز رد ذي سؤال

الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال
انت يا عنبسة وبين الصادات الملبسة فوثب وثبة
شبل منار وأنشد من غير عثار

بالصاد كتب قد قصصت دراهما
بأناملي وأصخ لتشتيم الخبر
وبصقت أبصق والصماخ وصنه
والقص وهو الصدر وأقصى الأمر
ومحصت مقلته وهدي قرصه
وقد ارعدت منه الفريصة للحذر
وقصرتهما أي حبست وقد دنا
فصح النصارى وهو عيد مشتهر
وفصه والخمر قارصة إذا
حذت اللسان وكل هذا مسطر

فقال له رعيا لك يا بني فلقد أقررت عيني ثم استحضر
دلجة كالبندق ونعجة كالسوذق وأمرهم أن يقف
بالمرصاد ويسرد ما يجري على السين والصاد فحضر
يسحب برديه ثم أنشد منشئا بكلمه

إن شئت بالسين فاكتب ما أتيه
وإن تشا فهو بالصادات تكتبه
نعس وقس ومسطار ومملس

نطق الشيخ بأثل ما نطق ونقلته ثمه نطق فلما
تحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شل عشرك ولا
نحت بشرك ثم اهاب بغلام فتان يسفر عن ازهار بستان
فقال له انشد البيتين المطرفين المشتبهي الطرفين
اللذين انسا بكل آنف وامنا ان يعززا بثالث فقال
له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وانشد من غير
تلبث ولا تريث

سمسمة تحسن آثارها
واشكر لمن اعطى ولو سمسمه
والمكر مهما استطعت لا تأته
لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال له احسنت يا زغلول يا ابا الفلول ثم نادى
اوضح يا شنين ما يشكل من ذوات الشين فنهض ولم يتأن
وانشد بصوت اغن

شن الدواة وشن الكف منتقشا
شيئا ان هما خطا وان درسا
وهكذا الشين في نقش وناقشه
والنعش والعش واقشر وقشس قشسا
وقد تشين الشين المثل الكلام وفي
مشطر ونموس واتخذ جرسا
وفي قريش وزند فارس فخذ

يا قعقاع بإفشاء النفاع فأقبل فتى حسن من نادر الخفر
وغني ابن السري فقال له اصدع ثم ميز الظاء من الضاد
لتصدع أكباد الأضداد فاهتز لقوله واهتش
وأنشد بصوت أجش

أيها السائل عن الضاد والظاء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والأيقاظ
والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والأظافير والمظفر والمحظور والحافظون والإحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظة والإنتظار والإلماظ
ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والإغلاظ
ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم الفظيع والوعاظ
وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والأوشاظ

المظ رمان البر والقارظان جانيا القرظ وهو نبات يدبغ
به والأوشاظ الجماعات

وطرب الطراز والنظف الباهظ والجعظري والجواظ
الطراب الصغار واحدها طرب والظ

وسائر وسائط الحوق والسقب
والشامغان وسقر والمستوي وسن
لأقى وعن كل هذا تفصح الكتب

الفنس المرض المعترض في الجوف وهو مسكن العين و
العنس فيس البيضة والمسطار الخمر المر ويقال
ينشار بالهاء والممليس الذي يسقط من يده ولا يشعر به
والشائر اهو سنان ذوات الظلف والسقب تقرب
الشامغان جانبا الفم والشدق الشديد الصوت و
قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد فقال له خذت
بالحقه يا عين بقه ثم نادى يا نفل يا ابا زنفل
فلباه فتى اخس من بيضة في روضة فقال له ما عقد
هجاء الافعال التي اخرها حروف الاعتلال فقال
له اسمع لا صم صداك ولا سمعت علاك ثم انشد
وما استرشد

اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه
فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فاكتبه
بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي
تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فسر الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم

نقضه في أصله كقيض وقاظوا

فقال له الشيخ لحسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك
فوالله إنك مع الصبى الغض لأحفظ من الأرض وأجمع
من يوم العرض ولقد أوردتك ورفعتك إلى الآل ونفعتكم
بنقيف النوال فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون
قال الحرث بن همام فعجبت لما أبداه من براعة تمويهه
برقاعة وأظهره من حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل بصري
يصعد فيه ويصوب ويقرعه وينقب وهو ممن يستطير
في طيشه ويسري في تهما فلما استبانت تنهي واستبان
تدلي [illegible]
[illegible]
نحوي كلامه ووجدته بارد عند ابتسامه وأحدث الوجه
على نثر بقعة النوكى ونحر حرفة الحمقى فكان وجهه
أسف رمادا أو أشرب سوادا إلا أنه أنشد وما تمادى

نحن بت حمص وهذي الصناعة
لا أرى في خطوط أهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر عنه أرقعه
ولا يوطن المال إلا بقاعه
ولا الأحمق الذي من دهره سوى
ما لعمري يبطل بقاعه

ثم قال أما إن التعليم أشرف صناعة وأربح بضاعة
وأنجح شفاعة وأفضل براعة وربه ذو إمرة مطاعة

بجانب المحددة واحدها ظُرَر والشنظ البؤس وسوء الخلق
والجعظري المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل
الأكول المختال

والظربين والحاظب والعنظب ثم الظبان والأرعاظ
الظربين جمع ظربان وهي دابة لا تطاق فسوها وتجمع أيضا
على ظرابي بحذف النون وعلى ظربى ولم يجئ على فعلى الا ظربى
وحجلى جمع حجل والحاظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر
الجراد والظبان ياسمين البر والأرعاظ جمع رعظ وهو
مدخل النصل في السهم

والشناظي والدلظ والظاب والعنظاب والعنظوان والجعاظ
الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب الصخب
وقد تبدل الباء منه ميما وقيل ان الظاب والظام سلف
سلف الرجل والعنظوان نبت والعنظاب الذي
يقال له ابو طنظاب كما يقال له ابو قلبة والجعاظ
الأحمق وقيل انه المتسخط عند الطعام

والشناظر والتعاظل والعظلم والنظر بعد والإنعاظ
الشناظر جمع شنظير وهو السيئ الخلق والتعاظل
تلازم الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي

فهذي سوى النوادر فا
حفظها لتقفو آثار الحفاظ
وانقص فيما صرفت منها كمثلا

حصيفة وعليه من النظار أطواق ومن الزحام طباق
وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ
له أراك قد أبرزت رأسك قبل أن تبرز قرطاسك
وتشبى فذالك ولم تقل لي ذلك ولست ممن يبيع نقداً بدين
ولا يطلب أثراً بعد عين فإن رضيت بالشين حجمتك وإلا
وإن كنت ترى الشح أولى وتحرز الفلس في النفس أحلى
فأول عنى وتولى وأمر بعيدي ولا فقال الفتى والذي
حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين إني لإفلاس من ذ
يومين فهو مثل أخي وأطرني للوسعتي فقال
الشيخ وعلى أنه مثل الوعود كقرن العود هو بين أن يدركه
العطب أو يدركه منه الرطب فما يدريني أيحصل من عودك
جنى أم أحصل منه على عنا ثم ما الثقة بأنك حين تبعد
تفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في جبهة هذا الجيل
فأرحني بالله من التعذيب وارحل إلى حيث يهوى الذيب
فاستوى الغلام لبيه وقد استولى الخجل عليه وقال
والله ما حلف يا أبا زيد عن الصنيع الوعد ولا أودع عذري
الغدر إلا الوضيع الوغد ولو عرفت من أنا لما أسمعتني
الخنا لكنك جهلت فقلت وحيث وجدت تسحبلت
وما أقبح الغربة والإقلال وأحسن قول من قال

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن
فكيف حال غريب ما له قوت

وهمة شاعة، ودعية مطواعة، تتسلط تسلط أمير
وتثبت ترتيب وزير، وتحكم تحكم قدير، وتتنبه تنبه ذي
ملك كبير، لولا أنه يحرف في أمد يسير، ويتسنم بحمق نهير
ويقلب بعقل صغير، ولا ينبئك مثل خبير. فقلت له تالله
إنك لابن الأيام، وعلم الأعلام، والساحر اللاعب بالأفهام
فلم أزل له سبل الكلام، ثم لم أزل معتكفا بناديه، ومغترفا
من سيل واديه، إلى أن نابت الأيام الغر، ونابت
الأصحاب الغبر، ففارقته وفي عيني الغبر

المقامة السابعة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال: احتجت إلى الحجامة، وأنا
بحجر اليمامة، فأرشدت إلى شيخ يحجم بلطافة، ويستفرغ
بنظافة، فبعثت غلامي لإحضاره، وارتصدت نفسي
لانتظاره، فأبطأ بعدما انطلق، حتى خلته قد أبق
أو ركب طبقا عن طبق، ثم عاد عود المخفق، مستحثا الكل على
مولاه، فقلت له ويلك أبطأت قدما، وصلودت زندا، فزعم
أن الشيخ أشغل من ذات النحيين، وفي حرب كحرب حنين
فعنت المشي إلى الحجام، وحرت بين الإقدام والإحجام، ثم رأيت
أن أنعطف على من بفناء الكنيف، فلما شهدت موسمه
وشاهدت ميسمه، رأيت شيخا هيئته نظيفة، وحركته

وحافظ على من لا يخون إذا نبا
زمانٌ ويرعى ذماما النوى نوى
وإن تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ
إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شوى
وإياك والشكوى فلم تر ذا نهى
شكا بل أخو الجهل الذي ما اعتوى عوى

فقال الغلام للشيخ يا للعجيبة والطرفة الغريبة أنت في السماء وأسْتٌ في الماء ولفظٌ كالصهباء وفعلٌ كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسانٍ سليط وغيظٍ مستشيط وقال فكم من صوّاغٍ باللسان روّاغٍ عن الإحسان يأمر بالبر ويبوء بعقوق الحر فإن يكن شبعك شفاف ضعفك فرماها الله بالكساد وإفساد الحسّاد حتى ترى أفرغ من حجام ساباط وأضيق رزقاً من سمّ خياط فقال له الشيخ بل سلّط الله عليك بر الفم وتبيّغ الدم حتى تُلجأ إلى حجّام عظيم الإشطاط ثقيل الاشتراط كليل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما رأى الفتى أنه يشكو إلى غير مُصمِت فرّ وانفلح باب مُصمَت أضرب عن رجع الكلام وتحفّز للقيام وعلم الشيخ أنه قد لام بما أسمع الغلام فجنح إلى سلمه وندم أن لم يُبنِ حلمه ولا يبقى على حجمه وأبى الغلام إلا المشي بدائه والهرب من لقائه وما زال

ككفه ما تسن الحجر موجعة
فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلي الياقوت جمر غضى
ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك وعولة اهلك الست في موقف حر نطهر محب تنهش ام موقف جلد يكشط وقفا ينسرط وهب زلك الى الست كما ادعيت لتحمل بذلك حجم قدرتك لا والله ولو انك الباكي على عبد مناف او طالت دمن عند المثاني فاضرب في حديدة باود ولا تطلب ما لست له بواجد وباه اذا ما هيت وجودك لا بجدود وبحصولك لا باصولك وبصفاتك لا بزفاتك وباغلاقك لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بني استقم فالعود تنمي عروقه
قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى
اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق
الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى
على من الى الحر اللباب انضوى ضوى

ـت يدي المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل
تسموا الى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة
مني ولا شاكه مني حمه
لكن صروف الدهر غادرتني
كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر الى موقف
من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة
علي او تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لملواه ورق لشكواه فحففته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كانا ذامين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بهما لعناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا غشته خضراء وحقيبته نجراء فاردهاه الفرح عند ذلك وعانقته هنالك وقال للغلام هذا ربيع انت نده وحلب انت مسطه فهلم نقتسم ولا نحتشم فقاسمه بينهما شق الابلمة ونهضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له قد سوغت دراهمك ونقلت اليك قدمي فهل لك ان تحجمني وتكفني

في حجاج وسباب ولزاز وجذاب إلى أن ضجّ الفتى من
الشقاق وتلا دونه سورة الانشقاق فأعول لخمشه
وفار دم خشمه وانطاط عرضه وطرمه وأخذ الشيخ يعتذر
من فرطاته ويتنصّل من عثراته وهو لا يصغي إلى اعتذاره
ولا يقصر عن استعباره إلى أن قال له فداك عمك
وعداك ما يغمك أما تسأم الإعوال أما تعرف الإجمال
أما سمعت بمن قال وأخذ بقول من قال

أحمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه
من نار غيظك واصفح إن جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به
والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني

فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على تشنيع منكر
لعذرتني في دمعي المنهمر ولكن هان على الأملس ما لاقى
الدبر ثم كأنه نزع إلى الاستحياء وأقلع عن البكاء وفاء
إلى الارعواء وقال للشيخ قد صرت إلى ما اشتهيت فأين
ما أوهيت فقال هيهات شغلت شغلي جدواي فتشمّ
بارق سواي ثم إنه نهض يستقري الصفوف ويستجدي
الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي
تهوي له الزمر المحرمه
لو أن عندي قوت يوم لما

قد اودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من امثال
العرب وها انا افسر منها ما اخاله يلتبس على من
يقتبس اما قوله بط فقد فهو مولى عائشة بنت
سعد بن ابي وقاص وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها
نارا فقصد مصر واقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة
يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة
واما ذات النحيين فهي امراة من تيم الله بن ثعلبة حضرت
سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير
الانصاري ليبتاعهما منها ففتح احدهما وذاقه ودفعه
اليها فاخذته باحدى يديها ثم فتح الاخر وذاقه ودفعه
اليها فامسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على
ان تدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما
[illegible]
وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت واكثر الامثال
التي هي افعل تاتي من فعل الفاعل واما قوله انفق
قالتهما وانت في الملا يضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا
ويصغر فعالا واما قوله اوزع من حجام ساباط فقد ذكر انه
كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندي بدانق نسيئة
وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان يخرج امه عند
تمادي عطلته فيحجمها لئلا يرمى بالبطالة فما زال يحجمها حتى
نزف دمها وماتت واما قوله يشكو الي عمر مصمت

ثم اذ همى فصوب طرفه وصعد ثم ازدلف إلي وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي
وما جرى بيني وبين بعلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل
أرعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي
هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل
ويستبي بالسحر كل عقل
ويجتني الجد بماء الهزل
إن تكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل
والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار إليه فقرعته على الابتذال والالتحاق بالأرذال فأعرض عما سمع ولم يبل بما قرع وقال كل الحذا يحتذي الحافي الوقع ثم قاصاني مقاصاة المهازل وانطلق هو وابنه كفرسي رهان

قال الشيخ أبو محمد القاسم بن علي

وأيت بها ما يملأ العين قرة
ويسلي عن الأوطان كل غريب

فقلت في بعض الأيام حين نضل خضاب الظلام وهتف أبو المنذر بالنوام لأخطو في خططها وأقضي الوطر من توسطها فأداني الاختراق في سالكها والانصلات في سككها إلى محلة موسومة بالاحترام منسوبة إلى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحمامات مورودة ومبان وثيقة ومغان أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا
وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني
ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني
ومطلع إلى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقاري
أضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها
وناد للندى حلو المجاني
ومغنى ما تزال تغن فيه
أغاريد الغواني والأغاني

يوصف بالصبر بمن لا يكترث بشأن صاحبه ولا يبالي
باستمرار شكايته لانه لو اشتكاه لصمت وامسك عن
الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له

انك لا تشكو الى مصمت
فاصبر على الحمل الثقيل او مت

ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر واما
قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل
عني ما اصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب
وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع فمعناه ان المجهود
يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها
واما البعير الموقع فهو الذي تكثر آثار الدبر بظهره

الثامنة والاربعون

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي قال ما زلت
مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى
عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه
اصحاب الدراية وارباب الرواية من خصائص معالمها
وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله ان
يوطئني ثراها لافوز بمرآها وان يمطيني قراها لاقتري
قراها فلما اظلنيها الخط وسنح لي فيها الحظ

وإن أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك
من صدقك لا من صدّقك فقال له الحاضرون
أيها الخِلّ الودود والخِدن المودود ما سرّ كلامك الملغز
وما شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منّا لننجز
ولو أعجز فهو الذي حبانا بحبك وجعلنا من صفوة
أحبتك ما ألوناك نصحاً ولا ادّخرنا عنك نضحاً فقال
جُزيتم خيراً ووُقيتم ضيراً فإنكم ممن لا يشقى بهم جليس
ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخبث منهم مظنون ولا
يُطوى دونهم مكنون وسأنبئكم بما نما في صدري
واستفتيكم فيما عنّ لقصدي اعلموا أني كنت عند صلود
الزند وصدود الجد اتخذت مع الله تعالى العقد و
أعطيته صفقة العهد على أن لا أساور مداماً ولا
أعاقر نداماً ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة فسوّلت
لي النفس المضلّة والشهوة المذلّة أن نادمت الأبطال
وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار وارتضعت العُقار
واستطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة كالميت
ثم لم أقنع بما أتيتكم المنكر في طاعة أبي مُرّة حتى عكفت
على الخندريس في يوم الخميس وبتّ صريع الصهباء
في الليلة الغرّاء وها أنا بادي الكآبة لرفض الإنابة
نامي الندامة لوصل المدامة شديد الإشفاق من نقض
الميثاق معترف بالإسراف في غبّ الإسلاف

فصلّ ان شئت فيها من يصلّي

واما شئت فادن من الدنان

ودونك صحبة الاكياس فيها

او الكاسات منطلق العنان

قال ابو زيد فبينما انا انفض طرقها واستشف رونقها اذ لمحت عند دلوك براح والظلال الرواح مسجداً اشتهر بطائفة مزدهر بطوائفه وقد اجرى اهله ذكر حروف البدل وحرفا في طلبة الجدل فجئت نحوهم لا لاشمط نوهم لا لاقتبس نحوهم فلم يك الا كلفتة العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ثم ردف التاذين بروز الامام فاغمدت ظبى الكلام وحللنا الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضي الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على اغصان شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي واعددتهم لحضرتي و غيبتي اما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة وان الدين امحاض النصيحة والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة وان المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن

بنو الروم أرضنا | بعد ضعف تولدا
فاستباحوا حريم من | صار فوق موحدا
وحووا كل ما استلبن | بيها إلى وما بدا
تنطوحت في البلاد | طريدا مشردا
أجتدي الناس بعد ما | كنت من قبل مجتدا
وترى في خصاصة | أتمنى لها الردى
والبلاء الذي به | شمل أنسي تبددا
أسباء أتى التي | أسروها لتفتدا
فاستبن يحيى ومن | ذا إلى نصرتي بدا
وأجرني من الزمان | فقد جار واعتدى
واعتني بي فكالك | أنتمي من يد العدا
فبذا تمحى المآثم | عمن تمردا
وبه تقبل الإنابة | ممن تزهدا
وهو كفارة لمن | راغ من بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا | فلقد فهت مرشدا
فاتل النصر والهدى | واشكر لمن هدى
وانتج الآن بالذي | ينتشي لي تحمدا

قال أبو زيد فلما أتممت هذه الرمى وأوهمت المسند [illegible] الكلم [illegible] وزعمت الكلف بحمل الكلف في مفاتيحي وضح لي على الحاذق ونضح لي بالعلق الوافر فانقلبت [illegible] فرحا

فيا قوم هل كان من تعرفونها
تباعد من ذي وتدني إلى الدني

قال [illegible] أبو زيد فلما أطال أسوطه نفسه وقضى الوطر
من استكانته ما اجتنى نفسي يا أبا زيد هذه نهشة
صيد فتمنع عن يد وأيد فانهضت من مجثمي انهاض
الشهم وتخطيت من الصف انخراط السهم وقلت

أيها اللائم الذي — فاق مجدا وسوددا
والذي يبتغي الرشاد — ليحظوا به غدا
إن عندي [illegible] — بت منه مسهدا
فاستمعها عجيبة — غادرتني مبلدا
أنا من ساكني سروج — ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها — ومطاعا مسودا
مربعي مألف الضيوف — وما لي لهم سدا
أشتري الحمد بالتها — وأقي العرض بالجدا
لا أبالي بمفسر طاح — في البذل والندى
أوقد النار باليفاع — إذا النكس أخمدا
وتراني للمؤملين — ملاذا أو مقصدا
لم نستم بارق صد — فإنني نستكي الصدا
لا ولا رام قابس — قدح زندي فأصلدا
طالما ساعد الزمان — فأصبحت مسعدا
فقضى الله أن يعلق — ما كان عودا

القبضة وأبزم قيد الهرم النهضة أحضر ابنه بعدما
استجاش ذهنه وقال يا بني إنه قد دنا ارتحالي
من الفنا واكتحالي بمرود الفنا وأنت بحمد الله ولي
عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك
لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرف الحصى ولكن قد ندب
إلى الادكار وجعل صقالا للأفكار وإني موصيك بما لم
يوص به شيث الأنباط ولا يعقوب الأسباط فاحفظ
وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقف
أمثالي فإنك إن استرشدت بنصحي واستصبحت
بصبحي أمرع خانك وارتفع دخانك وإن تناسيت
سورتي ونبذت مشورتي قل رماد أثافيك وزهد
أهلك ورهطك فيك يا بني إني جربت حقائق الأمور
وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه
والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت أن
المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست
هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع فما أحمدت منها
معيشة ولا استرغدت منها عيشة أما فرص الولايات
وخلس الإمارات فكأضغاث الأحلام والفيء المنتسخ
بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام وأما بضائع
التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما
أشبهها بالطيور الطيارات وأما اتخاذ الضياع

بنجح مكري قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة
ووصلت من حوك القصيدة الى اكل العصيدة
قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك
فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك ثم انشد
غير متلبث

عش بالخداع فانت في
دهر بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى
تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذر
صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك
فرض نفسك بالحشيشه
وارح فؤادك ان نبا
دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يؤذن
باستحالة كل عيشه

التاسعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز

والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والفحة سلاحها
فكن احول من قطرب واسرى من جندب وانشط من
ظبي مقمر واسلط من ذئب متنمر واقدح زند جدك بجد
واقرع باب رزقك بسعيك وجب كل فج وخض كل لج
وانتجع كل روض وادل دلوك الى كل حوض ولا تسئم
الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا
ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل
فانه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة
ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة
الكلة وما استشار العسل من اختار الكسل ولا ملأ
الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالاقدام ولو على
الضرغام فان جرأة الجنان تنطق اللسان وتطلق
العنان وبها تدرك الحظوة وتملك الثروة كما ان الجبن
صنو الكسل وسبب الفشل وسطاة للعمل ومخيبة
للامل ولهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن هاب
خاب ثم ابرز ما بين في بكور ابي زاجر وجرأة ابي الحرث
وحزامة ابي قرة وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة
ونشاط ابي وثاب ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب
وتلطف ابي غزوان وتلون ابي براقش واخلب بصوغ
اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب
وامر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع

وانقصته للاندراج فمهلكة للاغراض وقيود عايقة
عن الارتكاض وقل ما طلاربهما من اذلال او رزق
روح بال واما حزنا اولى الصناعات فغير واصلة
من الاقوات ولا نافقة في جميع الاوقات ومعظمها
مقصود بسنية الحياة ولم ار ما هو بارد المعنم
لذيذ المطعم وافي المكسب صافي المشرب الا الحرفة
التي وضع ساسان اساسها ونوع اجناسها واضرم في
الخافقين نارها واوضح لبني غبراء منارها فشهدت
وقايعها معلما واضرت سيماها الى منسما اذ كانت المتجر
الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو
اليه الجمهور ويستضح به العمي والعور وكان اهلها
اعز قبيل واسعد جيل لا يرهقهم مترحيف ولا يقلقهم
سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون
لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون
بمن قام وقعد انديتهم مترهة وقلوبهم مرفهة
يتلقمهم معجلة واوقاتهم غير محجلة انما سقطوا القطوا
وحيثما انخرطوا لخرطوا لا يتخذون اوطانا ولا يتقون
سلطانا ولا يمتازون عما تغدو خماصا وتروح بطانا
فقال له ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك
رتقت وما فتقت فبين لي كيف اقتطف ومن اين
توكل الكتف فقال يا بني ان الارتكاض بها



له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد من قبل ان
تصعد فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

خذها اليك وصية
لم يوصها قبلي احد
واطع [illegible]
[illegible] نحلتها تنفح من
محض النصيحة واجتهد
فاعمل بما مثلته
عمل اللبيب لحي ارشد
حتى يقول الناس هذا
الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت واستقصيت
فان اقتديت فواها لك وان اعتديت فآها منك
والله خليفتي عليك وارجو ان لا يخلف ظني فيك
فقال له ابنه يا ابت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك
فلقد قلت سدادا وعلمت رشادا ونحلت ما لم ينحل
والد ولدا ولئن امهلت بعدك ولا ذقت فقدك
لاتادبن بآدابك الصالحة ولاقتدين بآثارك الواضحة
حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة
فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من اشبه اباه
فما ظلم قال الحرث بن همام فاخبرت ان
بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان

ودسّ محلّك قبل المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة
وانعم نظرك في القيافة فإن من صدق توسّمه طال
تبسّمه ومن أخطأت فراسته أبطأت فريسته وكن
نابي خفيف الكل وقليل الدل واعيا عن العمل فإنما
بلّ الوبل بالطلّ وعظّم وقع الحقير واشكر على النقير
ولا تقنط عند الردّ ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس
من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
وإذا خيّرت بين ذرّة منقودة ودرّة موعودة فمل
إلى النقد وفضّل اليوم على الغد فإن للتأخير آفات
وللعزائم بدوات وللعدات معقّبات وبينها وبين
النجز عقبات وعليك بصبر أولي العزم ورفق ذوي
الحزم وجانب خرق المشتطّ وتخلّق بالخلق السبط
وقيّد الدرهم بالربط وسنّ البذل بالضبط ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط
ومتى نابك بلد أو نابك فيه كمد فبتّ منه أملك
واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن
الرحلة ولا تنكرنّ النقلة فإن أعلام شريعتنا
وأشياخ عشيرتنا أجمعوا على أن الحركة بركة و
الطراوة سفتجة وزرّوا على من زعم أن الغربة كربة
والنقلة مثلة وقالوا هي نعلة من اقتنع بالرذيلة ورضي
بالحشف وسوء الكيلة وإذا أزمعت الاغتراب وأعدد

البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما أصوغ
دياركم وأفضل مزاياكم بلدكم أوفى البلاد طهرة
وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة وأمرعها نجعة وأقوى
قبلة وأوسعها دجلة وأكثرها نهرا ونخلة وأحسنها
تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة الباب
والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى
لم يتدنس بنيران المجوس ولا طيف فيه بالأوثان ولا
سجد على أديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة
والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر
المزورة والآثار المحمودة والخطط المحدودة به ملتقى
الفلك والركاب والحيتان والضباب والحادي والملاح
والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح والسابح
وله آية المد الفائض والجزر الغائض وأما أنتم فمن لا
يختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها وسنان دهماؤكم
أطوع رعية لسلطان وأشكرهم لإحسان وزاهدكم
أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم
علامة كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم من استنبط
علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه
وما من فخر إلا ولكم فيه اليد الطولى وإن شئتم فأنتم به
أحق وأولى ثم إنكم أكثر أهل مصر مؤذنين وأحسنهم
في النسك قوانين وبكم اقتدي في التعريف وعرف

فصّلوها على وصايا لقمان   وحفظوها كما تحفظ أم القرآن
حتى أنهم كرروها إلى الآن   أولى ما لقنوه الصبيان
وأنفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون

حكى الحرث بن همام قال أشعرت في بعض الأيام همًّا برّح بي استعاره فلاح على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لإطفاء ما بي من الجمر إلا قصد الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من رياض رياضه زاهر الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام فانطلقت إليه غير وان ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فابتدرت قصده وتورّدت ورده ورجوت أن أجد شفائي عنده ولم أزل أتنقل في المراكز وأتخطى الراكز والواكز إلى أن جلست تجاهه وحيث أثبت أشباهه فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه فسرّى برؤياه همي وادّ كنته غمي وصيرت أذني ونصبت كاني قال يا أهل

لتعلموا أني كم فجٍّ سلكت وحجابٍ هتكت ومهلكةٍ اقتحمت
وملحمةٍ ألحمت وكم ألبابٍ خدعت وبدعٍ ابتدعت
وفرصٍ اختلست وأسدٍ افترست وكم مخلوقٍ نادرته
لي وكأسٍ استخرجته بالرقى وجموحٍ سحرته حتى انصاع
واستنبطت زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن
رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فأما
الآن وقد شمس الأديم وتأوّد القويم واستنار
الليل البهيم فليس إلا الندم إن نفع وترقيع الخرق
الذي قد اتسع وكنت رويت في الآثار المسندة
والأخبار المستندة أن لله تعالى في كل يومٍ نظرة
وأن سلاح الناس كلهم الحائل وسلاحكم الأدعية
فقصدتكم أنضي الرواحل وأطوي المراحل حتى قمت
هذا المقام فيكم ولأمرٍ ما عنيتكم إنّا ما سعيت إلا
في حاجتي ولا تعبت إلا لراحتي ولست أبغي عطيتكم
بل أستندي أدعيتكم ولا أستميح أموالكم بل
أستنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب
والإعداد للمآب فإنه رفيع الدرجات مجيب الدعوات
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن
السيئات ثم أنشد

أستغفر الله من ذنوبٍ
فرطت فيهن واعتديت

تشيد في الشهر الشريف ولكم إذا قربت المضاجع
وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويؤنس الهائم
وما انبثّ فجر ولا ارتفع نور في برّ ولا بحر إلا
ولياذكم بالأسحار كدوي الريح في البحار وبهذا
صدع عنكم النقل وأخبر النبي عليه السلام من قبل
وبيّن أن دويّكم بالأسحار كدويّ النحل فشرفا لكم بشارة
المصطفى ووفاها لمصركم وإن كان قد نفا ولم يتوسمه
الأشقى ثم إنه أحرق لسانه وخطم بيانه حتى صدع
بالأبصار ووقف بالإقصار فتنفس نفس من قيد للقود
أو صدمت برايات أسد ثم قال أما أنتم يا أهل
البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن له المعرفة
والمعروف وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشرّ المعارف
من آذاك ومن لم يعرفني فسأصدقه صفتي
أنا الذي أنجد وأتهم وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر وأدلج
وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت
المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك وألنت
العرائك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس
وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد سلوا عني المشارق و
المغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل
والقبائل والقنابل واستوضحوا من نقلة الأخبار
ورواة الأسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان

يوم شاطئ البصرة وعشيته الى حيث حللنا
وأمنا البخس والخسر كلنا فقلت آه لقد أغربت في
هذه النوبة فما رأيك في التوبة فقال أقسم بعلام
الخفيات وغفار الخطيئات إن شأني لعجاب وإن دعائي
لمجاب فقلت زدني إيضاحا زادك الله صلاحا
فقال وأبيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع
ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم
إليه وويل لمن باء بعوز عليه ثم ودعني وانطلق
وأودعني القلق فلم أزل أعاني الفكر وأتشوف الى
صحة ما ذكر فلما استنشيت من الركبان
بجوائب البلدان كنت كحاطب ظلماء أو نادي صخرة
صماء الى أن لقيت بعد تراخي الأمد وتمادي الكمد
ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا
إن عندنا لخبرا أغرب من العنقاء وأعجب من نظرة الزرقاء
فسألتهم إيضاح ما قالوا وأن يكيلوا لي كما اكتالوا
فحكوا أنهم ألموا بسروج بعد أن فارقها العلوج
ورأوا أبا زيدها المعروف قد لبس الصوف وأم
الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت
أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن ذو الكرامات
فحفزني إليه النزاع ورأيتها فرصة لا تضاع
فارتحلت رحلة المجد وسرت نحوه سير المجد

كم خضت بحر الضلال جهلا
وخضت في الغي واعتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا
وافتريت واختلت واغتديت
وكم طلقت السداد ركضا
إلى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي
إلى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا
نسيا ولم أجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير
من المساعي كتي سعيت
يا رب عفوا فأنت أهل
للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء
وهو يقلب وجهه في السماء إلى أن دمعت أجفانه
وبدا رجفانه فقال الله أكبر بانت أمارات الاستجابة
وانجابت غياية الاسترابة فجزيتم يا أهل البصرة
جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق في القوم إلا من
سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو
نياتهم وأقبل يهرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة

لملعب ومرتع

وكم تجرأت على رب السموات العلى ولم تراقبه ولا

صدقت فيما تدعي

وكم غمطت بره وكم أمنت مكره وكم نبذت أمره

نبذ الحذا المرقع

وكم ركضت في اللعب وفهت عمداً بالكذب

ولم تراع ما يجب من عهده المتبع

فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم

قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف

واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع

إلام تسهو وتني ومعظم العمر فني

فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع

أما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط

ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص

وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى

واخشي مفاجاة القضا وحاذري أن تخدعي

وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى

وأن مثواك غدا في قعر لحد بلقع

حتى خلت مسجده وفارق مسجده فإذا به قد
حفته أصحابه وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة
مخلولة وشملة موصولة وسبحة مهابة من وحى على
الأسود والثفنة من سيماهم في وجوههم من أثر
السجود ولما فرغ من سبحته حياني بمسبحته من
غير أن نعم محدث ولا استخبر عن قديم ولا حديث
ثم أقبل على أوراده وتركني أعجب من اجتهاده وأغبط
من يهدي الله من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع
وسجود وركوع وإخبات وخضوع إلى أن كمل إقامة
الخمس وصار اليوم أمس فحينئذ انكفأ إلى بيته
واستتبعني من قرصه وزيته ثم نهض إلى مصلاه
وخلا بمناجاة مولاه حتى إذا التمع الفجر وحق لمن تهجد
الأجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح
وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادكار الأربع   والمعهد المرتبع   والظاعن المودع

وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا   سودت فيه الصحفا   ولم تزل معتكفا

على القبيح الشنع

كم ليلة أودعتها   مآثما أبدعتها   لشهوة أطعتها

في مرقد ومضجع

وكم خطى حثثتها   في خزية أحدثتها   وتوبة نكثتها

ويبكي يومه في قلب أمسه وفي ضمن ذلك يرن
أرنان الرقوب ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت
أنه قد لحق بالأفراد واشرب قلبه هوى الانفراد
فأخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي
بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما
أخفيت فزفر زفرة الأواه ثم قرأ فإذا عزمت فتوكل
على الله فاستجليت عند ذلك بصدق المحدثين
ولنسابة في الأمة محدثين ثم دنوت إليه كما
يدنو المصافح وقلت أوصني أيها العبد الصالح
فقال اجعل الموت نصب عينيك وهذا فراق بيني
وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي و
زفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة
التلاقي

قال الشيخ الإمام أبو محمد

القاسم بن علي رحمه الله تعالى
هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاعتراف وأمليتها
بلسان الاضطرار وقد لجئت إلى أن أرصدها
للاستعراض ونادت عليها في سوق الاعتراض
مع معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب
أن يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق

مثاله بيت البلى ... والمنزل القفر الخلي

ومورد السفر الألى ... واللاحق المتبع

بشرى لمن أودعه ... قد ضمه واستودعه

بعد الفضا والسعة ... قيد ثلاث أذرع

لا فرق أن يحله ... داهية أو أبله

أو معسر أو من له ... ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي ... يحوي الحيي والبذي

والمبتدي والمحتذي ... ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي ... وربح عبد قد وقي

سوء الحساب الموبق ... وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى ... ومن تعدى وطغى

وشب نيران الوغى ... لمطعم أو مطمع

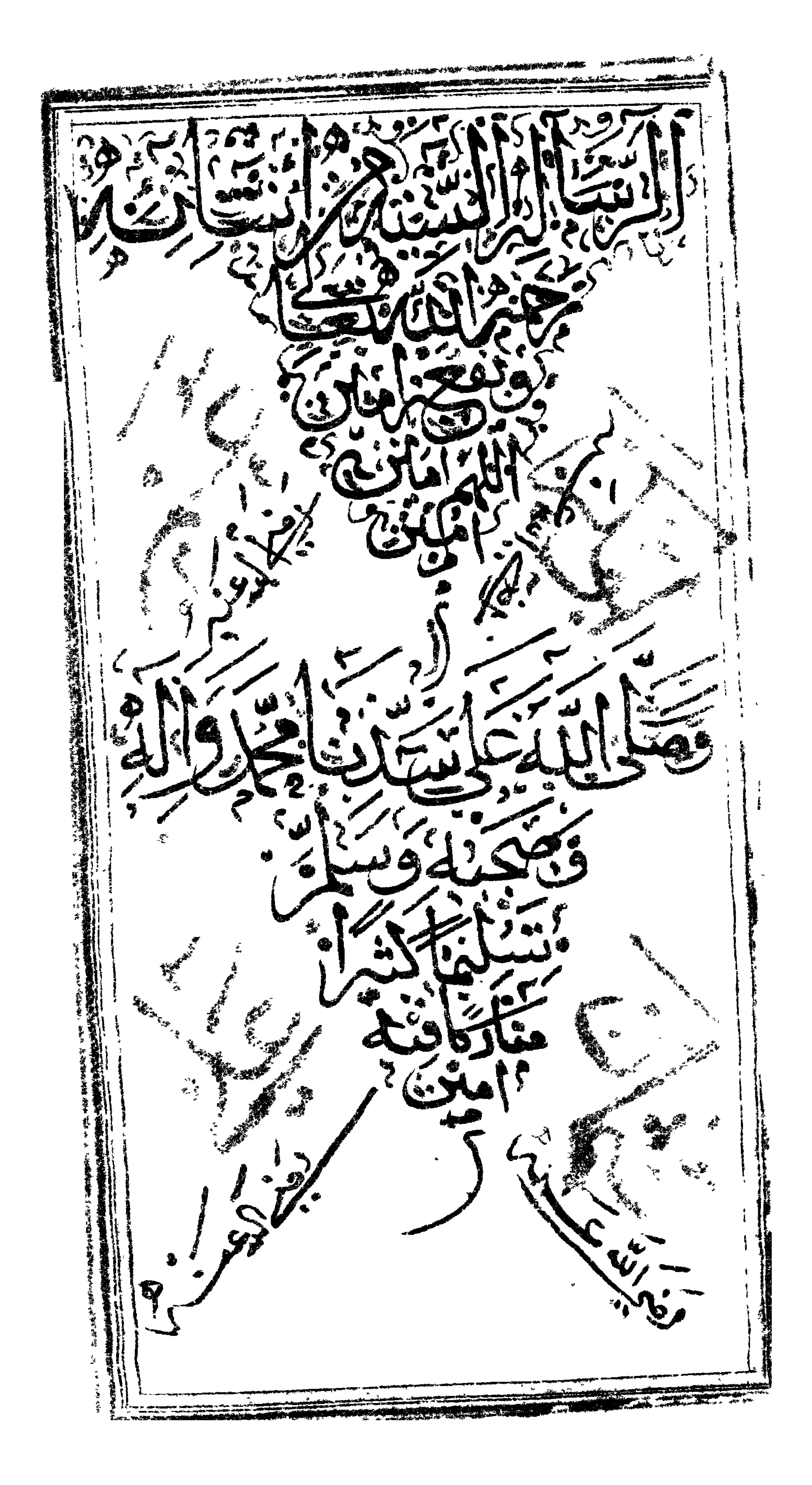
يا من عليه المتكل ... قد زاد ما بي من وجل

لما اجترحت من زلل ... في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم ... وارحم بكاه المنسجم

فأنت أولى من رحم ... وخير مدعو دعي

قال ولم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها
بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء شيبته كما كنت
أبكي من قبل عليه ثم برز إلى مسجده بوضوء تجدد
فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما
انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر أخذ يهينم بدرس


رحمه الله تعالى
ونفعنا به
اللهم امين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم
تسليما كثيرا

ونظرت لنفسي نظر الشفيق لستوت عواري الذي لم
يكن مسطورا ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا
وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من الباطل واللغو
واضا بيل اللهو واسترسل الى ما يعصم من السهو
ونحظى بالعفو انه هو اهل التقوى واهل المغفرة
ويولينا الحسنات في الدنيا والآخرة تمت

بعون الله تعالى وحسن توفيقه وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
اجمعين

[illegible]

أنشجا بإتناسي الجليس

وسر حسودي بطمس الرسوم

وطمس الرسوم كرمس النفوس

وأسكرني نشوة واستعاض

لقهوة سكرة الخندريس

وساقي الحمام بكاس السلاف

وأسهمني بعبوس وبؤس

شاكسوه لبسة مستعقب

وأبشر بشرا كبشر العروس

ومشط بشنابه شين

تشيرا لما طرها كالسطور

وحسبنا الشلام وسلامه لرسول لسلام

وله أيضاً على التزام حرف الشين

رسالة الشينية

بإرشاد المنشي أنشي شغفي بشيخ شمس الشعراء درر معانيه وفنا رياشه وأشرق (شهابه) واعشوشبت شعابه بشاكل شغف المنشي بالشموع والمرتشي بالرشوة والشادي بشرخ الشباب والعطشان بشيم الشراب ونشكري لخشية ومنشية وشواهد شفقته بشاشة شكر الناشد للمنشد والمسترشد للمرشد والمستبشر

الرسالة السيفية من انشائه

رحمة الله تعالى عليه

باسم القدوس استفتح وباسعاده استنجح
سيرة سيدنا الاصفهسلار الرئيس السيد الكبير
نسيب الرؤسا سيف السلطان حرست نفسه
واستنارت شمسه واتسق انسه وتسوغت
استمالة الجليس ومساهمة الانيس ومساعدة الكاس
واللب ومواساة الشجو والنسب والسيادة
تقتضي استدامة الشان واستحفاظ [illegible]
وسمعت بالاستزادة من الانس ملاءمة خندريسه
ونشاط كؤوسه ومحاسن مجلس مسرته واحبابه
نشوة سكرانه فاستلطفت التراء وتوهمت الاستـ
ـشوف نفسي الاحتسا وانسها بمؤانسة الجلسا
وصنت سقوي الشمل وانقطاع الرسل واستبعد
[illegible] اسمي واناور الوسع للاستمالة رسمي
وسيف السلطان مستانس
بانس السماع وحسو الكؤوس
سلاني ولبس لباس السلو
[illegible] حسن سمات النفيس
وتناسي حلاته واسوى

شهامة شمس بطيش مناجز
شفا شغفه مخشية وشباته
نجاشي في جاش للشر مناهزه
شفا بالانا شيد التناوي شفيم
فيه متنفق وناكيه ناكز
وينذو فيه بين الشجى نشوز
ويشفيه انشاده فيشاطره
تجنيم غشيانى فيزيد وشي
وتنشق نفيتاه بيشن بالشره
شانشده شيغن انشرق تمسه
واشكر شكرا نشي شايق

واشهد شاهد الانبيا وشفيع الاخفيا ليشغل شواظ
اشتياقي خططه وليشغفن نمل نشاطي نشطه فانشدت
الشيخ ليشغب باستجابتي لشوقه وايجابي لتنبيه و
وشايتي لنيل الموشي وتشكل تخصه بالاشراق والتجني
وتشا فاشاه تجشيه شبهه وتفشاه فليتنشف
نشيج شجوني لشطونه ومشاركتي لشجونه ويتغالى بغشية
شوقه ليشتد حاشي ويشارف انحاشي تاش نيعتز
لجنايته متشتري النبلة ملجن الشفار تنشر
الشرار مثنا بالاشرار تحاذيا بالاشعار نشيج
وجيوش ويقفن المنقوش بمشية الذبل البطش

لانشر والمستجيش لجيش المشتر وشارى اساد
شعر وانجا المناجر والكاشح بمشرع وشعلى
ناعة وشايعه وتشيد سوافعه والاشادة بشذو
وشوقه والمشوق بتشفعه وتشريفه واشهد
شهادة المشيع الكاشف المقشر المكاشف لاشاده
بعش شابه والناشى ولاشى شعر الناشى وللماشر
ماشر الرشد وللشافهه اشتار الشهد وللشاحنه
تشجى لشاحن وللشاجرة تنشر المشاين وللشاغبه
تشعى لاشطان وتشيط الشيطان فشرفا للشيخ
شرفا وشغفا بشنشنته شغفا

فاشعار مشهورة ومشاعر
وعشيرته مشكورة وعشائر
شاى الشعرا المشمعلين شعره
فشانيه شجو الحشا ومشاعر
وشوق ترقش المرقش نقشه
فاشياعه يشكونه ومعاشر
وشاق لشاب الشم والشيب وشيبه
فمشتوم اشرى المشوق وباشر
شمايله معشوقه كشموله
فشيمته مستبشر ومعاشره
شكوره مشكور وحشو مشاشه

الشافع العزيز وتشريفه لبشير البشر
وشفيع المحشر صلى الله عليه وسلم تسليما
وكان الفراغ من كتابته يوم الثلاث المبارك
سابع شهر صفر الخير من شهور ١١٦٩
تسعة وستين والف
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل
الصلاة والسلام

ملكه الفقير الى الله تعالى [illegible] علي بن محمد بن محمد الحلبي [illegible] غفر الله له

بلغ مقابلة على الاصل في غرة شهر جمادى الآخرة
من شهور سنة تسعة وستين ومائة بعد الالف من
الهجرة النبوية على صاحبها افضل
الصلاة والسلام
والحمد لله
م